المركز القومى للترجمة



حكايات حول المدفأة

الجزء الأول

تأليف : أنطونيو رودريجيث ألمودوبار

ترجمة : عزة خليل كلفت

2497



حقَّق جامعو التراث الشعبى ثروة هائلة من الحكايات الشعبية المستمدة من بيئات ثقافية أخرى - مثل تلك التى جمعها الأخوان جريم فى ذلك الزمن، أو، بدرجة أقل، پيرّو أو أندرسون- كثيرا ما تسببت فى إهمال التراث الرائع للحكايات التى تنتمى لتراث بلدنا. وقد جمع أنطونيو رودريجيث ألمودوبار فى كتابه "حكايات حول المدفأة" مجموعة مهمة من الحكايات الشعبية الإسپانية. ويضمّ هذا الجزء الثانى حكايات العادات (ومنها مجموعة أطفال فى خطر، التى تضمّ حكاية "حمُّص الصغير" وحكاية "بيت النوجة"؛ وكذلك مجموعات صعاليك، وفقراء وأغنياء، والحمقى، ونساء مشاكسات، وحكايات الرعب)، كما يضم حكايات الحيوانات وأبطالها الذئاب والثعالب وكائنات أخرى كثيرة.

حكايات حول المدفأة

(الجزء الأول)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2497
- حكايات حول المدفأة (الجزء الأول)
- أنطونيو رودريجيث ألمودوبار
- عزة خليل كنفت
- اللغة: الفرنسية
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

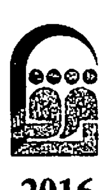
Cuentos al amor de la lumber, 1
Por: Antonio Rodríguez Almodóvar
Prólogo de: José Manuel Caballero Bonald

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

حكايات حول المدفأة

(الجزء الأول)

تأليف: أنطونيو رودريجيث ألمودوبار
ترجمة: عزة خليل كلفت



2016

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المودوبار، أنطونيو رود ريجيث، ١٩٤١
حكايات حول المدفأة جـ١ / تأليف: انطونيو رودروجيث
المودوبار، ترجمة : عزة خليل كلفت - القاهرة
ط ١ المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦
٤٦٤ ص،٢٤ سم
١ ـ القصص الاسبانية
(أ) كلفت ، عزة خليل (مترجم)
(ب) العنوان ٨٦٣

رقم الإيداع ١٩٥٦٣ / ٢٠١٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N - 978 - 977- 92 - 0803 - 9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

إهداء

إلى روح أختي الحبيبة

هند خليل كلفت

بدلاً من مقدمة[1]

أفترض أن **أنطونيو رودريجيث ألمودوبار** Antonio Rodríguez Almodóvar طلب مني تحديدا أن أتدخل في تقديم كتابه لأنني لست خبيرا – ولا حتى أقل بكثير– في موضوع كتابه (ذلك الإرث المشترك الذي لا ينضب من الحكايات الشعبية)، رغم أني أعتبر نفسي بالفعل طالبا متحمسا، للدروس الإنسانية العديدة التي زودتنا بها، ويتعلق الأمر، في الواقع، بإرث تعليمي هائل للغاية، لا يمكن أن يشعر أحد (خاصةً مَنْ يعمل في الأدب) بأنه يجهل أهميته كواقع ثقافي. غير أن من المؤسف، أن هذا هو ما صار يحدث بيننا، وهو ما حاول **أنطونيو رودريجيث ألمودوبار** معالجته في هذه الطبعة الرائعة من "حكايات حول المدفأة". طبعة تؤسس – وأسمح لنفسي بتأكيد هذا– لنقطة تحوُّل أساسية في دراسة وترسيخ هذا القطاع المهم من ثقافتنا الشعبية، ومن الآن فصاعدا لن تكون، الببليوجرافيا الإسپانية، في هذا المجال، ناقصة ولا مُهْمَلة. ومنذ اليوم، نعتمد على مصدر لا غنى عنه للاستشارة والبهجة.

ويعيد **رودريجيث ألمودوبار** في الوقت الحالي إصدار الجزء الأول من كتابه "حكايات حول المدفأة" – مع إضافات وتعديلات – وينشر لأول مرة الجزء الثاني، ومن الواضح أن هذه الطبعة المجمعة كانت ضرورية، ويُدْرِج المؤلف في الجزء الأول – وفقا لتصنيفه الذكي– ما يسمى بالحكايات "العجائبية"، وفي الثاني، ما يسمى

---

(١) هذا هو الحديث الذي ألقاه **ج. م. كاباييرو بونالد** J. M. Caballero Bonald عند تقديم الطبعة الثانية المنقحة للجزء الأول من "حكايات حول المدفأة" والطبعة الأولى من الجزء الثاني، في قاعة محاضرات المكتبة الوطنية، في ١٩ نوفمبر ١٩٨٤.

بـ "حكايات العادات" و"حكايات الحيوانات"؛ لكنني أودّ، قبل كل شيء، أن أقول شيئا عن العناء والحب اللذين جعلا هذا العمل النموذجي ممكنا.

وكما نعرف جميعا جيدا جدا فقد أُصيبَ الاهتمام الذي لقيته الحكاية الشعبية في بلدنا بأنيميا شبه خبيثة؛ فقد ألقى الإهمال، عندما لا يكون الاحتقار، كل ميراث ثقافتنا هذا إلى المستودع المعتم للذكريات الخاصة. وباستثناء الجهود المنعزلة – والجزئية إلى حد ما – لـ **فيرنان كابابييرو** Fernán Caballero، و**أنطونيو ماتشادو** Antonio Machado و **ألباريث** Álvarez، وخاصة، **أوريليو م. إسبينوسا** Aurelio M. Espinosa، لم يهتم أحد منا بفاعلية كافية بالانشغال بتراث الأدب الشفاهي الإسباني المُمعن في القدم، ولم تكن هناك طبعات موثوقة حتى بحد أدنى، ولم يكن يبدو أن الموضوع يستجيب لدافع آخر غير الحنين المسرف للطفولة. وكان **رودريجث ألمودوبار** يعرف جيدا جدا أنه بوجود نقص شبه مطلق في سوابق يُعتمد عليها لبدء مهمته البحثية. وكان يعرف جيدا جدا أنه يعمل انطلاقا من فراغ تاريخي أو، في أفضل الأحوال، من ندرة: الندرة الناشئة عن التحيزات الرومانسية للعاداتية، أو عن الغارات الوضعية من جانب العلم الفلكلوري. بحيث إن **رودريجيث ألمودوبار** لم يكن ينهل إلا من تكوينه كعالم فيلولوجي؛ ليشرع في إعادة بناء الميراث الشعبي الذي كان من الناحية العملية متدهورا مهملا، ومبدّدا، وتقريبا على حافة الانقراض النهائي.

مع ذلك فإن تأخر التزام **رودريجيث ألمودوبار** جرى تعويضه – كما أشار هو بنفسه. ذلك أنه استطاع أيضا أن يطبق على عمله أكثر المناهج العلمية حداثة وفائدة، ويفسر المؤلف كل هذا جيدا جدا في الدراسة التمهيدية البالغة الذكاء والنفاذ التي صاحبت مجموعته، وأنا أنصح بشدة بقراءة تلك الدراسة، ليس فقط لأنها تصلح كمقدمة ممتازة للموضوع، بل لأنها تضيء بكفاءة فريدة جينيولوجيا ميراثنا القصصي، وفي نفس الوقت، تكتشف بعض أكثر المسارات الجدلية خصوبة نجدها في متناولنا بهذا الخصوص في إسبانيا. وأنا، على الأقل، لا أعرف شيئا أكثر

إنارة. وأشير إلى مســح الرموز الاجتمــاعية والثقــافية، والجــذور التــاريخية والأنثروبولوجية، التي تتلاقى في المادة الأدبية لبعض الحكايات التي وضعتها العادة على حدود طفولتنا.

ويتمثل أحد أكثر الجوانب تميزا لهذه المجموعة من الحكايات الشعبية في عملية الجمع والترسيخ الأدبي للنموذج. كلنا نعرف أن تلك الحكايات، التي حافظ عليها التراث الشفاهي، قد عانت من تعديلات وتدهورات خطيرة، إذا أخذنا في الاعتبار الاضمحلال المؤقت، والفروض الاجتماعية السائدة وحتى المحصلة الخاصة بالناقل. وفي بعض الأحيان، لا تكون الرواية التي تُعتبر أصلية – كما كان يفترض باحثو المنهج المقارن – هي النموذج. كما أن من الممكن ألا تكون تلك الحكاية المفترض أنها أصلية، إلا أثرًا لحكاية أقدم، مفقودة بصورة نهائية، وبكل هذه المعطيات السابقة، شرع **رودريجيث ألمودوبار** في التحقق من صحة نوع الترميم العلمي لكل حكاية تم اختيارها، عن طريق بحث مزدوج نصي وميداني، أي، بحث يجمع مختلف الروايات الموجودة، وفي نفس الوقت، مقارنتها بروايات أخرى مأخوذة مباشرة من الراوي المتاح، ولم يكن من الممكن أن تكون النتيجة أكثر فائدة: نعتمد الآن على مجموعة من النماذج الأصلية لكل حكاية من الحكايات التي تم الاحتفاظ بها، بطريقة أو بأخرى، في مخازن ثقافتنا الشعبية، التي يمكن أن تكون أمانتها النصية وبنيتها الداخلية جديرة بالمكانة المعصومة من الخطأ. لم يقم **رودريجيث ألمودوبار** فقط بتحرير تلك الحكايات بطموح كَمّي جلي، بل قام باستعادتها أدبيًا بكفاءة نوعية جديرة بالإعجاب.

ويبدو لي التصنيف الذي قام به المؤلف لتلك الحكايات الشعبية مفيدا بصورة واضحة، بصرف النظر عن كل ما يُفترض أنه ترتيب منهجي للمادة الأدبية التي كثيرا ما تُواصل التغيُّر منذ ظلمات ما قبل التاريخ. وتنقسم هذه التجميعة إلى ثلاث مجموعات كبيرة من الحكايات: الحكايات "العجائبية"، حكايات "العادات" وحكايات

"الحيوانات". وسيأتي فصل ممتع – "الحكايات الجنسية" – في طبعة منفصلة، وفقا لما نوّه به المؤلف. حسنا. وإذا كان من الممكن تتبُّع رموز بعينها للأوعي الجمعي في تلك الأمثلة القديمة للأدب الشفاهي فإنه عند إعادة قراءتها الآن لا أحد يستطيع أن يُفلت من ذلك الانجذاب الحسي حيث يتسرب إليها في بعض الأحيان مكوِّن أسطوري ما، يربط سلوكنا المعاصر بسلوك عالم كنا فيه بطريقة ما، كما لا نزال الآن. ولهذا، ربما كان من غير الملائم على الإطلاق افتراض أن هذه الحكايات للأطفال وحدهم.

وفكرة أخيرة موجزة. وأعني ذلك الموقف المتعالي، إنْ لم يكن المزدرى، الذي احتفظ به الأدب الراقي نحو الأدب الشعبي. أو، بمعنى أصح، أدب المؤلف الواحد إزاء أدب المؤلف الجمعي. وفي "مقدمته" المشار إليها، يتذكر **رودريجيث ألمودوبار** أنه في العصور الوسطى "كانت الثقافة، التي لاذت في ذلك الحين بالقصور والأديرة، تفترض أن لا أهمية لأي شيء قد يأتي من عامة الشعب، وهذا التحيُّز الطبقي المتأصل ما يزال يراوغنا إلى يومنا هذا"، ومن الجلي أنه لم يكن كل شيء يتحرك بين هذين الحدَّيْن غير القابليْن للتوفيق، غير أن شيئا ما استمر بعناد في مواقف غير قليلة، ومع ذلك يبدو لي أنه يوجد دائما شخص يعتقد أنه من النخبة ينتهي إلى أن يكون صاحب فطنة في إعادة خلق أساطير شعبية، مما يمكن أن يثبت، ولو بشكل غير إرادي، أن التراث المكتوب والشفاهي انتهيا– في كثير من الأحوال– إلى أن يكونا زوجيْن على وفاق تام. وأكثر من ذلك: ربما لم يكن من الصعب أن نحدس حتى في بعض الأعمال الروائية الكبيرة أن الثقافة الأدبية تنتمي أيضا إلى سلالة مستمدة من الثقافة الشعبية. أي، شيء أشبه بتطبيق حكاية "الناي الذي يجعل الجميع يرقصون" على أولئك الذين يفضلون التظاهر بالصَّمَم.

وبما أن المعرفة لا تُجَرِّد المرء من العاطفة، أكرِّر امتناني الوجداني لـ **أنطونيو رودريجيث ألمودوبار** على هذه الحكايات حول المدفأة (أي؛ بالقرب من نار الحقيقة)، للإنقاذ النهائي، المتحقق وغير المؤقت، لهذا الإرث الجماعي الذي يعيد لنا أيضا ثراء كثير من الحِكَم الشعبية المهمشة.

خوسيه مانويل كابايرو بونالد

JOSÉ MANUEL CABALLERO BONALD

مقدمة لطبعة الجيب

عند نشر هذا الكتاب لأول مرة (Anaya, Madrid, 1984-85)، فكرتُ في أنه يجب إصدار طبعة في متناول الجمهور الواسع بصورة أكبر، ولا شك في أن هذا القطع يقدم طبعة جديرة بالإعجاب، وقد كرسه الزمن تقريبا كشكل كلاسيكي، وإلى جانب الإطراء الكثير الذي قُدم للناشر ولي، تتحدث الحقائق بنفسها: إحدى وعشرون طبعة، على جزءين، إلى الآن، والجائزة القومية Premio Nacional في ١٩٨٥ لـ "أفضل مجموعة عناصر في كتاب واحد"؛ وثناء لا حدود له من جانب النقاد– وبالأخص– الترحيب المتحمس والحار من جانب الجمهور، وهو الترحيب الذي أخذ ينمو مع السنين، دون تمييز في الأعمار، قلما يحظى بمثله كاتب على قيد الحياة.

ومع كل هذا، حيث إنني لا أمل من تكرار هذا كلما سنحت لي الفرصة، فإنني لم أكن في مثل هذه العملية أكثر من *وسيط*، أو ربما مرمِّم، شخص وضعه الحظ في المكان المناسب في اللحظة السانحة، للقيام، من ناحية، بدمج دراساته ومخاوفه ذات الطابع النظري حول الحكاية الشعبية، ومن ناحية أخرى، التعاون البالغ القيمة لمؤسسات وأفراد ما كان لهذا العمل، بدونهم، أن يرى النور، ببساطة. ومن بين هؤلاء، أودُ أن أُثني، من جديد: على دار النشر "أنايا Anaya"، وعلى محررها في ذلك الحين لمجموعة أورين Aurín، **خوسيه كوبيرو** José Cubero؛ وعلى **إيميليو باسكوال** Emilio Pascual الذي كان مسئولاً عن العناية بالطبعة، وشارك باقتراحات عديدة؛ فكلاهما استطاع أن يفهم المحتوى الثقافي الذي كان لمثل هذا الجهد، والذي يتمثل، باختصار، في القيام، مرة وإلى الأبد، برفع شأن حكاياتنا الشعبية المَنسية التي أُسيئتْ مُعاملتها. وعلى مؤسسة "خوان مارتش"، التي قَدَّمت لي منحة في عام ١٩٧٧

لأجمع، من القرى والضياع، ما يمكن أن يكون قد تبقى، مما كان يمثل إرثا ثقافيا ثريا جدا لسكان إسبانيا كلها، ولبحث قضايا منهجية، متشابكة للغاية، إلى أن نحصل على نتيجة شاملة ومفهومة. ومن كل هذا نتج نص شامل، عرف فقط طبعات جزئية وغير كاملة(١)، بالإضافة إلى ساعات تسجيل كثيرة على شرائط تسجيل. وبين الأشخاص، وكيف لا يكون الأمر كذلك، **دون آوريليو إسبينوسا** (الابن)، الذي كان يشجعني من جامعة ستانفورد بتوصياته كما أذن لي بنشر بعض رواياته، وكذلك روايات والده نفسها، لما لها من قيمة توثيقية عالية في جوانب محددة من البنيان الجديد الذي كنتُ أقوم بتشييده. ولأسباب مماثلة، أُثني على ورثة **دون أوريليو دي يانو روسا دي أمبوديا** don Aurelio de Llano Roza de Ampudia، وعلى **دون بيثينتي كورتيث باثكيث** don Vicente Cortés Vázquez، وعلى الكاتب **ألفونسو خيمينيث روميرو** Alfonso Jiménez Romero – الذي من المحزن أننا فقدناه عام ١٩٩٧–، وبالطبع، على الرواة العديدين الذين وضعوا صوتهم في أساس روايات أخرى كثيرة قمتُ أنا نفسي بجمعها، والذين قدموا دعما لروايات أخرى لهذا الكتاب.

وربما كانت هذه هي اللحظة المناسبة للشرح بوضوح فيم تتمثل الخصوصية، غير المفهومة بصورة جيدة دائما، لكتاب حكايات حول المدفأة Cuentos al amor de la lumbre. وسأبدأ بالحديث عما لا تمثله هذه الحكايات. إنها ليست مجموعة إثنوجرافية، للاستخدام التقليدي، لروايات للحكايات الشعبية كما كان يمكن أن يحكيها رواتها الشفهيون (أي جهد بالغ الصعوبة، ومن ناحية أخرى، لا يتوافق في بعض الأحيان مع ما يجري تقديمه بوصفه كذلك). ولا هي اقتباس أدبي جريء لروايات من هنا أو هناك، كما فعل مؤلفون آخرون في مناسبات أخرى،

---

(١) تمثلت طبعة أول جزئية لهذه الدراسة في *Los cuentos maravillosos españoles*. Barcelona. Edit. Crítica, 1982 (2.ª ed. 1987). وهناك طبعة أكمل هي *Los cuentos populares o la tentativa de un texto infinito*, Universidad de Murcia, 1989.

عن جرأة أكثر مما عن معرفة. ما هي الحكاية الشعبية إذن؟: إنها ببساطة تجميع لنماذج أصلية، ومن الجلي أن هذا سيحتاج إلى بعض الشرح، وقد قمت بتقديم هذا الشرح بإسهاب في أماكن أخرى أكثر ملائمة[1]، غير أنه لا بأس من محاولة القيام بهذا هنا، بطريقة أكثر ملاءمة لهذه المناسبة.

وفي نظريتي، يتمثل النموذج الأصلي el arquetipo لحكاية شعبية في الرواية الناتجة التي نحصل عليها عند مقارنة روايات كثيرة خاصة لنفس الحكاية، إلى أن نتوصل إلى أن النص يشبه إلى أقصى حد ممكن الرواية الأكثر هيمنة في المرحلة الوحيدة التي لا يزال يمكننا الوصول إليها، وإن كان وصولا محدودا، تلك المرحلة التي لم تكن سوى مرحلة بداية القرن التاسع عشر، تماما عندما بدأ أيضا تدهور الحكايات الشفاهية في محيطها الطبيعي: السمر الريفي. وكل هذا، وفقا لمنهج جرى إعداده من قبل، على أساس نظريات شكلية وبنيوية، وهو ما أسميه بالمنهج البنيوي-السيميولوجي estructural-semiológico. فتكون، بالتالي، رواية، ممثلة، ونموذجية-أصلية، لروايات أخرى كثيرة، تعتمد على سلامة ذلك المنهج، وبنسيج لغوي خال من كل نوع من الجماليات أو البلاغيات الأدبية، للحفاظ على بساطة الأسلوب الشعبي ولتمثيلها أيضا، وكما يمكن أن نرى، فإن الأمر لا يتمثل في إعادة كتابة، أي، في اقتباس حر. (وهذا ما قمت به إلى حد ما في مجموعتي للأطفال "حكايات الهلال الصغير" Cuentos de la Media Lunita، وقطعا في "غابة

---

(١) انظرْ في فصل (pág. 186) La construcción de nuestros arquetipos» ["بناء نماذجنا الأصلية"] في آخر كتاب أشرنا إليه. وأيضا فصل «Les contes de tradition órale en Espagne» ["حكايات التراث الشفاهي في إسبانيا"] في كتاب D'un conte... a l'autre, París, Editions du CNRS, 1990 ["من حكاية... إلى الأخرى"]. وكذلك فصل Los arquetipos del cuento popular ["النماذج الأصلية للحكاية الشعبية"]، في كتاب Literatura infantil de tradición popular, Univ. de Castilla-La Mancha, 1993 ["أدب الأطفال في التراث الشعبي"].

الأحلام" El bosque de los sueños). ويجدر بنا أن نميّز بوضوح بين إعادة الكتابة الحقيقية، كرواية حرة، وما هو مجرد تلاعب على هوانا، مطبّقا على نصوص أخرى – تشمل حتى نصوصا إثنوجرافية–، كما يفعل بعض الناشرين الذين لا ضمير لهم.

وهناك بُعْدٌ ثان يجعل من "حكايات قرب المدفأة" مقتطفات أدبية حقيقية، تشمل حكايات لمؤلفين آخرين، سواء أكانوا فلكلوريِّين، أو مقتبسين جيدين، أو مجرد فضوليِّين، كما في الحالات التي سبقت الإشارة إليها، أو مثل حكايات **فيرنان كاباييرو**؛ وقد خضعت بعض من تلك الحكايات لنفس منهج النموذج الأصلي، مما أدى في بعض الأحيان إلى إعادة صياغتها، ولكنْ أيضا مع تخفيفها من بلاغيات ثقيلة، وحتى من عناصر زائفة، أو عشوائية، أو ناشئة عن امتزاجات هوائية، تنتج من انتقال الحكاية عن طريق ذاكرة متدهورة إلى حد كبير، بدأت –كما قلنا– قبل ما لا يقلّ إلى الآن عن قرنين. ولتفكِّر في أنه، على حين أن الأغنية الشعبية romance، على سبيل المثال، اعتمدت على البنيان الثابت الذي يتألف من المقاطع الثمانية والقافية المسجوعة la rima asonante، لم يكن للحكاية ما يدعمها سوى البنية العميقة التي اكتشفها بروب propp في عام ١٩٢٧، والتي تستقرّ، مثل قواعد لغة، في لاوعي أشخاص، بالإضافة إلى كونهم أميِّين بصورة عامة.

حسنا إذن، مع كل هذا، يفرض الكتاب نفسه، من الوهلة الأولى، كشيء يبدو أن الناس كانوا يحتاجون إليه وينتظرونه منذ زمن طويل، يتعرفون فيه، بطريقة عفوية، على ما "حان الوقت"، وما يجمع "أخيرا" ويدمج ذلك الذي "كانت أمي"، أو "جدتي"، إلخ.. تحكيه لي؛ موقظا، بشكل عارض، مشاعر لا توصف، تجعل من مفهوم النموذج الأصلي شيئا أكثر يونجية junguiano [نسبة إلى عالم النفس **كارل يونج** Carl Jung]، وقريبا من الظلال الخفيفة الساحرة للاوعي الجمعي، والحنين

الطفولي العميق لكل شخص. وأنا أحتفظ بكثير من الشواهد بهذا الخصوص، وهذا ما لا أستطيع إلا أن أعترف به على الملأ، كما أفعل الآن، بعاطفة عميقة.

غير أنني كنت أقدّر دائما- أكثر من كل تلك المظاهر - تلك التي تأتي من عالم التعليم. وقد أرسل إليَّ المدرسون وكذلك الأطفال، من كل أنحاء الجغرافيا الإسپانية - وحتى من أمريكا، الشمال والجنوب- آراءهم، في كثير من الأحيان، ومعها إعجابهم التلقائي بشكل رائع، لكنها مصحوبة أيضا- وهذا ما سيكون- بطلب مفهوم: طبعة في المتناول اقتصاديا بصورة أكبر. وأعتقد اليوم أن بمستطاعنا أن نقدّمها برضى. وأتمنى للجميع المتعة، ولنفسي أن أظل أتعلم منكم جميعا. شكرا.

أ. ر. ألمودوبار

إشبيلية، ١٩٩٩

مدخل

بعض الأسئلة الأساسية:

الحكايات الشعبية هي سندريلا الأدب الإسباني. والحقيقة أن أي نوع أدبي آخر، بما في ذلك حكايات التراث الشفاهي (الحكايات الشعبية الغنائية، والأمثال، والأغاني الفلكلورية، والألغاز، إلخ.)، لَقِي منا اهتماما أكبر بكثير. والواقع أن ببليوجرافيا الحكايات، التي أجريت دائما تقريبا بجهود خارقة، لا تكاد تزيد قائمتها على أكثر من صفحة، حتى بحساب الكتب والمقالات التي يبدو اليوم أنها تستعيد اهتماما ينطوي على أمل. ماذا حدث؟؛ صعوبة؟، ازدراء؟؛ هل لأن حكاياتنا الشعبية نادرة، أو ربما مملة، أو حتى قبيحة؟؛ أم لأنها غير معروفة جيدا وتمت دراستها بشكل أسوأ؟

هذه الأسئلة، التي يمكن أن يطرحها غير المتخصص وكذلك قليل التخصص على السواء تقريبا، جديرة بإجابة هادئة وعميقة. وهذا هو ما نكرس له عملنا منذ سنوات، ونأمل مواصلته، فالأمر جدير بذلك، ويحتاج إلى وقت طويل (وإلى كثير جدا ممن يودون الانضمام إلى هذه المهمة الرائعة جدا).

ويجد أي مواطن عادي من فرنسا، أو ألمانيا، أو الدنمارك، أو إيطاليا، أو إنجلترا... ، في متناوله نسخة متاحة وموثوقة من الحكايات الشعبية الخاصة ببلده. فماذا سيحدث لو ذهبنا اليوم إلى مكتبة إسبانية بهدف مماثل؟ إن مواطننا العادي، المطحون، (كما في أمور أخرى بطبيعة الحال) سيكون عليه أن يعود إلى بيته، إنْ أراد، بكتاب لـ **بيرّو**Perrault ، أو **أندرسون** Andersen، أو **جريم** Grimm،

بترجمات سيئة على الأرجح، أو بأي كتاب ثانوي مليء بالصور الملونة. ومع ذلك، فالأسوأ هو موقف الأب أو المعلم الذي يريد استخدام حكايات بلده لأغراض تربوية، وبالتالي فإنه ينبغي التماس العذر لهؤلاء المواطنين إذا تكوّنت لديهم فكرة سيئة عن الثقافة الرسمية لبلدهم. وبماذا عساهم أن يشعروا عند معرفة أنه في أي منطقة من مناطقنا، على مدى عدة قرون، وإلى الآن، ولكن بصورة متناقصة، نجت روايات versiones قيّمة من "سنو وايت"، و"سندريلا"، و"توم عقلة الصباع"، و"ذو اللحية الزرقاء"، و"الساحر المبتدئ"، و"هانسيل وجريتيل"، و"الأمير النائم" (في إسبانيا: ليس الأميرة النائمة)، إضافة إلى "بلانكافلور"، و"الحية ذات السبعة رؤوس" و"قلعة اللي يروح ما يرجعش"، و"خوانيُو الدب"، و"الأمير المسحور"، و"عشب الريحان"، و"جلد القملة".. وكذلك كثير من الحكايات الأخرى، وهي لا تدين بشيء إلى نظائرها الأجنبية، بل كانت تنتمي دائما إلى تراثنا الثقافي.

قليل من التاريخ الشخصي، إنْ شئتم:

كانت المعالجة قليلا لهذه الفجوة أو هذه الفجوات، جزءا أساسيا من اهتمامنا: البحث عن نصوص لم تجر إعادة صياغتها، ولا إعادة كتابتها وفقا للذوق أو الهوى الشخصي، كما كان يحدث في أزمنة سابقة، وما زال يحدث إلى يومنا هذا، بل عن نصوص جرى إعدادها باستخدام منهج علمي، بطريقة تُتيح قراءة سلسة لكل من أراد استعادة تلك الحكايات الحلوة والمشوقة والمسلية، التي حكتها له جدته، أو الراعي الودود، من بين ضباب الطفولة، والتي لا تحتوي بجانبها الأكبر على تزويقات أدبية أو مواعظ. وتتمثل الخلاصة في فرض أهواء، وحتى أنانية، اللغوي والبنيوي في منح مظهر لائق وسهل المنال لهذه الكنوز، قبل أن تضيع تماما.

وعلينا أن نعترف بأن الفضل في "اكتشافنا" يرجع بجانب كبير منه إلى الحظ، ولم ينشأ من الإثنولوجيا ولا من علم الفولكلور، كما كان متوقعا، وبهذا الاكتشاف استؤنفت هذه المهمة الجليلة، التي بدأها منذ ما يزيد قليلا على قرن **أنطونيو ماتشادو** Antonio Machado، و**ألباريث** Álvarez، والد الشاعر الكبير-، بل جاء من المنطق الداخلي لبحث عويص بصورة أكثر بكثير: بحث النظرية اللغوية - الأدبية للسرد narración. ومدفوعين بالمناقشة الثرية التي جرت بين **ليفي ستروس** Lévi-Strauss و **ڤلاديمير بروب** Vladimir Propp في الستينيات، نلاحظ أن تراثنا القصصي، ظل يتحدث بصورة منهجية عن الجهود غير العادية التي قام بها آوريليو م. **إسبينوسا** Aurelio M. Espinosa في التجميع والدراسة في العشرينيات، والتي استكملها ابنه - الذي يحمل الاسم نفسه- حتى تاريخ سابق، لاندلاع الحرب الأهلية، التي غطّت على كل شيء (١).

ظاهرة تواريخ مدهشة:

ولهذا فإنه لم يكن من السهل أن يتواصل الاهتمام بالموضوع في الأوضاع التي وجد فيها نفسه داخل إسبانيا، لأسباب متنوعة جدا.

والحقيقة أن انقطاع الاهتمام الذي حدث بعد إعادة طبع دراسة **إسبينوسا** (في حالة عدم الإشارة إلى غير ذلك سيكون المقصود بهذا الاسم هو الأب) في عام

---

(١) أود التنويه بالمساعدة القيّمة للغاية التي قدمها لي دون آوريليو م. إسبينوسا (الابن)، الذي كان يرسل إلي، من جامعة ستانفورد قبل بضع سنوات، حكاياته غير المنشورة "حكايات عن السحر"، وبعض هذه الحكايات منشورة في طبعات أخرى لهذه المجموعة. وليس كتابه، "حكايات شعبية من قشتالة"، سوى جزء صغير من المادة التي جمعها عام ١٩٣٦، مستكملا المهمة التي بدأها والده عام ١٩٢٠.

١٩٤٦، ترك المسألة عمليا كما كانت في لحظة ازدهارها، التي كانت في عقدي العشرينيات والثلاثينيات؛ وهي المرحلة التي نسمّيها فيما بعد بالمرحلة الفيلولوچية، تتويجا للعملية الطويلة المتمثلة في الدراسات الفولكلورية التي تطورت في الغرب طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر[١].

ويحدث الانكماش، المفاجئ تماما في جميع النواحي، كنتيجة منطقية لا شك فيها، للحرب العالمية الثانية، وفي حالتنا، مثلما ذكرنا آنفا، للحرب الأهلية. والواقع أن أهوال صراعنا ملموسة في كل الأنشطة الثقافية التي عززتها الجمهورية مع كثير من الآفاق الواعدة، وتأتي العزلة الدولية لتزيد من حدة الصعوبات إلى حد ما هو معروف للجميع. وعلاوة على هذا، استنفد المنهج المقارن metodología comparativista عمليا مسيرته المثمرة، وكان على ما يسمى بـ "العلوم الإنسانية" أن يتمّ تأسيسها على معايير جديدة، بعد التحرر من التحيزات الرومانتيكية التي سادت إلى هذا الحد أو ذاك حتى عشية الحرب العالمية.

---

(١) رغم كل الصعاب، ومع القليل جدا من الدعم المؤسسي، ينبغي إبراز أعمال أركاديو **لارّيا بالاسين** Arcadio Larrea Palacín ، و **لويس كورتيس باثكيث** Luis Cortés Vázquez، و**ماريا خوسيفا كانيّيادا** María Josefa Canellada، ويضاف إليهم **ماكسيم تشيباليير** Máxime Chevalier، بدراساته عن الحكاية التراثية القصيرة. وقد تعاون معه مؤخرًا عالم الفولكلور **خواكين دياث** Joaquín Díaz في *Cuentos castellanos de tradición oral*: ["حكايات قشتالية من التراث الشفاهي"]، لإقليم بايادوليد. وفي الآونة الأخيرة، رأت النور أخيرا، مجموعة **ألفونسو خيمينيث روميرو** Alfonso Jiménez Romero: *La flor de la florentena*, Sevilla, 1991) [زهرة الفلورنتينا]، غير أنه يجدر التنويه على وجه الخصوص، لدقته، بعمل اللغوي الدنماركي **پول راسموسين** Poul Rasmussen، – الذي اختفى في ظروف مأساوية– *Sociolingüística andaluza*, 9 *(Cuentos populares andaluces)*. Univ. de Sevilla, 1994، [اللغويات الاجتماعية الأندلسية ٩، (حكايات شعبية أندلسية)].

وعلى كل حال فإنه لم يتحقق أيضا تقدم كبير في باقي البلدان الغربية في الدراسات الفولكلورية، ويمكن القول: إنه ليس مجرد مصادفة أن تكون آخر دراسة مفيدة فعلا عن الحكايات الشعبية *The Folktale* [الحكاية]، التي نشرها **ستيث تومبسون** STITH Thompson عام ١٩٤٦، وإنْ كانت مجرد ملخص لعمله الأساسي، الذي يعود تاريخه إلى عام ١٩٢٨. ولم تتوقف تيمة التواريخ عن إثارة إيحاءات خفية: ١٩٢٨، هي السنة التي انتهى فيها بروب من نشر كتاب الثوري *Morfología del cuento* [بنية الحكاية] في روسيا، دون أن يدري بقية العالم.

وباختصار، كانت الحرب الباردة تعني تقريبا، بالنسبة للحكاية، العزلة الإسبانية من جانب إلى آخر عبر الستار الحديدي، فيما يتعلق بالتبادل العلمي. وحتى عام ١٩٥٨، العام الذي اقترح فيه **جريماس** Greimas تعديلات على الترجمة الإنجليزية لكتاب **بروب**، لم تكن قد انطلقت شرارة الاندماج النهائي بين البنيوية الأوروبية والشكلية الروسية، الذي قام **ياكوبسون** Jakobson من قبل بتشجيعه في أمريكا الشمالية بالتعاون مع **ليڤي ستروس**. وأخيرا، في باريس، أعطت مدرسة الدراسات العليا ومؤسسات ثقافية أخرى دفعة إلى عمل فعال متعدد التخصصات، حول نظرية السرد، مع الاستعانة بما هو ضروري من علم اللغويات، والإثنولوجيا، والسيميولوجيا، وعلم النفس، وصولا إلى تكوين صياغات مشابهة للديالكتيك الماركسي. وكانت السنوات الأخيرة من الستينيات هي التي بدأ فيها أخيرا تيار جديد ذو تأثير علمي، في الدخول عبر جبال البيرينيس (لم يكن البنيويون مشكوكا فيهم من جانب نظام **فرانكو**)، ورغم أنه كان متأخرا قليلا، بدأ بعض الإسبان منا الاهتمام بتعويض الزمن الضائع، حتى وسط الأوضاع غير المناسبة لحياة أكاديمية متدهورة ومحبطة. إن التواريخ لا تزال تلعب دورا مهمًا في هذه الفترة الزمنية الوجيزة. وفي ١٩٧٤ وصل إلى بلادنا عمل جديد لـ **بروب** *Las raíces históricas del cuento* [الجذور التاريخية للحكاية]، يقوم، من منظور

ماركسي، بإحياء الفكرة القديمة المتعلقة بأصول الحكاية، كما كان الحال في أوروبا الغربية في ١٩٤٦. ولم يعرف أحد تقريبا أن التاريخ الحقيقي لكتاب بروب الجديد هو أيضا 1946!، وهو نفس تاريخ إعادة نشر عمل إسبينوسا في إسبانيا، وملخص تومبسون. ومما يُحسَب للروسي، كما يمكن أن نقول دائما، في حين أنه كان يضع الآخرين في اعتباره دائما، لم يأبه به الآخرون حتى ١٩٥٨.

لكنْ ما الحكاية الشعبية؟

ونحن لا نحاول هنا أن نحسم ما نشأ من جدل حول نظرية الأنواع الأدبية. فقط سوف تقترب بنا سلسلة معقدة من الإيضاحات من تعريف إجرائي. وتتعارض الحكاية بإيجازها (المفهوم النسبي الأول)، مع الرواية؛ ومع النكتة أو النادرة، التي فهمها كاستيليوني Castiglione لذلك على أنها قول "قصير وحاد" ذو طابع هزلي على عكس "السرد المتواصل"؛ ومع الخرافة، لأنها لا تكاد تحتوي على تطور درامي للأحداث أو الحبكة). (والأكثر صعوبة هي علاقتها بالأسطورة، وسيكون علينا الوقوف عندها بصورة أكبر). وبالنسبة لتكوينها الداخلي، يبرز الفعل المتكرر للحدثين أو سلسلة الأحداث التي تتكون منها الحكاية، رغم أن الثاني يكون مفقودا في كثير من الأحيان.

وبالنسبة لطريقة الانتقال، تتعارض الحكاية مع جميع الأشكال الأخرى، التي خلدتها الكتابة. وهنا، يستحق مصطلح "الفولكلوري" نظرة موجزة، فقد اكتسب شعبية مؤخرا، عندما يُراد تطبيقه على الحكاية وبطريقة ما، تحييد التمييز بين الحكاية الراقية وغير الراقية. صحيح أن الكثير من الحكايات التي تنتمي إلى التراث الراقي يوجد بعضها أيضا، وليس كلها- ولا حتى ما يقرب من كلها- في التراث الشعبي. ولكن لا يزال العكس أهم: الكثير من حكايات التراث الشعبي لم

تدخل قط في التراث الراقي. والصلة بين التيارين عارضة بصورة خالصة. وأخيرا، فإنهما ليسا ثمرة ابتكار فردي ولا مراحل تاريخية، بل ينتميان إلى إرث جماعي، يرجع تاريخه في بعض الأحيان إلى ألف سنة (خاصة "الحكايات العجائبية"). والحقيقة أن محتواه الثقافي الأبعد أتى من الشعوب الهندو-أوروبية ويرتبط بالتالي بالشعوب الهيسبانية.

وخلاصة القول هي أن الحكاية الشعبية الهيسبانية حكاية من التراث الشفاهي، قصيرة نسبيا (ولكن ليس بقدر النوادر)، وتشتمل على تطور لأحداث الحبكة، ينقسم عادة إلى جزأين أو سلسلتين من الأحداث (عادة ما تكون الثانية غائبة) وتنتمي إلى تراث جماعي يرتبط بالثقافة الهندو-أوروبية.

تصنيف الحكايات الشعبية

وقد جرى الجدال كثيرا أيضا بشأن تصنيف الحكايات الشعبية. وغالبية التصنيفات مستمدة من فهارس أرني-تومبسون Aarne-Thompson ولاحقا فهارس تومبسون Thompson، التي طبقها على إسبانيا ر. س. بوجس R. S. Boggs[1]، الذي لا يمكن تجاهل تراثه المنهجي، وإن لم يكن تفسيريا وفعالا بصورة كافية. وعلى الجانب الهيسباني، جرت العادة على تجميع الحكايات في حكايات "ألغاز"، وحكايات "بشرية متنوعة"، وحكايات "أخلاقية"، وحكايات "سحر"، وحكايات "حيوانات". وبشيء من التعمق في تلك المجموعات الخمس، نلاحظ العديد من النقاط الغامضة، والأخطاء وانعدام الدقة. ويكفي القول إن حكايات من نوع "لغز الراعي" لم يتم وضعها قط حيث تنتمي حقيقة، أي بين حكايات السحر أو الحكايات العجائبية. وقد تسببت أسماء الشخصيات، وصفاتها، والدوافع أو الحوادث المنفردة

(1) Boggs. Ralph S.,*IndexofSpanishfolktales*, en FFC, 90, Helsinki, 1930.

والمتعددة الغايات، في أشكال لا حصر لها من عدم الفهم. وهي جميعا مستمدة من تلك الفظاعات التي لا مفر منها والمتمثلة في الفهارس العالمية، التي سبقت الإشارة إليها، وهذا مماثل لما يحدث مع القواميس، التي لا تكون منفعتها اللغوية إلا نسبية، ولكنْ لا أحد يمكنه الاستغناء عنها.

تصنيـــفنـــا

وقد سخرت المدرسة البنيوية، كما كان متوقعا، من عمالقة القرن التاسع عشر، ذوي المعرفة الواسعة، فكم عدد المرات التي يمكن للمرء أن يلتقي فيها، وفي أي حكايات ومن أي مصادر، أو مناطق، أو بلاد، بظهور، موتيفة "التابوت الزجاجي" في سنووايت بكل رواياتها المختلفة في كل العالم، على سبيل المثال. والأمر السيئ هو، كما يقول البنيويون، أن كل ذلك الجهد الهائل لا يفيد إلا في توضيح أن الحكايات المتشابهة متشابهة. ولكن منفعتها، إذا كان علينا أن نكون منصفين، لا تكمن فيما تسعى إلى إثباته، وإنما فيما يكون في متناولها من أجل استخدامات أخرى، مماثلة لما يمكن أن يوفره نظام معلوماتي سليم، على سبيل المثال، عند تطوير نماذج أصلية أو عند الحصول على صورة مشروعة للشكل الأكثر شيوعا لحكاية في منطقة جغرافية محددة.

وفيما يتعلق بالحلم القديم للمنهج المقارن comparativismo، وهو تأسيس علم أنساب ونشأة الحكايات، فإنه موضوع مهجور وتابو عمليا، مثل موضوع أصل اللغة. وهنا ما تزال أسطورة بابل مثالا معبّرا للغاية.

ورغم المخاطرة بالتبسيط الشديد، سنواصل تصنيف الحكايات الشعبية إلى ثلاث فئات رئيسية هي: حكايات *عجائبية* (عن السحر أو "حكايات الجنيات"، مع أن هذه التسمية الأخيرة أجنبية)، وحكايات *العادات*، وحكايات *الحيوانات*. وربما كانت

الفئة الثانية أقلّها دقة، لأنها تحتوي على عدد كبير جدا من التصنيفات الفرعية، ويتمثل القاسم المشترك بينها، في الحقيقة، في صفة سلبية: إنها ليست حكايات عجائبية. أما بالنسبة لحكايات "الحيوانات" فهي تلك الحكايات التي يكون أبطالها حيوانات حقيقية يجري إضفاء الطابع البشري عليها، أي أنها تشخيص، وليست بشرا متحولين (كما في الأمير الضفدع، على سبيل المثال)[١].

وتتكون كل فئة من أنماط مختلفة، تظهر كنصوص في شكل روايات. روايتان أو أكثر. ومن نمط بذاته يمكن تطوير النموذج الأصلي. وعلى سبيل المثال: حكاية من مجموعتنا *"لغز الراعي"* هي النموذج الأصلي، قمنا بصياغته انطلاقا من الروايات المتنوعة لنمط الحكايات التي يأمل فيها الراعي أن يطلب يد الأميرة، وينجح في أن ينالها بدهائه و بمساعدة أداة سحرية. (هناك أنواع أخرى يرفض فيها الراعي هذا الزواج، اعتزازا بكرامته، بسبب فارق الطبقات، كما قلنا من قبل). وتنتمي هذه الحكاية إلى فئة "الحكايات العجائبية". وقد تكون هناك فئة فرعية في حالة وجود روايات موحدة حيث لا تكون المرأة العجوز(الساحرة الطيبة) هي التي تقدم الأداة السحرية (الناي السحري)، بل يمكن أن يجدها الراعي في الحقل أو يمكن أيضا ألّا تخدمه هذه الأداة حقا في اجتياز الاختبارات التي سيخضع لها، وتكون هذه الفئة الفرعية حكاية "شبه عجائبية" مثل حكاياتنا: "سنو وايت"، و"سندريلا"، و"الفتاة التي ليس لها ذراعان". وأخيرا، فإن تصنيف هذه الحكاية هو أنها "شعبية".

---

(١) تم اعتماد هذا التصنيف على أساس التصنيف الذي قام به **أفاناسييف** Afanásiev، في الحكايات الشعبية الروسية، رغم أنه وضعها بترتيب آخر: حكايات الحيوانات، والحكايات العجائبية، وحكايات العادات، التي تسمى في بعض الأحيان واقعية و"روائية".

وباختصار، يكون لدينا:

عنوان الحكاية والنموذج الأصلي: لغز الراعي.

التصنيف الأدبي: شعبية.

الفئة: عجائبية (وأيضا "سحرية" أو "حكاية جنيات"). (وستكون شبه عجائبية أي حكاية مفترضة شبيهة بحكايتنا، ولكنْ متدهورة جدا أو لا توجد فيها الوظائف السردية الرئيسية: اختبارات، تلقّي الأداة السحرية، إلخ.).

النمط: يسعى أحد الرعاة إلى طلب يد الأميرة وينجح في الزواج منها بفضل دهائه وبوسائل عجائبية.

الروايات: كل الروايات التي تتفق مع الخطوط العريضة لهذا النمط.

التنويعة: يمكن أن يشير فقط إلى جزء من رواية محددة، لها خصوصية ما.

وكان من حظنا أن نجد البنية الشكلية التي اكتشفها ڤلاديمير بروب سنة ١٩٢٨، والمتعلقة بالحكايات العجائبية الروسية، التي اتضح بعد ذلك أنها نفس الشيء من الناحية الأساسية في كل حكايات هذه الفئة، في محيط الثقافة الهندو-أوروبية. وسيرى القارئ بعد قليل ما هي تلك الوظائف وكم عددها، أي، كم عدد الخطوات الضرورية التي تتطلبها الحبكة من البداية إلى النهاية، المسماة بمفهوم مجرد (بُعْد، وتسليم الأداة السحرية، وقتال، ورحلة ذهاب،... إلخ.)، بصرف النظر عن المحتوى الملموس لكل حكاية. ويصل مجموع هذه الوظائف إلى ٣١ وظيفة، تقوم بها سبع شخصيات رئيسية: البطل، والبطل المزيف، والمعتدى، ومانح الأداة السحرية، والضحية، ووالد الضحية، ومساعدو البطل.

وعلى هذه القماشة، تُنسَج الحكايات القديمة "حكايات الجنيات"، مع إنقاص هذا الشيء أو ذاك، تقريبا، لكنْ مع الاحتفاظ باستقرار بنيتها. هذه البنية التي، رغم

أنها شكلية بصورة خالصة، فإنها تنطوي على معانٍ بعينها، لاسيما إذا ربطناها بالحقبة التاريخية التي نشأت فيها هذه الحكايات، أي، العصر الحجري الحديث الأدنى، فترة تكوين المجتمع الزراعي الجديد، والمستقر، والقائم على الزواج من خارج القبيلة، والمدافع عن حقوق الملكية الخاصة وتوريثها إلى الأبناء الشرعيِّين. وفي هذه الحكايات نفسها، يكمن نظام اجتماعي مختلف، هو الأقدم في المجتمعات القبلية، المتنقلة، القائمة على الصيد، والزواج من داخل نفس القبيلة، والممارسة لشيوعية بدائية، ويدخل في صراع مع المجتمع الجديد. وهناك صراع مشابه يفسره إلى حد كبير دينامية ومعنى الحكايات العجائبية وحكايات العادات.

وعلى هذا النحو فإن الوضوح الذي تُشعُّه هذه المجموعة من الأفكار حول الحكايات العجائبية، يصل إلى مداه في الفئتين الأُخْرَيَيْن، إلى حد وجود علاقة تناظرية واضحة، سنراها لاحقا، بين الفئات الثلاث. وتتلخص مهمتنا إلى حد كبير في تطبيق اكتشافات بروب على التراث المتدهور للحكايات العجائبية الإسبانية، وفي توسيع تلك الاكتشافات نفسها، وأشياء مشتقة أخرى، لتشمل حكايات العادات وحكايات الحيوانات – شبه الضائعة مثل السابقة – وبالاستعانة بمعايير وأدوات منهجية أخرى، مأخوذة من الإثنولوجيا البنيوية وحتى من التحليل النفسي.

وقد تمثل أكبر حظ لهذا العمل على وجه التحديد في تأخر مشروعه إلى أن حققت مختلف الفروع العلمية نتائج مفيدة لاستيعاب وفهم مادة جذابة جدا وزاهية الألوان مثل الحكايات الشعبية. وفي هذه الأثناء، تعرضت نفس هذه الحكايات، بطبيعة الحال، إلى تدمير وصل إلى درجات بالغة الخطورة حقا، وعلى حافة انقراض الحكايات فإن إنقاذ مجموعاتها الحية التي ما يزال من الممكن انتشالها يشبه كثيرا عملية إنقاذ المحتضر أو المساعدات الأخيرة التي يجب تقديمها إليه، على الأقل لكي يموت في سلام.

ونكذب إنْ قلنا إن هذا العمل كان مُوجهًا بوضوح، منذ البداية، إلى البحث عن تلك العلاقة بين الحكايات العجائبية والحكايات الأخرى. في البداية، كان لدينا بالكاد حدس مبهم بأن منهجية "حكايات الجنيات" يمكن أن تفيدنا في باقي الأنواع، مستندين إلى مؤشرات التقارب التاريخي والأسس الثقافية المشتركة. وإذا انطلقنا من التحقق من أن بعض الملامح المنفردة، المتشابهة في الحكايات العجائبية مثلما في حكايات العادات، أتت من فترات قديمة، متقاربة جدا، إن لم تكن هي ذات الفترات، كبقايا لانحدار الشعائر، والتابوهات، والطوطميات التي تمارسها المجتمعات التي في خضمّ التطور، من مجتمعات البدو الرُحّل إلى المجتمعات المستقرة. إنها بقايا الممارسات الجنسية بين المحارم، وطقوس تلقين الأسرار، وعبادة الموتى، وحتى أكل لحوم البشر، والبحث عن النار، التي كانت تظهر هنا وهناك، إلى جانب عناصر أحدث بكثير، مثلما في أيامنا هذه تقريبا، على الأرجح في القيام بإعادة استخدام مواد أكثر تعقيدا، حققتها البشرية، أو على الأقل المجتمعات ذات الأصل الهندو-أوروبي نفسه، على مدار تطورها الحافل. وهكذا فإنه حتى في أيامنا هذه، يمكن لتلك المواد نفسها التي تحولت إلى رموز للاوعي، واللاشعور الجمعي، بمقتضى معالجة "فنية"-، مع بقائها شعبية-، أن تواصل نقل مفاتيح شفرة قديمة للحضارة إلى أبنائنا: الحضارة الغربية، بكل صراعاتها الداخلية. والحقيقة أنه في هذه الحضارة لم تختف معايير محددة للنشاط الاجتماعي، أشبه وظيفيا بطقوس تلقين الأسرار وأعراف قديمة مثلها. إنها طرق جديدة في اختيار أفضل الشباب للوصول إلى مناصب مرموقة، أو أشكال جديدة ودقيقة للنظام الأمومي، أو طرق جديدة وأيضا ذات طابع طقسي لعبادة الموتى وشخصية الزعماء. والواقع أن علاقات الصراع مع الوالدين، والبحث عن شريك، والابتعاد عن البيت، أو بلوغ سن الرشد، والملكية الخاصة الوراثية، وكل ما يحكم مجتمعاتنا، ما تزال تشبه التمائم، والمحرمات والأساطير، التي تضعنا أمام دلائل على أنه بعيدا عن الشفرات العقلانية توجد شفرات خفية للعالم الذي نعيش فيه،

وهي بجانبها الأكبر مستمدة ومتحولة من أولئك الذين كانوا يحكمون أسلافنا في عهود ما قبل التاريخ.

وبالتالي فإنه على هذا المستوى التاريخي- الاجتماعي، تغدو كل الحكايات الشعبية حكايات عادات. ويبقى فقط تمييز واكتشاف مسألة مع أي عادات اجتماعية تتوافق، وما إذا كانت تلقّت معالجة عجائبية أم لا. وكان من الضروري بطبيعة الحال التحقق من أن قدَم بعض الحكايات (العجائبية والعادات على وجه الدقة) كان في الواقع في نفس الفترة، أو في فترة قريبة للغاية، وفي علاقة تناظرية مع ما كان في المرحلتين البشريتين اللتين ناقشناهما من قبل: مرحلة التنقل ومرحلة الاستقرار. وتؤكد ذلك حقائق مثل وجود حكايات الحيوانات بين السومريين أو "السندريلات" البدائية في أعراف مصر القديمة.

وبين الحكايات الهيسبانية القديمة عن أعداء المرأة، ما زال يمكننا أن نجد خوان الأحمق متسلقا عارضة السقف ليلة زفافه حتى لا يدخل في اتصال مع زوجته، خاصةً في تلك الليلة، مثلما جرى العُرف في كثير من المجتمعات القديمة اعتقادًا منها في اللعنة الأنثوية، وفي القوة الخفية للمرأة، ويثبت هذا أن المجتمعات البدائية قد حولت فعل حَكْي حكاية - تطهير جمعي- ، إلى أساطير، أو خرافات، أو إلى دوافع للضحك، وهي أقدم الممارسات الطقسية. وقد أدى هذا التحويل إلى نشأة الأيديولوجيات القائمة إلى يومنا هذا، كما أن الاعتقاد في تفوق الرجل على المرأة - إذا تابعنا نفس المثال-، ليس سوى دليلٍ بسيط.

ومن ثم، فإن تلك الحكايات التي نسميها هنا حكايات العادات، تشمل في كثير من الأحيان اقتباسات ساخرة من مواضيع عجائبية لتتلاءم مع الاحتياجات الجديدة لتمثيل المجتمعات الزراعية، التي تفتقر إلى كل بُعْدٍ فانتازي أو غير قابل للتصديق، ولكنْ مع الحفاظ على التشابه البنائي، وأحيانا على عناصر عجائبية منفردة. وسوف نناقش هذه المسائل لاحقا، عندما نقدم حكايات العادات، بشكل أكثر تفصيلا.

وداخل كل فئة من الحكايات، نلاحظ تشابهات في التيمات، ودوافع ثانوية متكررة وموحدة بطريقة أو بأخرى، أو شخصيات غير عادية، أو حتى وظائف اجتماعية محددة. ويُفسح كل هذا مجالا لتكوين المجموعات. وهكذا توصّلنا إلى تكوين المجموعات الثلاث والعشرين لتجميعاتنا، التي تتبع الترتيب الألفبائي (الأبجدي في ترجمتنا العربية)، بالإضافة إلى عنوان لكل تجميعة منها، وفقا للملامح الرئيسية للحكايات الواردة فيها. إلا في حالة واحدة، استثنائية حقا، حيث قمنا بتكوين مجموعة من حكاية واحدة، وهي *خوان الدب*. ويفسر هذا التناقض الواضح إلى أي مدى كان نصنا هذا هو النموذج الأصلي لكثير من الروايات الموجودة لقصة الأسلاف هذه، عن ابن من نسل امرأة ودب، وكل الحكايات التي تحتفظ بتناظرها معها (بصورة رئيسية، *خوان ونصف*، وجلد *القملة*) حكايات عادات، لافتقارها إلى الأداة السحرية.

وتوجد في المجموعات الأخرى أيضا نماذج أصلية عديدة، بلورناها نحن بأنفسنا انطلاقا من الروايات المعروفة لهذه الحكاية أو تلك. (في إشارات وملاحظات مختلفة يبقى التحقق من أيها تمثل نماذج أصلية، وأيها تمثل روايات أخرى مباشرة إلى حد ما).

النماذج الأصلية

تفرض حالة التدهور القصوى التي وصلت إليها تلك النصوص الحاجة، ليس فقط من أجل الجمهور الهائل، بل في سبيل العلم، إلى بلورة بعض النصوص السهلة القراءة، التي تظهر فيها الحكايات الشعبية كاملة. وفي بعض الأحيان، تمتلك رواية مأخوذة من الراوي مباشرة، تلك الصفات، مع وضع بعض اللمسات الطفيفة التي لا مناص منها. ومن المؤسف أن هذا هو الأقل شيوعا. وكانت هناك حاجة، بالتالي، إلى المقابلة بين كل الروايات المتاحة، واختيار أفضلها، وتنقيتها من

الإضافات والاختلاطات، وإحلال هذا العنصر أو ذاك الذي تؤكد لنا البنية العامة أنه يجب أن يكون موجودا في نقطة ما في الحكاية، لكنه لم يظهر في أي من الروايات المتاحة؛ وإعادة تكوين بنية الحكاية عندما كان يتم تغييرها، وفي النهاية، كل عمل نجرؤ على وصفه بأنه ترميم، من أجل "ضبط نَص"، وهذه هي المهمة الأولى لعالم الفيلولوچيا. مع فارق يتمثل في أن عالم الفيلولوچيا يتعامل، لحسن حظه، مع نصوص مكتوبة، وعندما يتعامل مع نصوص من التراث الشفاهي (الأغاني البطولية أو الأغاني الشعبية) يعتمد على عون لا يقدَّر بثمن من الإيقاع، والقافية، والموسيقى أحيانا. وكل هذا، على وجه التحديد، هو ما يساعد مُغني الأغاني الشعبية نفسه على حفظها في ذاكرته. وعلى العكس من ذلك، يفتقر راوي الحكايات الشعبية إلى هذا الدعم الواضح، رغم أنه يعتمد، تماما مثل الباحث، على نفس بنية الحكاية، التي هي مرشده الحقيقي غير الواعي.

وتختلف فكرتنا عن النموذج الأصلي، إذن، عن "الرواية الأولية" versión primitiva، كما أراد إسبينوسا وكل باحثي المنهج المقارن من اتجاه أو آخر، المنجذبين دائما نحو الإغراء الخيالي للتكوين، لأصل الحكاية، ومع أن هذا بعيد المنال- وحتى إذا كان يمكن الوصول إليه، لكان من المحتمل أن نجد روايات جنينية، مثل سندريلات مصر القديمة- لا يبقى أمامنا إلا استخدام التمييز تناظريا بين لغة ولهجة. ولغة الحكاية هي نموذجها الأصلي، والتجريد الناتج عن ذلك قادر على تفسير مجمل الحكاية باختصار. في المقابل، تتمثل لهجات الحكايات في رواياتها المختلفة التي يمكننا أن نلقاها. (وهذا التمييز مفيد، على الأقل منهجيا، رغم أنه في الواقع، كما أشار ليڤي ستروس، يتم تحييد اللغة واللهجة، أو تكونان في العادة نفس الشيء، في التجليات الفلكلورية).

ومن وجهة النظر العملية، ترتكز نماذجنا الأصلية على أفضل الروايات الموجودة، وفقا لحالة بنيتها، وإلى كمية العناصر المتكررة في روايات أخرى، مع الحذف أو الإضافة وفقا لما شرحناه في عمل الترميم هذا.

وإلى هنا، كان وصف عملنا والمدى الذي كنا نريد الوصول إليه، بالغ الاختصار. والواقع أنه لم يكتمل، بل حتى بعيد عن الاكتمال، فالعمل الميداني لا يزال يتواصل، ونحن ما زلنا ننتظر منه أخبارا قيمة عن حكايات اختفت من الناحية العملية، ولم يتبقَّ منها سوى قصاصات أو تواريخ مبعثرة ومختلطة مع حكايات أخرى. كما أننا لم نُدرِج في هذه المجموعة الحكايات الشعبية الجنسية، التي نشرناها بشكل منفصل.

مراحل ومدارس في جمع الحكايات الإسبانية

ويجب التمييز بين ثلاث فترات رئيسية في دراسات الحكايات الشعبية الإسبانية، مع الببليوجرافيا الخاصة بها. وتمثلت ذروة الفترة الأولى في شخصية **فرنان كابايرو** Fernán Caballero في منتصف القرن التاسع عشر، في مرحلة نسميها المرحلة *الفولكلورية-العاداتية* folclórico-costumbrista. وتتزامن الثانية تقريبا مع عقد الثمانينيات من القرن نفسه، وكان رائدها **دون أنطونيو ماتشادو وألباريث**، والد الشاعر الشهير، فيما يمكن تسميته بالمدرسة *الفلكلورية-الوضعية* folclórica-positivista. وتقع المرحلة الثالثة بين عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، مع **آوريليو م. إسبينوسا** بصفته الشخصية الأكثر بروزا في المرحلة *الفلكلورية- الفيلولوجية* folclórica-filológica، التي تتبع المدرسة الفنلندية.

وتظهر الحكايات التي جمعها وأعاد صياغتها **فرنان كابايرو** بشكل أساسي في المجلد الخامس من أعماله (BAE, CXL)، تحت عنوانين: Cuentos y poesías populares andaluzas [حكايات وأشعار شعبية أندلسية] و Cuentos de encantamientos [حكايات السحر]. وفي المجموعة الأولى، هناك حكايات قليلة جدا، وكلها لا يمكن التعرف عليها، من الناحية العملية، لغاية علمية. وقد تلقت حكايات المجموعة الثانية أيضًا معالجة أدبية ثرية للغاية، ولكن بعض الروايات

مثل تلك التي بعنوان "فارس السمك"، المتطابقة مع الحكاية الأساسية "الحية ذات الرؤوس السبعة" مفيدة بالفعل.

وبالنسبة لأعمال دون **أنطونيو ماتشادو وألباريث**، فإنها تتبع بعض المقاربات التي تقع في وسط الطريق بين إعادة الصياغة المبالغ فيها لباحثي المنهج المقارن وشكوك علماء الفيلولوجيا في المستقبل في تجميعهم للروايات كما سُمعَت. والحكايات التي تم جمعها تحت إشراف **ماتشادو وألباريث** موجودة على رأس "مكتبة التراث الشعبي" في المجلدات الأول، والثاني، والخامس، والثامن، والعاشر. وهي في مجملها أربع وأربعين حكاية، تنتمي إلى مناطق متنوعة في إسبانيا، وقام بتجميعها كتاب مختلفون. ويرتبط الموقف الأيديولوجي للعالم الفولكلوري الكبير بلحظتَين مختلفتين في مفهومه عن الأدب الشعبي: الكراوسية la krausista (الأيدولوچيا التفسيرية) والوضعية positivista (لمحة داروينية، تميل إلى الموضوعية). وفي الواقع، لم يذهب **ماتشادو** و **ألباريث** إلى أبعد من مقارنة أولية في توتر دائم بين العالمي والمحلي. وكانت الاستفادة من تلك الأربع وأربعون حكاية لهدفنا، بدرجات مختلفة جدا، وكانت تعتمد على الإحساس الذي جمعها به مختلف الجامعين، ويبرز بينهم دون **أليخاندرو جيتشوت** Alejandro Guichot، ودون **سيرخيو إرنانديث دي سوتو** Sergio Hernández de Soto، ودون **إوخينيو دي أولاباريّا** Eugenio de Olavarría.

وقد سمح انتشار معلومات عن الحظ الذي حالف الحكايات الشعبية الإسبانية في التغلغل الكولونيالي العميق بأن يأتي "أحد هيسبانيِّي أمريكا المتحمسين" إلى إسبانيا عام ١٩٢٠ وأن يتنقل فيها من أقصاها إلى أقصاها، وأن يجمع حكايات شعبية من الصوت الحي لرواتها، الذين كان لا يزال من السهل نسبيا الوصول إليهم في ذلك الحين. وكان اسمه **آوريليو م. إسبينوسا**. وبفضله، وبفضل ابنه الذي يحمل نفس الاسم، تم جمع أكثر من خمسمائة رواية في قشتالة فقط، وتم إنقاذ جزء كبير من هذا الكنز القديم لثقافة بلادنا.

عن جغرافية حكاياتنا

ولسنا في حالة تسمح لنا بأن نحدد بدقة، كيف تتوزع الحكايات الشعبية على جغرافية إسبانيا (ولا حتى جغرافية النطاق القشتالي)؛ ولا تواتر أو كثافة هذه الحكاية أو تلك، من هذه الفئة أو غيرها، ولا الملامح الخاصة بتأقلمها في كل منطقة، بما تشمله من عادات وتقاليد. فإننا وإذا تتبعنا المادة المتاحة فإننا سنجد على الأغلب بعض المؤشرات، التي ستكون مفيدة بشكل خاص، لعلم دراسة اللهجات dialectología وربما بصورة أقل لعلم الإثنولوچيا.

وهذا عمل لا يزال ينبغي القيام به، ولم يَعُدْ أمامنا سوى سنوات قليلة، فعما قريب سيموت كل الرواة الجيدين الذين لا يزالون باقين في هذه الجبال وتلك الوديان.

وهناك، ببساطة، جهات في بلادنا لم يصل إليها مطلقا أي جامع حكايات. ونحن لا نعرف شيئا تقريبا من مورثيا، ولا من جزر الكناري (باستثناء أساطير الجوانتشيِّين التي جمعها **جارثيا دي لا تورّي** García de la Torre)، والقليل جدا من أراجون (التي ظُلِمَتْ بسبب الصورة العنيدة للهجتها "الباتورِّو" baturrismo) ما عدا حكايات **أركاديو لاريا**، أو حكايات **باسيلجا** Baselga، أو **لافوينتي** Lafuente أو **إيوسيبيو بلاسكو** Eusebio Blasco، بين كثير من الجامعين والمقتبسين. ونحن لا نعرف من هذه المنطقة سوى رواية واحدة من الحكاية الشعبية "خوان الدب"(١). كذلك فإن أخبار الأندلس الشرقية نادرة جدا، رغم أننا واثقون من الثراء القصصي لمناطق مثل في سانتا فيه أو سان بدرو دي ألكانتارا. ومرة أخرى بفضل **لاريا**، نعرف بعض الحكايات من كاديث، إضافة إلى تجميع حديث مكون من اثنين وثلاثين حكاية لـ **خوان خ. ساندوبيتي** Juan J. Sandubete.

---

(١) نستند هنا إلى كتاب Antonio Beltrán Martínez: *Introducción al folklore aragonés*
[كتاب: "مقدمة للفلكلور الأراجوني" لمؤلفه أنطونيو بلتّران مارتينث].

وهناك اختلاف واضح في القطاع الغربي من اللغة القشتالية، وفي منطقة تأثيرها التي قام بدراستها بصورة أفضل **يانو** Llano و**كاربال** Carbal و**كانييادا** Canellada، في أستورياس؛ **مانول يانو** Manuel Llano في كانتابريا؛ آل **إسبينوسا** في القشتالتين وليون، ويجب أن نضيف إليهم كتب **كورتيس باثكيث** Cortés Vázquez عن سالامانكا وسانابريا؛ **كورييل ميرتشان** Curiel Merchán و**إيرنانديث دي سوتو** Hernández de Soto في إكستريمادورا (وهي على الأرجح أشهر منطقة)؛ وفي الأندلس الغربية، نضمّ **آوريليو إسبينوسا** من جديد إلى المؤرخين **فرنان كابايرو**، و **ماتشادو وألباريث**.

وكما يمكن أن نلاحظ فإن اتجاه الأغاني الشعبية الذي عمل فيه دون **رامون مينينديث بيدال** Ramón Menéndez Pidal وتلاميذه، يتطابق بصورة تدعو إلى الشك، مع أفضل دراسة للحكايات؛ حيث لا يجب أن يكون هناك أي مجال للتطابق، حيث إن هذا هو الاتجاه الذي اقترحه، في الأصل، ذلك القادم من أوبييدو على القادم من كاليفورنيا، دون **آوريليو إسبينوسا**، في ١٩٢٠.

فهل كان هذا لأن المنطقة الشرقية أقل ثراءً؟ إن مَنْ يجرؤ على تأكيد هذا الشيء يمكنه حقا أن يترك هذه المهمة. ضَعْ في اعتبارك أن كاتالونيا مجاورة لأراجون أكثر من باليا ريس(أما بالنسيا فهي أقلّ شهرة)، أضفْ المنطقة التي أنتجت أكبر عدد من المجموعات عالية الجودة، مثل مجموعات **خوان أماديس** Joan Amades، و**ألكوبر** Alcover، و**ماسبونس ولابروس** Maspóns y Labros، و**آوريليو كابماني** Aurelio Capmany، و**سيرّا وبولدو** Serra y Boldú، وكثيرين آخرين (في كاتالونيا فقط، إضافة إلى أكثر من ستة عشر جامع حكايات عند منعطف القرن). وقد استفادت جاليسيا أيضا من "نهضت"ها في القرن الماضي، وإنْ بصورة أقل من كاتالونيا، بفضل **لاماس كارباخال** Lamas Carvajal، و**مانويل لوجريس** Manuel Lugris وآخرين، الذين تنضمّ إليهم مجموعات ودراسات جديدة

في زمننا هذا، مثل مجموعات ودراسات منطقة بيجو ولوجو. كما كان لدى إقليم الباسك أيضا دارسون جيدون، مثل **جييرمو دي همبولدت** Guillermo de Humboldt، الذي أكد على نحو قاطع: "ليس هناك شعب مولع بالحكايات كأهل الباسك"(١). واستند في ذلك إلى مُناصر بارز لهذه الفكرة مثل **خوليو كارو باروخا** Julio Caro Baroja.

ويمكن أن نتحدث بطريقة أكثر تخطيطا. لقد ركزنا في هذا الكتاب في سياق دراسة حكايات منطقة شبه جزيرة قشتالة، على المجموعات والدراسات الموجودة وعلى الأعمال الميدانية التي نقوم بإجرائها، والتي يجب أن يكرس لها كل المهتمين بهذا الموضوع جهودهم، قبل أن يفوت الأوان. وفي وقت لاحق، إذا حالفنا الحظ، تبقى أيضا الحكايات الأمريكية من أصل إسباني، التي يُحتمل أن تكون معروفة ومدروسة، في الوقت الحالي، بشكل أفضل من حكاياتنا نفسها.

تنويه للقراء

ونقدم بعض النصائح للقراء، ربما لأنه لم تَعُدْ هناك أي إرشادات من نوع آخر. أولا- سيكون مثمرا أكثر، بالنسبة للقارئ غير المعتاد على الحكايات الشعبية الإسبانية، أن يقرأ الحكايات مباشرة، وبعد ذلك يمكنه- إنْ أراد- أن يرجع إلى التوجيهات، والملاحظات، والملحقات. وهكذا سيكون من الأسهل بكثير استيعاب ما تقوله تلك الأجزاء من الكتاب.

ثانيا- هذه الحكايات للكبار كما هي للصغار، وإن كانت قد جرت العادة على أن تكون أكثر للصغار. ومن الواضح تماما أن سمر القرويِّين، أو الاجتماع في فناء الجيرة، أو اجتماع مجموعة عائلية ينعقد "حول المدفأة"، عندما كانوا يحكون

(١) مقتبس من Caro Baroja en *Algunos mitos y ritos equívocos*. p. 90 .

حكايات، لم يكن يميّز مطلقا على أساس العمر. وعلى وجه التحديد فإن قوة رسالتها إلى المجتمع كانت تكمن في الحضور غير المتجانس لأفراده. وما من أدب آخر في العالم يملك هذه السمة الاستثنائية.

النصيحة الثالثة: هذه الحكايات هي الحكايات الأصلية للتراث الشفاهي التي كانت تحكيها جدات هذه البلاد، إلى وقت غير بعيد، وهي عمليا نفس الحكايات من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وإنْ كانت تكتسي في كل مكان- وكل قرية صغيرة، وفي كل حي أو ضيعة ببعض السمات الفريدة وذات المذاق الخاص. وتوجد كثير من هذه السمات في هذه الروايات، والتي يتمّ عن طريقها بسهولة تحديد من أي منطقة نشأت. ويقدم هنا معرضا كاملا-أو شبه كامل- من روايات "بلانكافلور"، و"خوان الدب"، و"الحية ذات الرؤوس السبعة" وقلعة "اللي يروح ميرجعش""، و"نبات الريحان"، وأيضا كل حكايات الذئب والثعلبة، حتى حكاية "زفاف العم بيريكو"، إضافة إلى حكاياتنا الأصيلة "السندريلات" و"السنووايت" وأخيرا، المجموعة الرائعة من الحكايات الهيسبانية العتيقة، التي يعتقد الكثير من الناس- ولا نريد أن نعرف لماذا- أنها "أوروبية": ألمانية، فرنسية، أو شيء من هذا القبيل.

النصيحة الرابعة: من هنا تتمثل أصالتها وعذوبة لغتها، اللتين لا ينبغي أن تُدهشا أحدًا، ولا حتى أن تخيفا أحدًا، ولو لم تكن هذه الحكايات بهذه السمات، لما كانت على ما هي عليه في الوقت الحالي، وما كانت عليه دائما، ولعلها تظل هكذا لوقت طويل.

الحكايات العجائبية

الحكايات التي أثارت اهتماما غير عادي في مختلف فروع العلوم الإنسانية، خلال الستينيات وجزء من السبعينيات، هي الحكايات العجائبية (وهي تسمية في إسبانيا لها جذور شعبية محددة فقط في منطقة كاتالونيا)، منذ أن بدأ ينتشر الكتاب الأساسي لـ ف. بروب، الذي سبق ذكره، وهو *مورفولوجيا الحكاية*، الذي كان

مجهولا في أوروبا الغربية؛ بسبب تأثير المدرسة الجيرمانو-فنلندية. والمقصود فئة من الحكايات تمتلك بنية وسمات مميزة أخرى، ثابتة بصورة كافية على مدى القرون، ومتشابهة جدا في كل الثقافات التي يمكن تجميعها منها، ولم يمنعها كل هذا من التأقلم مع كل ثقافة منها في جوانب غير بنيوية، بصورة عامة، ولكن لا يزال لها مذاق محلي قوي.

وقد اتخذ **بروب** موقفا حكيما أساسيا وهو تفادي أن تكون أسماء الشخصيات، وصفاتها، والدوافع أو الأفعال المنفردة عناصر تعريفية، وهذا هو ما أدى بالمنهج المقارن إلى طريق مسدود، إلى كومة من البيانات التي يمكن ربطها بطرق عدة، دون أن تعطي ولا واحدة منها تفسيرا مهمًا، ووظيفيا، للحكاية. فقد انطلق الباحث الروسي من المقدمة المنهجية المتمثلة في أنه قبل معرفة الشيء وأصله، من الضروري وصف أجزائه والعلاقة بينها.

وينتمي الجزء الأساسي أو الوحدة الأساسية للحكاية والتي تتلاءم مع هذا الوصف، إلى السرد نفسه، الذي يسميه **بروب** "وظيفة": "فعل تقوم به شخصية محددة من وجهة نظر الحبكة[١]". وقام **بروب** بعزل واحد وثلاثين من هذه الوظائف، التي يمكن تجميعها في ثنائيات أو مجموعات، وبعضها مثير للجدل[٢]. والسمة المميزة الرئيسية أو "القانون" الرئيسي لهذه البنية تتمثل في أن كل وظيفة من وظائفها تحفظ مكانها في تتابع السرد، رغم أن بعض الوظائف السابقة أو اللاحقة مفقودة[٣].

---

(1) *Morfología del cuento*, Madrid, 1971, p. 33.

(٢) مناقشة منهج **بروب**، يوجد أساسا، في أعمال **ليفي ستروس**، و**جريماس**، و**بريموند** Bremond.

(٣) وصلت وظائف الحكاية العجائبية إلى إحدى وثلاثين وظيفة، بالإضافة إلى الموقف الاستهلالي. وتوجد بينها ست وظائف يمكن تكرارها (من الثامنة إلى الرابعة عشر). ولكل وظيفة منها رقم، وتعريف مختصر، ومصطلح، وحرف (يوناني أو روماني)،=

=ويوجد، أحيانا، بدلا من الحرف، رمز عشوائى؛ رُمْح، على سبيل المثال. وهى بمجملها كالآتى:

موقف استهلالى: a

وظائف تحضيرية (I-III):

I أحد أفراد الأسرة يبتعد عن البيت. ابتعاد: ß

IIيقع على البطل حظر القيام بفعل بعينه. حظر: γ

III ينتهك الحظر. انتهاك: δ

بعض الوظائف النادرة في الحكايات الإسبانية (IV-VII):

IV يحاول المعتدى الحصول على أخبار. استفهام: ε

V يتلقى المعتدى معلومات عن ضحيته. معلومات: ζ

VI يحاول المعتدى أن يخدع ضحيته ليستحوذ عليها أو على ممتلكاتها. خداع: η

VII تترك الضحية نفسها تنخدع وتساعد عدوها على مضض. تآمر:θ

VIII يؤذى المعتدى أحد أفراد الأسرة أو يصيبه بأضرار. جُرْم: A

نقص (VIIIa):

(a) VIII أحد أفراد الأسرة ينقصه شيء؛ أحد أفراد الأسرة لديه رغبة فى امتلاك شيء. نقص: α

IX ينتشر خبر الجرم أو النقص، يتم التوجه إلى البطل بسؤال أو أمر، يجذبه أو يجعله ينطلق. وساطة، لحظة تحول: B

X البطل الباحث يوافق أو يقرر أن يتصرف. بداية الفعل المعاكس: C

XI يترك البطل بيته. رحيل: ↑

يدلّ غياب الأداة السحرية على أننا أمام حكاية شبه عجائبية (XII-XIV):

XII يتعرض البطل لاختبار، استجواب، هجوم، إلخ.، تُهيئه لتلقّى أداة سحرية أو مساعد سحرى. الوظيفة الأولى للمانح: D

XIII يقوم البطل برد فعل تجاه أفعال المانح المستقبلي. *رد فعل البطل*: E

XIV تصير الأداة السحرية في متناول البطل: تلقّي الأداة السحرية: F

XV يُنقل البطل، مقّودا أو محمولا، قرب المكان الذي سيجد فيه الشيء الذي يبحث عنه. نقل:G

قتال-موت المعتدي (XVI-XIX): =

XVI= يتواجه البطل مع المعتدى عليه في قتال. قتال: H

XVII يتلقى البطل علامة. علامة: I

XVIII يُهْزَم المعتدي. النصر: J

XIX يتمّ إصلاح الجرم الأول أو إشباع النقص. إصلاح: K

XX يرجع البطل. عودة: ↓

XXI يصبح البطل مطاردا: مطاردة: Pr

XXII يتم تقديم مساعدة للبطل. إنقاذ: Rs

جرم جديد وعملية في سبيل إصلاحه (VIIIbis-XIVbis):

VIII bis يسلب المعتدون الأداة التي يحملها البطل أو الشخص الذي ينقله (جرم جديد 'A)

X-XI bis يرحل البطل مرة أخرى، ويبدأ البحث من جديد (↑C)

XII bis يتعرض البطل من جديد للأفعال التي تؤدي به إلى تلقي أداة سحرية ('D)

XIII bis رد فعل جديد من البطل تجاه أفعال المانح المستقبلي ('E)

XIV bis توضع في متناول البطل أداة سحرية جديدة (F)

XXIII يصل البطل متخفيا إلى بيته أو إلى منطقة أخرى. وصول متخفٍ: O

XXIV ينسب بطل مزيف لنفسه ادعاءات خادعة. إدعاءات خادعة: L

مهمة يتم إنجازها بصعوبة (XXV-XXVII):

XXV يتم تكليف البطل بمهمة صعبة: مهمة صعبة: M

XXVI يتم تنفيذ المهمة. تنفيذ مهمة: N

XXVII يتم التعرف على البطل. تعرُّف: Q

XXVIII يتمّ الكشف عن حقيقة البطل المزيف أو المعتدى، الشرير. اكتشاف: Ex

XXIX يتلقى البطل مظهرا جديدا. تحوّل:T

XXX تتمّ معاقبة البطل المزيف أو المعتدي. عقاب: U

XXXI يتزوج البطل ويصعد إلى العرش. زواج: °W

عناصر خفيّة: Y

ويمكن تلخيص الواحدة والثلاثين وظيفة لنظام بروب، في مخطط سردي ينطلق من جرم ارتكبه المعتدي، أو نقص، أو احتياج يعاني منه البطل أو أسرته (كلا الشيئين، أحيانا). وغالبا ما يكون حل العقدة هو الزواج، على سبيل المكافأة، على تحرير (فكّ سحر) الأميرة التي كانت مخطوفة، ومختبئة، وفي بعض الأحيان متحولة بفعل المعتدي. من المهم جدا أن يوضع في الاعتبار أن "مسحورة" من الممكن أن تعني أيًا من هذين الشيئين (*مخطوفة* أو *متحولة*)، وكذلك شيئا ثالثا: *مُغرر بها*، كل شيء منها بصورة مستقلة أو كلها مجتمعة.

ويتعرض البطل أحيانا للسحر (كما في حالة "الأمير المسحور") وتكون البطلة هي المكلفة بتحريره. ومن بين الوظائف السردية الوسيطة يجب أن نشير إلى: الرحلة أو الابتعاد عن البيت؛ الاختبار الذي يجب أن يخضع له البطل ليتلقى الأداة السحرية، التي ستساعده في مغامرته، من أيدي مانح؛ القتال مع المعتدي؛ رحلة العودة؛ المضايقة. (في هذه المرحلة من الحكاية من الممكن أن تتكرر مرة أخرى بعض الوظائف الأساسية، عندما يُسرق من البطل الأداة أو الشخص الذي تمت استعادته). وقد يؤدي ذلك إلى العودة متخفيا، والتعرف على البطل الحقيقي، وانكشاف المحتال، مسبوقا بشكل متواتر بمهام جديدة صعبة، يجب أن يقوم بها البطل ليجعل لنفسه قيمة أو ليتم التعرُّف عليه.

ووفقا لرؤيتنا فإن الوظائف الأساسية هي تلك التي تُقصد بها الأداة السحرية، والاختبارات التي يخضع لها البطل، والمهام الصعبة، والقتال مع المعتدي، ورحلات الذهاب والعودة، بهذا الترتيب حسب الأهمية. وينبغي بالتالي التعامل بحذر مع الرواية التي تكون فيها تلك المناطق من السرد ضعيفة. وبطريقة أكثر حسما: لا تكون حكاية عجائبية تلك التي لا تمتلك هذه الأداة السحرية التي تخدم البطل في إصلاح جُرْم المعتدي أو إشباع الحاجة الأولية للبطل نفسه أو لأسرته.

تعريف أكثر تقليدية

ومن وجهة نظر أخرى أكثر تقليدية، وهي تلك الخاصة بالشخصيات، يمكن تعريف الحكاية العجائبية بأنها تلك التي تشمل سبع شخصيات: البطل، والبطل المزيف، والمعتدي، ومانح الأداة السحرية، والضحية (عادة الملك)، ومساعدي البطل؛ ولكنْ طالما كانت هناك فكرة واسعة ومرنة عن مفهوم "الشخصية"، يمكن أن تتكون لكل شخصية منها أكثر من شكل طوال نفس الحكاية: المعتدي في "خوان الدب"، على سبيل المثال، هو الدب، والعملاق، والوحوش التي يكون على البطل أن يتقاتل معها. وسُميت كل صورة من هذه الصور المحدَّدة للشخصية *الممثل* actor وسُميت كل شخصية عامة *الدور* *actante*.

ويمكن، في بعض الأحيان، أن يحدث أن تتبادل شخصيتان وظيفتيهما، كما في الحالة الإسپانية لبلانكافلور، حيث يجب على الضحية، في تتابع الأحداث الثاني للحكاية، أن تساعد البطل على الخروج من ورطات، حتى تتحول هي إلى موجِّهة للحدث.

وفي العادة، تتألف الحكاية العجائبية من جانبين مختلفين تماما، مثل كل الحكايات الشعبية. وسيكون كل جانب منهما تسلسلا. وهذا ما نجده في "الحية ذات السبعة رؤوس وقلعة 'اللي يروح ميرجعش'"، فهي حكاية وحيدة بمظهر حكايتين. ويمكن للتسلسلين، كدافعين أو حلقتين للحكاية العجائبية، أن يكونا متعددي الاستخدامات، فيصلحان لأكثر من حكاية، وبالأخص التسلسل الثاني. وعلى سبيل المثال، تسلسل الأميرة التي تحل محلها زنجية أو غجرية تحوِّلها إلى حمامة، عن طريق غرز دبوس في رأسها، تصلح كجانب ثان في حكايتين مختلفتين: برتقالات الحب الثلاث وواحدة من أنواع "سنووايت"، وهي ماركييا وإخوتها السبعة.

والحقيقة أن ضعف التسلسل الثاني للأحداث، إلى جانب طابعه المتعدد الاستخدامات، يمثل أحد مصادر الالتباس في الحكايات الشعبية.

الوظيفة التاريخية والاجتماعية

وكان لا مناص من أن تتطور الوظيفة التاريخية والاجتماعية لهذه الحكايات، حيث لا يمكن أن تكون أقلّ من ذلك، من الوظيفة السحرية-الدينية التي لا شك في أنها كانت ماثلة فيها، في اتصال مع الواقع البدائي، أي، في سياق طقوس التشفُّع أو تلقين الأسرار، في مختلف المراحل البشرية السابقة على مجتمع التزاوج والملكية الخاصة المتوارثة.

وبالتالي، لا بد من أن تكون لعناصر الحكاية العجائبية جذور تاريخية، معروفة أو غير معروفة بالنسبة لنا، في عادات قديمة جدا (مثل حبس الأميرات في سن الزواج). وقد اكتسبت عادات كثيرة منها شكلا طقسيا، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالاحتفالات الرئيسية للقبيلة أو العشيرة، مثلما كانت احتفالات تلقين أسرار الجماعة لمعتنق دين جديد، لجعله يعتقد أنه كان يقضي بعض الوقت في مملكة الموت، التي يخرج منها بالغا، وبفضل تضحيات شخصية؛ أو مثل احتفال تكريس الآلهة، حيث يتم في كثير من الأحيان تقديم جزء من جسم الطفل، كقطعة من إصبع الخنصر، والذي بدوره يمكن استبداله بالختان.

وهكذا، فإن جميع عناصر حكاية عجائبية- من منظور الاتجاه الأنثروبولوجي- يمكن تفسيرها على أنها أشكال رمزية لتلك الممارسات إلى هذا الحد أو ذاك.

وفي بعض الأحيان، تثير رمزية الحكايات العجائبية مناقشات محتدمة، جرت العادة فيها على الانجذاب إلى أساطير العصور الكلاسيكية القديمة، للتأكيد على هذا المعنى أو ذاك، أو إذا ذهبنا أبعد من ذلك، يُعتقد أن هذه الحكايات تشتمل على رموز اللاوعي الجمعي، الذي يتشكل مع نشوء تلك القصص ذاته، كما تمثل هذه الرموز بوضوح عقدة أوديب ومفاهيم أخرى خاصة بالتحليل النفسي. وتنظر

مدارس أخرى بشك إلى هذه التفسيرات التي تنطلق من هوية محددة بين الحلم والأسطورة أو الحكاية العجائبية(١).

ومهما يكن من شيء فإنه يبدو واضحا أنه على مدى مئات الآلاف من السنين، تمثلت وظيفة الحكاية العجائبية، ما دامت قد بقيت طويلا بعد اختفاء الديانات القديمة ومجتمع العشائر أو القبائل (الذي كان الصيد هو المصدر الرئيسي لمعيشته)، في صون ذكرى أصولها، بصورة مجازية إلى هذا الحد أو ذاك، وربما أرادت بهذا التذكير، الواعي أو غير واعي، منع العودة إلى تلك الأشكال للحياة، مثل تلك الأشكال التي يمكن أن تنشأ عن كسر تابو الممارسة الجنسية بين المحارم، على سبيل المثال، أو عن التسامح مع الخطف والاغتصاب. وربما، في سياق سيميولوجيا أقرب، سيمنح الناس لأنفسهم مثل تلك الرؤى، التي صارت فانتازية اليوم، حتى لا يفقدوا، على النقيض، الوعي بالعالم الواقعي. والأمر الأكثر صعوبة هو تفسير معنى الاستخدام الإجباري من جانب البطل للأداة العجائبية، بعد أن يختار بحرية القيام بالمغامرة الخطرة لإنقاذ الأميرة. ويبدو أن الاستخدام الإجباري لهذه الأداة يرمز إلى القصور البشري المفروض من جانب الآلهة، أي، انعكاس حول عظمة الإنسان، رغم قصوره، وأكبر أشكال القصور هذه هو الموت، والحاجة إلى أن يكون الإنسان نفسه هو الذي يمنح معنى للعالم.

---

(١) أهم "محلل نفسي" للحكايات العجائبية هو برونو بيتلهايم Bruno Bettelheim، في كتابه *التحليل النفسي لحكايات الجنيات* *El psicoanálisis de los cuentos de hadas*. وعلى سبيل المثال، تختلف قراءة "سنووايت" في هذا الكتاب عن قراءة بروب في *الجذور التاريخية للحكاية* *Las raíces históricas del cuento*، التي تتناولها من منظور المادية التاريخية. ومن المثير للاهتمام، مع ذلك، أن يتأكد كيف كان من الممكن أن يؤدي نهجان متعارضان تماما على هذا النحو إلى نتائج متكاملة إلى حد ما، أو على الأقل، لا يستبعد بعضها بعضًا.

الحكاية العجائبية والأسطورة

أشرنا كثيرا إلى المشكلة المعقدة الماثلة في العلاقة بين الحكاية العجائبية والأسطورة. وهي المشكلة المتمثلة في معرفة ما إذا كانت الأساطير القديمة هي أصل الحكايات العجائبية، نظرا لضعف تلك الأساطير، أو ما إذا كان كلا الشكلين يتشاركان في أساس سردي مشترك، أشرنا إليه من قبل، وهو أساسٌ مستمدٌ من ممارسات طقسية ومن ديانات قديمة(١). ثانيا، إذا كان بقاء تلك الروايات على مر القرون والألفيات يشبع حاجة نوعية للعقل البشري، الذي يعيد باستمرار إنتاج هذه الميثولوجيات، تحت مظاهر مختلفة، أو إذا كانت تلك الأساطير البطولية، التي انتشرت في فجر المجتمع "المتحضر"، تصلح فقط كدعم أيديولوجي لذلك النمط من الصورة التي تتخذها البشرية.

وستكون مقارنات الحكاية العجائبية مع الميثولوجيا موضوعا للتدقيق، خاصة في التعليقات المتصلة بكل مجموعة في هذا الكتاب. وأكثرها شهرة هي: مقارنات "بلانكافلور" مع ميديا؛ "الأمير المسحور" مع إيروس وسايكة؛ "الأميرة المسحورة" مع بيرسيو وأندوميدا؛ "اليد السوداء" (ذو اللحية الزرقاء) مع هيلينا،

---

(١) كتب همبولدت Humboldt فى ١٨٠١، فى معرض حديثه عن حكايات الباسك: "إذا كان لا بد من البحث فى تشابه بعض سرود الباسك مع الحكايات الخرافية اليونانية عن بقايا نصف مختفية لأصل قديم مشترك، سمح لى ذلك بأن أشك. ذلك أنه يبدو لى أن هذا التشابه، شأنه في ذلك دون شك فى بعض الأحيان شأن التشابه بين لغات مرتبطة ببعضها البعض، ينشأ فى الواقع من تلقاء نفسه. ذلك أنه لا مناص من أن يكون المجال الذي تحوم فوقه الفانتازيا المبتكرة للحكايات واحدا فى كل مكان، لأن الفانتازيا والعواطف البشرية واحدة" (اقتبسه **كارو باروخا** فى كتابه *Algunos mitos....* p. 91). وهذه صياغة فريدة ذات طابع أنثروبولوجى، أردنا أن نعيد إنتاجها، لإظهار تناقض أكبر مع آراء الاتجاهات التاريخية والجغرافية، عن بعض المواد الإسبانية وفى مراحل مبكرة جدا للعلم.

سجينة تيسيبيو؛ "خوان الدب" مع يوليسيس ومع هرقل؛ وأسطورة فاوست أو بيع الروح للشيطان في حكايات عديدة، تمثل تيمة البداية فيها عدم وجود ذرية في زيجة، كأنه كان لدى المجتمع إحساس بالخوف نحو مؤسسة الزواج، القادرة على نقل الميراث، وتعكس نوعا من السخف، إزاء عدم وجود ذرية في بعض الزيجات. وتغذي هذه الأسطورة حكايات مثل "بلانكافلور" وحكايات أخرى، بصورة قريبة إلى هذا الحد أو ذاك.

هندو-أوروبي أم عالمي؟

وهناك جدال آخر دون حل، وهو متصل بالجدال السابق، عن تفسير الامتداد الجغرافي الهائل لأوجه التشابه بين أساطير وحكايات ثقافات متعددة، إما كنتيجة للهجرات (اتجاه تاريخي)، أو كانعكاس لعالمية الحالة البشرية (اتجاه أنثروبولوجي). وفي الحالة الأولى، سيقع الأصل الجغرافي في مختلف منحدرات القوقاز؛ الذي صار يُسَمَّى بالثقافة الهندو-أوروبية، التي لعبت شبه جزيرة إيبيريا دورا مهما في انتشارها وتجانسها على مر العصور المختلفة، وخاصة طوال العصور الوسطى. وتفسر هذه الأطروحة ظهور روايات من "خوان الدب" بين القبائل الهندية في أمريكا الشمالية بحكم تأثير الاستعمار الكولونيالي (رغم اعتقاد آرني في احتمال أنه كانت هناك صلات منذ ما قبل التاريخ لهذه الأساطير).

ويقول بروب، محاولا تجاوز هذا التناقض، إن "التشابه العالمي بين التيمات الفلكلورية أوسع وأعمق بكثير مما يبدو للوهلة الأولى". "لا نظرية الهجرات ولا نظرية وحدة النفس البشرية يمكنها أن تحل هذه المشكلة. إنما يتم حلها عن طريق الاستقصاء التاريخي للفلكلور في علاقته مع اقتصاد الحياة المادية"[1].

(1) *Las raíces históricas del cuento.* Madrid, 1974, p. 535.

الحكايات العجائبية الإسبانية: تقريب أولي

خصصنا في أماكن أخرى تدقيقًا واسعًا لهذا الموضوع، الذي كان الهدف الرئيسي لعملنا[1].

وسنقدم هنا تلخيصا لمقارباتنا.

ويستطيع القارئ أن يتصور في أي حالة سيجد معظم النصوص التي يمكن أن تصل إليه في شكل نصوص مُجمَّعة أو في شكل حي من الرواة. كذلك فإن التقلبات التاريخية العديدة لبلدنا، والضغوط الأيديولوجية والاجتماعية على بعض النصوص، المحكمة من حيث بنيتها، ولكنْ الهشة من حيث كل الباقي، تترك لدى الباحث للوهلة الأولى انطباعا محبطا بوضوح. كما أن امتزاج الحكايات، والمحذوفات، والدوافع المتداخلة، والتفاهات، إنْ لم يكن العبء الأدبي أو الأخلاقي لبعض الجامعين من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، أنتجت انطباعا أوليا بفوضى غير قابلة للإصلاح. كذلك فإن محاولات الكتابة الصوتية في بعض المجموعات (خاصة مجموعة **إسبينوسا**) تُلهم، على الأقل، الثقة بأنها كانت تماما كما قدمها لهم راوي الحكاية بدوره.

الرواة ذوو الخيال الواسع. الامتزاجات

ورغم ذلك، لدينا هنا، العقدة الجوردية nudo gordiano [مشكلة مستعصية قابلة للحل بسهولة بالخداع أو بالتفكير خارج الإطار- المترجمة]. فهل تستحق أي

---

(١) استطعنا بمنحة من مؤسسة خوان مارتش la Fundación Juan March، لسنة ١٩٧٧، إجراء دراسة أولي، لا تزال غير منشورة، كانت المناقشة النظرية فيها أوسع مما هنا. ومن تلك الدراسة تطور، كجزء منها، كتابنا: *Los cuentos maravillosos españoles*, Edit. Crítica, Barcelona, 1982.

رواية، لمجرد أن راويا قرويا، أميا في أغلب الأحيان، رواها، اعتمادها بإيمان عقائدي؟ ومن الملائم أن نلاحظ من أين يأتي الانحياز العقائدي حول عدم المساس بروايات الأدب الشفاهي. إنه لم يأت من جانب آخر غير الانحياز العقائدي الرومانتيكي الأوسع، الواقع بصورة خطيرة في شرك مفهوم "الشعب-المؤلف"، الذي جاء في الحقيقة للتأكيد على هويات قومية، ولكنه لا يقدّم أي خدمة للعلم.

ويجب أن نضع في الاعتبار، في عملنا، حق راوي الحكايات الشعبية، الذي لا يمكن إنكاره، في إدخال تنويعات من جانبه، وأن نقيس مداها جيدا؛ وفي بعض الأحيان، يُبرز التنويع تغييرا يمكن اعتباره كامنا، يتبلور أثناء انتقال الحكاية، خاصة في مجابهته مع تغيرات العقلية؛ وفي أحيان أخرى يمكن أن يتعلق الأمر بخدعة. ويتوقف على الباحث أن يضع أو لا يضع في اعتباره، ملامح محددة متنوعة، دون أن يكون عليه القبول كحقيقة مطلقة، بأي عنصر مأخوذ مباشرة، ولا مناقشته لأنه لا يظهر في روايات أخرى.

ولحسن الحظ، يتيح لنا المخطط الذي يمكن تطبيقه على حكاية عجائبية، من حيث معرفة بنيتها، بالإضافة إلى كل ثراء البيانات التي تمدنا بها الإثنولوجيا وعلم اللغة، أن نواصل السير بثقة كافية عند الاختيار أو الرفض، أو التمييز بين إضافة مزيفة وإضافة مقبولة. والأمر الأضمن، بالطبع، هو أن يظهر ملمحٌ مرتين على الأقل في روايتين مختلفتين، ولكنْ ليس علينا أن نكون مدققين بصورة مفرطة إذا ظهر فقط في رواية واحدة وتوافق مع ما تتطلبه الفجوة البنائية أو ما يتطلبه المنطق الداخلي للحكاية.

ويتمثل أصعب شيء على التمييز في الامتزاجات، التي تأتي منقولة عبر ميراث ثقافي بعينه. وقد عرف الفلكلوريون دائما أن الراوي، إما بسبب الرغبة الشخصية، وإما عن طريق الخطأ، يمدنا بروايات، تمتزج فيها حكايات مختلفة، في

بعض الأحيان لأنه يعتقد أنه بذلك يُسعد المحقق، وفي أحيان أخرى يغدو الخلط بين العناصر التي تطرأ على ذاكرته حتميا. وعلى سبيل المثال: الناي العجيب أداة سحرية في ثلاث حكايات إسبانية مهمة: "لغز الراعي"، و"الناي الذي يجعل الجميع يرقصون"، و"زهرة الليليلا". في الأولى، يستلم الراعي الناي من يد امرأة عجوز. وفي الثانية، نفس الشيء. ولكنه في الحكاية الثالثة ليس راعيا. ومن السهل أن يخلط أحد الرواة بين أول حكايتين، أو أن يضع أشياء منهما في الحكاية الثالثة، أو أن يأخذ من الثالثة لواحدة من الحكايتين.

كان الكثير من الجامعين يَعُون أن، حكايات محددة تم جمعها كانت عبارة عن مزيج من حكايات أكثر أساسية، وأكثر شمولا. ولكنهم فضلوا عدم مسها. وبطريقة ما، فإن هذا يفيد أيضا في البحث.

حكايات عجائبية أساسية

من الملاحظ، في دراستنا، ظهور قسم من الحكايات في كل المجموعات وفي كل التجميعات التي تم جمعها مباشرة: تلك التي تقدم أفضل حالة للحفظ فيما يتعلق بالنص والبنية، ولكنها بالإضافة إلى ذلك، تستعير لنفسها، بتواتر كبير، دوافع، أو أحداثا، أو ملامح منفردة من حكايات أخرى أضعف. وتوصلنا، واضعين في اعتبارنا هذه المعايير، إلى صياغة وجود سبع حكايات عجائبية أساسية: "لغز الراعي"، "بلانكافلور"، "ابنة الشيطان"، "الأمير المسحور"، "خوان الدب"، "الحية ذات السبعة رؤوس وقلعة 'اللي يروح ميرجعش'"، "الحيوانات الشاكرة"، (التي تنتمي إلى نفس الحلقة السابقة)؛ و"عجائب الدنيا الثلاث". وفي التعليقات على المجموعات يتم التعبير عن اعتبارات أخرى بشأن هذه الحكايات الأساسية.

المجموعات

وفقا للمعايير المذكورة أعلاه، قمنا بجمع الحكايات العجائبية في اثنتي عشرة مجموعة. وتتكون كل مجموعة منها من أكثر من حكاية – باستثناء "خوان الدب". والاثنتا عشرة مجموعة هي: أ: بلانكافلور؛ ب: خوان الدب؛ ج: الأمير المسحور؛ د: الأميرة المسحورة؛ هـ: الأميرة والراعي؛ و: عجائب الدنيا الثلاث؛ ز: الطفلة المطاردة؛ ح: الأطفال الشجعان؛ ط: الموت الشكور؛ ي: كائنات أسطورية؛ ك: الطموح المعاقب عليه؛ ل: الموت.

وكما يمكن أن نلاحظ، تحمل بعض المجموعات كاسم لها عنوان حكاية أساسية، تعمل كحكاية رئيسية لمجموعتها. وقد حاولنا، على كل حال، أن نعكس، في عنوان المجموعة، هذه النقطة المشتركة بين الحكايات التي تشتمل عليها. ومن الممكن أن تقوم دراسات مستقبلية بتعديل أو توسيع نطاق هذه التحديدات.

بعض السمات المميزة للحكايات العجائبية الإسبانية

سنتحدث قليلا عن السمات المميزة للحكايات العجائبية الإسبانية وهي التي تميزها عن للحكايات العجائبية لبلدان أو مناطق أخرى. أولاً- يوجد دافع غير محدد لفعل الخير من جانب البطل (والذي يخشى بسببه من كوارث كبيرة) ولا يجعل من الضروري عقد أي اتفاق سلفا. ولهذا السبب، يكون وصول البطل إلى الأداة السحرية ضعيفا جدا، دون متطلبات كثيرة، ودون شروط كبيرة جدا أو ضمنية. وبما أن البطل يجد نفسه بصورة حتمية- بالمصادفة إنْ أردت- مكلفا بهذه المهمة، فإنه ليس مطلوبا منه إثبات أي شيء، ولا حتى يستحق مساعدة الأداة السحرية، ولكنه يصل في بعض الأحيان إلى القوة بشكل مشابه أيضا للمصادفة. وقد أدرك **ثيربانتيس** جيدا، كما يمكن أن نتوقع، معنى هذا الطابع للحكاية

الفروسية، القريبة جدا من حكايات الجنيات في هذه النقطة، واستخدمها كسمة شائعة في تصويره الساخر لحالة الإسبان.

وإلى جانب هذا الملمح، يمكننا أن نشير، كملامح أكثر أهمية، إلى العنف الأقل، والواقعية الأكبر في التفاصيل، وهي كذلك، على الأقل، علامات على فكرة تقليدية عن طابعنا، الذي يجب أن نضيف إليه حالة مرضية ما في تيمات الموت. وإذا قارنا هنا أيضا الرواية الثيربانتية la novella cervantina مع نموذج كتب الفروسية، ستفاجئنا من جديد أستاذية المؤلف. والواقع أن ثلاثًا فقط من حكاياتنا الأساسية، "خوان الدب"، و "الحية ذات الرؤوس السبعة"، و "الحيوانات الشاكرة"، تقدم بطريقة واضحة، قتال وموت المعتدي. وتستخدم باقي الحكايات فقط إنجاز المهام الصعبة لجعل البطل يستحق يد الأميرة. وما من حكاية تستخدم أيًا من منطقي بنية النموذج الأصلي. وفيما يتعلق بالواقعية، تكفي الإشارة إلى أن الغيلان، أو الساحرات، أو الجنيات نادرة جدا في حكاياتنا، ويتم استبدالها في معظم الأحيان بالعمالقة، والثيران الشرسة (أو حيوانات أخرى أقل خرافية من التنين)، ومجرد نساء عجائز. الولع بالبرازيات escatologia، وواقعية بعض التعبيرات، ومن ضمنها التعبيرات التي تشير إلى علاقات جنسية، بالإضافة إلى التأكيد على الذات بالمعنى الموجود في حكايات مثل مجموعة "الأميرة والراعي"؛ الثقة بالنفس في التعامل مع شخصيات رفيعة المستوى، والتسمية الواقعية لأرقّ بطلات الفلكلور العالمي، مثل "سندريلا"، التي سميت في بعض المناسبات "الصعلوكة"، "سندريلا القذرة"؛ عقاب المعتدي دون تخفيف، وكعامل مسيطر، صاحب وسيد كل الاحتياجات، الجوع. جوع تاريخي، وراثي، يدفع إلى قسوة لم يسبق لها مثيل، مثل ترك الأطفال في وسط الغابة، في حكاية "الأخوان" (وهنا تم إظهار "عادة" بعينها من القرون الوسطى هي تلك المتمثلة في التخلص من الأطفال الذين لا يمكن إعالتهم)، أو مثل صقل القدرة على الابتكار مثل كل الحكايات التي اتخذت هذا

كنقطة انطلاق؛ وسيبدو أننا إزاء التراث الأنقى للرواية الصعلوكية la novela picaresca. والواقع أن الأمر على العكس من ذلك: الرواية الصعلوكية، ورواية الفروسية، قد تشربتا بصورة مفرطة بالحكايات الشعبية. وإلى جانب الجوع، وانعدام الذرية، والأكثر عالمية وهو ضرورة زواج الأمير أو الأميرة، تلك هي النواقص المفضلة لحكاياتنا؛ التي ينتقل فيها الجُرْم الأول (الخطف على سبيل المثال) إلى مستوى ثان، ربما بسبب تقليديته، بينما الجوع أو التمزق الشخصي بسبب العقم، يسطع بنفسه، بينما تضعه تراثات أوروبية أخرى وراء ستار من الحشمة.

حكايات العادات

نُعرّف حكايات العادات بأنها تلك التي تفتقر إلى عناصر غير عادية، بمعنى أنها تفتقر إلى عناصر فانتازية، أو خارج الواقع المعقول، ما عدا تلك الحكايات التي يمكن أن تشتمل على بعض العناصر الباقية من الحكايات العجائبية، على سبيل المقارنة، أو المحاكاة، أو مجرد هدف السخرية. (وبالطبع، لن يكون هناك تلقّي الأداة السحرية واستخدامها، لإشباع حاجة أو إصلاح جرم، لأن هذا يمثل جوهر الحكاية العجائبية).

وتقوم حكايات العادات، على العكس، بتطور حبكة – ساخرة وهزلية في كثير من الأحيان- داخل أوضاع تاريخية واجتماعية بعينها، تمدنا بصورة، وتمدنا أحيانا بنقد لهذه الأوضاع. وبين العادات التي تم جمعها في هذه السرود، يوجد نوعان: عادات قديمة وعادات حديثة – ونقصد بلفظة "حديثة" تلك العادات التي تتزامن مع المجتمعات الزراعية. وفي بعض الحكايات كما في غيرها يتم جمع أنماط الإنتاج، وعلاقات الإنتاج، وبصورة رئيسية، المؤسسات الاجتماعية، والمبادئ والقيم التي تحكمها، والتي كثيرا ما تتحول إلى رموز، أو تعبيرات غير

مباشرة أو ساخرة. وتشكل المجابهة بين التصورات القديمة والحديثة، وبالتالي، عدم قبول جزء من المجتمع للقيم الجديدة التي تأسست، جدل الحكاية، ومحرك حبكاتها، وتفسير أعمق معانيها.

وبالتالي، تمثل حكايات العادات، مرحلة أكثر تقدما تاريخيا للبشرية من المرحلة التي تمثلها الحكايات العجائبية، أي مرحلة استقرار المجتمعات الزراعية الجديدة، بينما تعكس الحكايات العجائبية بصورة فظة، فترة عدم الاستقرار التي كانت تعيشها المجتمعات البدوية الهندو-أوروبية، في فترة التغيرات السريعة لنهايات العصر الحجري الحديث. وهذه التغيرات - وهي في الحقيقة التغيرات النوعية الوحيدة التي مرَّ بها المجتمع حتى الآن - أتت معها بصدمات اجتماعية هائلة، ولكنْ أيضًا فردية، ذلك أن الشخص ذاته هو الذي وصل إلى أن يسأل نفسه فيما يتعلق بكماله، في سبيل مقاومته، أو قبوله للتحولات. وأخذ كل هذا يترك في الحكايات بصمات لا تمحى، خاصة على مستوى العلاقات الاجتماعية. وستكون هذه العلاقات، شيئا فشيئا، علاقات عائلات الزواج من خارج القبيلة. وسيكون الزواج بين زوج واحد من البشر؛ وتتأسس، بصعوبة، الملكية الخاصة، وحق نقلها إلى الأبناء. ولكن المحرومين والفقراء سيحاربون أو ينتقدون النظام الجديد. ومن ناحية أخرى، فإن تفسير العالم سيكون أقل سحرا، فقد تعلم الإنسان التحكم في قوى طبيعية بعينها، باستخدام الزراعة؛ وتختفي طقوس تلقين الأسرار إلى حد كبير، غير أنه تحلّ محلها في المقابل عبادة الموتى. وتأتي الديانات التاريخية بعد الديانات القديمة بذريعة ربط الإنسان بالعالم الآخر أو إعداده له؛ والواقع أن ما تحاول القيام به هو تكريس النظام الجديد للقيم. وأخيرا فإن التابو الجديد لهذه المجتمعات سيتمثل في النهاية في الملكية الوراثية.

وحكايات العادات هي تلك التي تعكس أنماط حياة المجتمعات الزراعية، محافظةً عليها أو ناقدةً إياها؛ وهي لا تحتوي على عناصر فانتازية، ما عدا تلك

العناصر التي يمكن الاحتفاظ بها على سبيل المحاكاة أو على سبيل علاقة ساخرة بالحكايات العجائبية. وتكون المؤسستان الرئيسيتان اللتان تعكسهما هذه الحكايات هما الملكية الخاصة والزواج من خارج القبيلة. وتفسر هاتان المؤسستان الحبكات بقدر ما تفسران معناها العام، الظاهر أو الباطن.

وتُستمد من الوظيفة الرئيسية، وهي تمثيل تلك المجتمعات، وظائف أخرى، تساعد كل وظيفة منها في تأسيس مجموعة خاصة من العادات، بعد دراسة تواترها والعلاقات التي تنشأ بينها، داخل المجموعة.

ولا يزال أمامنا أن نرى توسيعا كبيرا لتيمة الزيجات الملكية، كرمز للبحث عن شريك من خارج المحيط العائلي، وفي إطار القيمة الجديدة التي تشكلت، ألا وهي العذرية. وتسود النبرة الساخرة حكايات الأمراء والأميرات النادرين، أو الهوائيِّين، الذين نراهم مجبرين على اختيار شريك في ظروف غير عادية، عندما لا تكون تيمة الشرف هي التي يجري تقديمها في حكايات متنوعة نُدرجها في نفس المجموعة، حيث يقوم على الشرف يقين العائلة بأن ابنها الحقيقي هو الذي سيتم إعلانه وريثا.

ويمكن أن تبقى الملامح الأحدث جزءًا لا يتجزأ من هذه الحكايات، التي تصوِّر عصرا أو نمطا للحياة، جنبا إلى جنب مع الملامح الأقدم. وعلى هذا النحو، تعرض لنا الحكايات التي يتطلع فيها أحد الرعاة إلى الزواج من الأميرة كيف كان رَعْي الماعز في أزمنة قريبة (الذي سيبدو بالنسبة لكثير من أطفال اليوم أقل قليلا من أن يكون مدهشا)، على حين أنه فيما يتعلق بالأميرة التي لا تضحك، أو التي تشعر بالملل، أو التي يمكنها أن تقول جملة واحدة فقط، سنكون أمام حفرية من آلاف السنين تنتقد، بشكل رمزي أو تهكمي، العادة العتيقة المتمثلة في حبس العذارى اللاتي في سن الزواج، وبالنسبة للأميرات، الاحتفاظ بهن بعيدًا عن أي اتصال بالعالم الخارجي، حتى يتم تسليمهن للزوج؛ تلك التربية التي يمكن أن تؤدي إلى

تشوهات نفسية خطيرة. وتمتد قيمتها كرمز، رغم ذلك، إلى أيامنا هذه، ذلك أن كل تربية تقمع المرأة، تؤدي إلى مصير يتمثل في اغترابها أو محو شخصيتها.

وباختصار، نرى في هذه الحكايات السخرية من نظام حبس العذارى - أو معادلاته المجازية - كإعداد للزواج. ومن هنا، تكون أميرات هذه القصص حمقاوات، وهوائيات، وصامتات، وعاجزات عن الضحك، إلى آخره.

وبطبيعة الحال، انتهى النظام الجديد إلى أن يتم استغلاله من جانب النساء أنفسهن، ليضعن أنفسهن في مراكز القوة. ولو كانت النساء هن اللائي يقمن بالتشريع لورثة نظام اجتماعي جديد مبني على وجه التحديد على الملكية الخاصة الوراثية، لأمكنهن أن يستولين على المؤسسات التي تدير هذا النظام، وباختصار ما نسميه بنظام أمومي كامن، يستمر في الواقع إلى أيامنا هذه.

وقد أعادت الثقافة بأكملها تنظيم نفسها وأنتجت معتقدات ومواقف، خاصة لدى الرجال، الذين كانوا يرون مركزهم الاجتماعي مهددا بالخطر. وهكذا ظهرت كراهية المرأة، ممتدة بصورة هائلة، إلى كل المجتمعات ذات الأساس الزراعي. وستبدو المرأة للرجال شرسة للغاية، أو ضعيفة، زائفة، ثرثارة للغاية، وليست أهلا للثقة، إلخ.. إلخ..، وهنا ستظهر الحكايات التي صنفناها في مجموعة "نساء مشاكسات"، مع أخذ هذه الصفة بالمعنى الواسع.

يمكننا الآن أن نجمع مجموعة أولى من الرموز، وفك شفرتها أكيد بما يكفي:

الأميرة = كل عذراء

ملك = كل مالك عجوز

أبناء الأميرة = ورثة شرعيون

أبناء الأمراء= ورثة مشكوك فيهم

"سندريلا" و"سنووايت" = عذروان مشكوك فيهما

زوجة = سلطة أمومية كامنة

وسيتركز المجال الآخر للمشكلات الناشئة عن النظام الاجتماعي الجديد حول صراعات الملكية الخاصة، التي يمكن أن تكون من نوعين: صراعات عائلية وصراعات اجتماعية. وبين الصراعات العائلية انعدام الذرية الذي تركز عليه الحكايات أكثر من غيره. وبسببه سيُجبر الزوجان الآلهة على أن ترزقهما بوريث من خلال نذور متهورة في كثير من الأحيان (حتى إذا أخذه الشيطان بعد ذلك؛ حتى إذا كان صغيرا جدا، صغيرا جدا... إلخ.). الوجه الآخر للمشكلة، غير أنه يعني نفس الشيء، هو أن يكون لدى زوجين فقيرين أطفال، ولكن لا يقدران على تربيتهم. وتنتج عن مجموع هذين الوجهين للمشكلة حكايات مثل "حمُّص الصغير"، أو "خوان ونصف"، أو "روح الكاهن"، أو "بيت النوجة" (وهي "هانسيل وجريتيل" غير العجائبية. وكان المقابل العجائبي، كما يمكنك أن تتذكر، "ميجيلين الشجاع").

وبالنسبة للصراعات الاجتماعية حول ملكية الأرض، من الواضح تماما أن جذورها التاريخية لم تكن غير زيادة السكان التي جلبها معه النمط الجديد للإنتاج الزراعي، على حين أن الأرض، التي لم تكن تزيد، لم يكن من الممكن مواصلة تقسيمها. وبصورة لا يمكن تفاديها، نشأت طبقة المحرومين التي سرعان ما صارت أكبر بكثير من طبقة الملاك. وفي هذا تندرج كل حكايات الصعاليك تقريبا، وبشكل خاص جدا "بدرو المشاغب".

وقد جمعنا كل الحكايات التي يكون لبطلها طابع صعلوكي أو تدور فيها مواجهة واضحة بين أولئك الذين يملكون وأولئك الذين لا يملكون، في مجموعة "صعاليك" ومجموعة "فقراء وأغنياء".

وتُغذي الصورة الساخرة النهائية لهذا الجدل في كل صوره (تلك المتعلقة بالملكية، وتلك المتعلقة بالجنس، بصفة رئيسية) حكايات الحمقى، وهى الأحدث والأكثر فظاظة، بما يتوافق مع رؤية شعبية مؤكدة أكثر كثيرا للانشقاق على نظام اجتماعي يعطى كل شيء، لمن يملك كل شيء، ويريد أن يأخذ كل شيء، بما في ذلك الكرامة، ممن لا يملك أي شيء. ويكثف حمقى حكاياتنا، إذن، الرمزيات السلبية للسرد الشعبي. هو ابن ذكر (ليس هناك حكايات حمقاوات)، ولأنه أحمق فإنه لا يكون مؤهلا لأن يرث؛ ولكن، بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الإرث غير موجود، لأنه علاوة على كونه أحمقَ فقيرٌ جدا؛ غير أنه إذا أراد أيضا أن تكون له ذرية، لا يعرف كيف يبحث عن عروس؛ وعندما ينجح في الزواج، لا يعرف ماذا يصنع ليلة الزفاف؛ وفي النهاية، عندما يعيش حياة المتزوج، يدمر أملاك زوجته. ويدور النموذج المعاكس حول الأميرة؛ وهى غنية، وليس عليها أن تبحث عن عريس، فإنما لهذا الشيء توجد مؤسسة اختبار الأمراء في المناطق المحيطة، الذين يتصارعون على طلب يدها، إلخ.. ومن التقاء النموذجين تنبع القوة الفكاهية للحكايات حيث ينتهي الحال بأن يتزوج أحد الرعاة أميرة (وأحيانا يكون الراعي أحمق، أو يبدو مظهره كذلك).

وأخيرا فإنه لا تزال بين عادات هذه الحكايات، بعض العادات القديمة المتعلقة بعبادة الموتى، والتي تبدو اليوم وحشية، غير أنه في كل الأحوال، تمت إعادة صياغتها بصورة كافية من جانب التراث نفسه، حتى اكتساب قيمة رمزية. وعلى سبيل المثال، ممارسات بعينها للأكل الطقسي للحوم البشر، والتي لم تكد تترك أثرا، ولا حتى عودة الموتى لطلب تفسيرات، غير أنه بقي شيء منها في "حكايات الرعب" التي سننتقل إليها بعد انتهاء حكايات العادات. (لا يزال كثير من الكبار في إسبانيا تقشعر أبدانهم إلى اليوم وهم يتذكرون الحكاية المرعبة "آه، يا أمي"، أو "أحشاء الميت" التي يعود فيها ميت إلى بيته ليستعيد كبده، الذي التهمته عائلته، ويصعد السلم، درجة بدرجة. وبالطبع فإنها حكاية يتمثل مقابلها الفكاهي في "نصف الوجه"، أو "الهلال الصغير").

وتمثل المغامرات المسلية للثعلبة المكارة، والذئب الشرير التعيس، والديك المغرور، والحمار المحظوظ أو الأسد المتفاخر، الجزء الأصغر من حكاياتنا الشعبية. وليس هذا لأنها أقلها إثارة. وبالطبع فإنها بالنسبة للباحث، يمكن أن تصل إلى كونها الأكثر إثارة للاهتمام، نظرًا للحالة الخطيرة للاختفاء شبه الكلى الذي توجد فيها، والمعاناة الشديدة من تقلباتها التاريخية. ولكن نفس محتوى هذه الحكايات، وقراءاتها الممكنة، تحمل أيضا مفاجآت مهمة، بالإضافة إلى كونها كلها مثيرة للاسترخاء، ومليئة بالبهجة الأصيلة، التي لا يمكن أن يصل إليها الأدب الراقي.

وسنبدأ بأن نوضح، بدقة، إلى أي فئة من الحكايات نشير. إننا نشير فقط إلى تلك الحكايات التي يكون أبطالها الحيوانات التي تتكلم، وليسوا أشخاصا محوّلة أو متحولة، بواسطة السحر، إلى سحلية، ضفدعة، تنين، إلخ.. ويمكن أن يوجد أشخاص في حكايات الحيوانات، كشخصيات عابرة، أو في منافسة لها، وإنْ كانت ثانوية أو على قدم المساواة السردية. وتظهر في سلوك حيوانات تلك الحكايات انعكاسات، مباشرة إلى حد ما، للحالة البشرية، نابعة من صفة جسدية ما أو من سلوك الحيوان نفسه: المكر عند الثعلبة، والخبث والغباء عند الذئب، والزعامة عند الديك، والغرور عند الأسد، والعناد وقوة التحمل عند الحمار، والغدر عند الحية، إلخ..

وفى البناء السردي لهذه الحكايات نلاحظ مكوّنين رئيسيين: الجوع والفكاهة البرازية humor escatológico. الأول هو عمليا الدافع العام لكل الحكايات؛ ويتناول موضوع مَنْ يأكل مَنْ، أو كيف يتجنب أصغر حيوان أن يؤكل أو يتشرد. وبالتالي فإنه لا توجد أي مواعظ ولا استنتاجات تثقيفية على ما يُفترض، كما في الخرافات المروية على ألسنة الحيوانات وفي الحكايات الرمزية الأخلاقية الشرقية. وكل شيء

هنا محكوم بقانون الحيوانات، الأول والوحيد تقريبا؛ إما أن تأكل وإما أن تُؤكل. ويد الجوع طويلة جدا، وتصل حتى إلى حكاية ساذجة جدا مثل حكاية "النملة الصغيرة" (حاليا: "الفأرة المغرورة")، حيث تأكل البطلة زوجها على غفلة منه في اليوم التالي للزفاف؛ ذلك الحدث الذي اختفى، بالطبع، من الروايات التجارية لهذا القرن، إلى جانب باقي تسلسل الأحداث الثاني، كما هو شائع.

ويتمثل المكوّن الثاني من هذين المكوّنين في الفكاهة البرازية التي كانت بلا شك السبب الرئيسي في تدمير هذه النصوص، المحاصرة بالاحتشام المفرط والتزمتات البرجوازية الصغيرة، رغم أنها تشكل مصدرًا مبهجا له تأثير مضمون. وليس من السهل تفسير لماذا كانت هذه الوفرة، التي سيلاحظها القارئ على الفور، فيما يتعلق بالوظائف الأخيرة للفسيولوجيا الحيوانية، وبصورة عامة في نهاية الحكاية، رغم أن من المفترض أن تبدأ من بدايتها، كما في "يوم طعام طيب للذئب".

ومن وجهة نظرنا، يجب أن يكون المكوّن الثاني على علاقة بمعنى المكوّن الأول المشار إليه، الجوع، ففي بيئة يكون فيها البقاء صعبا جدا، يكون ما هو برازي علامة بطريقة ما على مغامرة جيدة، وعلى القدرة على البقاء، أي علامة على القوة. ومن ناحية أخرى فإن وضع قيَم بعينها للحالة للبشرية تحت صورة حيوانية ربما كان مصدرا قديما قدم البشرية، ليتحدث الإنسان عن نفسه، ولكنْ بطريقة غير مباشرة، حول ما يجعله في النهاية متطابقا مع الحيوانات: حاجة البقاء، الصراع الأساسي في سبيل الحياة. وقد وُجد احتشام معين، وألفيّ، عند الإشارة إلى هذه الأمور الفسيولوجية البحتة لدى الشعوب الهندو-أوروبية، وفي أزمنة ما قبل التاريخ، مصدر حكاية الحيوانات. ومن هنا فإن الخرافات المروية على ألسنة الحيوانات، بما في ذلك الحكايات الرمزية الأخلاقية الشرقية تكون بوضوح إعادة صياغة أدبية تقوم على حكايات من هذا النوع، عندما أرادت البشرية بعد ذلك بكثير "تبجيل" تلك القصص القديمة، عن طريق جعلها تعبر عن صفات أخلاقية أو تعاليم قابلة للنقاش.

ولا يجب أيضا تجاهل تفسير تحليلي-نفسي ممكن- سيرى في هذا كله تمثيل المرحلة الشرجية للطفل، فقط في البُعْد الجمعي بصورة أكبر، والمُحرِّر، بالتالي. ويمتلئ السمر الريفي بهذه التفاصيل، خاصة الموجهة لتسلية جمهور الأطفال، ولكن لتسلية الكبار أيضا الذين، وفقا لدرجة بساطتهم الأخلاقية، سيستجيبون بالضحك أو القهقهة على كسر التابو.

ويفسر هذا التقارب بين ما هو بشرى وبين ما يحدث في حكايات الحيوانات أشياء كثيرة أخرى. هناك قبل كل شيء، غياب الحيوانات الخرافية، وكذلك الحيوانات البرية فيما عدا تلك التي لها علاقة مباشرة بشكل أو بآخر مع المأوى الطبيعي للإنسان: الذئب، الثعلبة، الدب، السحلية، الضفدع، طائر اللقلق، طائر السلوى، إلخ.. وتتمثل الاستثناءات الواضحة في: الآكل الشره، في الحكاية التي تحمل ذات العنوان، حيوان غير معروف، ونحن لا نعرف شيئا عن هيئته - ولا يهم ذلك -، حيث إن فعله الخالص هو التهام كل ما يقترب منه. أي أن الوظيفة الرئيسية لهذه الحكايات قد وصلت في هذه الحكاية إلى قمة نقائها، من الناحية الجوهرية. أما الأسد، الذي يظهر من حين لآخر، فإنه ليس أكثر من نموذج عام لكل الحيوانات البرية، وهذا التزام خالص بالتقليدية. (في بعض الحالات النمر، بقيمة مماثلة.)

وما يبقى هو كل الحيوانات المستأنسة، التي تنقسم إلى مجموعتين: فعال وسلبي. وقد جرت العادة على أن تكون الحيوانات الفعالة هي المستأنسة المصاحبة للإنسان (كلب، قطة)، على حين أن السلبية هي حيوانات المعيشة، مثل الماشية: الماعز، الخراف، الدجاج... والاستثناء هنا هو الديك، الذي يلعب دور القائد في حكايات متنوعة، حيث يبدو أن هذا موقفه الوجودي.

وبالنسبة للحيوانات المستأنسة فإنها تصير غير نافعة، لأنها تتقدم في السن أو لأنها تسرق الطعام من صاحبها، ويتم طردها ويكون عليها أن تواجه الحيوانات البرية، وتخرج منتصرة، بفضل مكرها أو بالصدفة.

وفي النزاع بين الحيوانات الكبيرة والصغيرة، تفوز الصغيرة دائما، بفضل مكرها، حتى إذا كان هذا ضد الثعلبة. وبين الحيوانات الماكرة والمتوحشة، تخرج الماكرة فائزة دائما، وهذا ما يفسر كل الانتصارات التي أحرزتها الثعلبة على الذئب، بلا استثناء. وفي المواجهة بين آكلات العشب وآكلات اللحم، تنتصر الأولى أيضا ("العنزات الثلاث"، على سبيل المثال). وحتى الحمار ينتصر على الأسد، رغم أن المواجهة هنا تتجاوز كونها بين المستأنسة والبرية.

وتتناول حكايات مختلفة الصراع بين الكائنات الطائرة (الطيور والحشرات) وغير الطائرة. ودائما تفوز الأولى. ويصير معنى هذا الانتصار صعبا، ذلك أن أبعد شيء عن القدرة البشرية، بالمقارنة بكل الحيوانات، يتمثل على وجه التحديد في القدرة على الطيران. وربما لهذا السبب، للاشتياق إلى المستحيل. وأخيرا تبقى المواجهة بين الإنسان وأي حيوان. ودائما سيفوز الإنسان. فقط نعرف استثناء "العجوزة والذئب"، حكاية نادرة جدا من مجموعة **آوريليو دي يانو**، غير أنه يمكن تفسيرها بقانون آخر أعلى من الفلكلور: الشخصية السلبية لكل العجوزات، بلا استثناء. وفي بعض الأحيان لا توجد مثل هذه المواجهة، بل توجد علاقة عارضة، غير قائمة على الصراع. وعندئذ تكون النتيجة حيادية.

وبوضوح أكبر، سنلخص هذه المسألة، بربط المتضادات التي لها وظيفة عامة ما. والمصطلح الأول من زوج هو المنتصر، والآخر هو الخاسر:

حيوانات مستأنسة / حيوانات غير مستأنسة

حيوانات صغيرة / حيوانات كبيرة

حيوانات ماكرة / حيوانات شرسة

آكلات العشب / آكلات اللحوم

طائرة / غير طائرة

الإنسان / الحيوانات

وتشرح هذه المتضادات، في التحليل الأخير، دينامية حكايات الحيوانات. وفي بعض الأحيان تعود بالنفع على بعضها البعض، وتعطى نتيجة لذلك وضوحا أكبر في الرسالة الكامنة. وكما نرى، في العمود الموجود على اليمين، عمود المنتصرين، فإنهم جميعا أقرب إلى الإنسان أكثر من الموجودين على اليسار، باستثناء وحيد هو الطائرة / الغير طائرة (التي سبق شرحها)، بما في ذلك آكل العشب/ غير آكل العشب، فالأول يصبح أسهل بكثير للإنسان، من خلال الزراعة والرعي، بينما يبقى آكل اللحوم معرَّضا لخطر الصيد ويصير باستمرار أبعد عن تاريخ البشرية (رغم أنه يعيش واقعا تحت ضغط صيادي اليوم). ومع هذه الإيضاح الأخير، نعود إلى طرح مسألة أي فئة من الناس هي التي تنتج هذه الحكايات. ومن جديد فإن إنسان العصر الحجري الحديث، الانتقالي من قبيلة مرحلة الترحُّل والصيد، إلى مجتمع زراعي ومستقر، أي الإنسان الذي صار يخاف على ممتلكاته المستقرة، ويواجه حيوانات الغابة، خاصة الذئب والثعلبة، باعتبارهما التهديد الأكثر إيذاءً له.

وقبل الانتقال إلى المواضيع التاريخية والأنثروبولوچية، دعونا نلخص التعريف. حكايات الحيوانات الشعبية هي حكايات التراث الشفاهي تلك، التي تكون أبطالها بشكل أساسي حيوانات تتكلم، دون أن تكون أشخاص متحولين. وهذه الحيوانات، المستأنسة شأنها شأن البرية، تنتمي إلى المأوي الطبيعي للإنسان، وتريد أن يشبه سلوكها سلوك الإنسان. وتعود الحبكات إلى المحرك الأساسي، وهو الجوع، والقانون الذي يحكمها هو قانون البقاء الطبيعي. وكمكوِّن فكاهي معتاد فإنها تنطوي على كسر للتابو البرازي. وتفتقر إلى مغزى أخلاقي، ما عدا ذلك الذي يتسم بطابع فكاهي.

قضايا تاريخية وأنثروبولوجية

ونتطرق الآن إلى قضايا تاريخية وأنثروبولوچية لحكايات الحيوانات، تساعدنا في فهمها بشكل أفضل. وسنبدأ بتلخيص رأى **بروب** و **إسبينوسا**.

ويقول بروب إن هذه الحكايات نشأت "خلال عصر تطور البشرية، حيث كان المورد الرئيسي للعيش هو الصيد؛ ويرتبط أصله بالطوطمية، وهى نسق معتقدات للصيادين البدائيين، ووفقا لهذا النسق، كان يُعتقد أن بعض الحيوانات مقدسة، وعلاوة على ذلك كان لها ارتباط فوق طبيعي بالقبيلة. (...) ورغم هذا فإن تلك الوظيفة القديمة والسحرية للحكاية صارت منسية منذ زمن بعيد"(١). ثم واصل حديثه عن الحكايات الحالية (أي، تلك التي كان يجرى جمعها طوال القرن التاسع عشر، عندما أتمَّ **أفاناسييف** تجميعه لحكايات روسية، في نفس السنوات التي كان يعمل فيها **فرنان كابايرو** بطريقة مماثلة في الأندلس)، وهى الأقرب إلى الخرافات المروية على ألسنة الحيوانات وإلى التقلبات السيكولوچية البشرية. كيف تحولت تلك الحكايات الطوطمية إلى الخرافات المروية على ألسنة الحيوانات من التراث الإيسوبى – التي لم تدخل روسيا حتى القرن السابع عشر في شكلها الراقي –؟ وهذا أمر لا يفسره بروب ولا يزال يشكِّل لغزًا حقيقًا. والاستنتاج النهائي لهذا البنيوي الشهير، مثل كل استنتاجات فترة نضجه، له طابع فني وتعليمي تماما: "لا تزال حكايات الحيوانات حتى اليوم رابطا للتعليم الجمالي والأخلاقي للأطفال". وكل ما نحتاج إلى توضيحه هو أن حكايات الحيوانات الروسية إنما هي من الناحية الأساسية نفس الحكايات الهيسبانية، كما حدث مع الحكايات العجائبية وحكايات العادات، وهذا لا يقوم إلا بالتعزيز أكثر قليلا للطابع الأوروبي العام لهذا التراث الثري الذي صار على حافة الضياع، والذى لا مناص من أن انتشاره ورسوخه قد حدثا بالضرورة قبل

---

(1) *Cuentos populares rusos*, Ediciones Generales Anaya, Madrid, I, 1983, pp. 23-24.

العصور التاريخية. ونشير إلى أن الأشكال الراقية، المكتوبة، لهذه الحكايات، دخلت روسيا في القرن السابع عشر – وكأننا نقول بالأمس، كما في مثل هذه المسائل- ورغم أنه توجد في إسبانيا ثلاثة تيارات في التراث الراقي، لا يفسر واحد منها ضخامة وقدَم هذا الإرث بين طبقاتنا الشعبية.

ويعتقد **إسبينوسا** أنه توجد، بعيدًا عن مجرد تغيُّر في الوظيفة (من الطوطمية إلى الخرافية، كما يقترح **بروب**)، فئتان من حكايات الحيوانات: الطوطمية، والخرافية. والأولى في الواقع أفريقية ومن مناطق أخرى في العالم غير الهندو-أوروبي، على حين تتوافق الخرافات المروية على ألسنة الحيوانات مع تراث **إيسوب** و **فيدرو**، ومع الحكايات الرمزية الأخلاقية الشرقية، التي ستكون أشكالا أو اقتباسات أدبية للإرث الشعبي الثري، الممتد من الهند إلى البرتغال نتيجة هجرات الشعوب الهندو-أوروبية في عصور ما قبل التاريخ. والواقع أن "البانتشاتاندرا الهندية (المبادئ الخمسة)"، أو "كليلة ودمنة" العربية أو العبرية، أو "العلم الإكليريكي"، أو "كتاب القطط"، أو "كتاب الحب الجميل"، أو "الكونت لوكانور"، تجمع، باللغة القشتالية – مع ترجمة الثلاثة أعمال الأولى، ابتداءً من القرنين الثاني عشر والثالث عشر –، ثروة من حكايات الحيوانات التي كانت موجودة بالفعل في شبه الجزيرة في التراث الشفاهي منذ أزمنة غابرة، التي يسميها **إسبينوسا** "الموروثات الهيسبانية القديمة من أصل يرجع إلى ما قبل التاريخ"[1]. وستدخل حتى ثلاثة تيارات راقية في اتصال مع تلك الأخرى الشعبية: التيار اللاتيني (التنويعات "الإيسوبية"، و"الفيدرية" و"الإيسوبيتية"، كما يسميها **خوان رويس**، التي انتشرت في أوروبا، قبل ١٤٨٠، عندما نشر **شتاينهاول** Steinhöwel طبعته بالألمانية واللاتينية)؛ التيار العربي، في العصور الوسطى ("كليلة ودمنة"، التي أمر بترجمتها في الأصل الملك **ألفونسو العاشر الحكيم** Alfonso X el Sabio، وأصلها نص فارسي

([1]) *Cuentos populares españoles*. Madrid. 1946, III p. 243.

من القرن السادس)؛ والتيار الأوروبي، في العصور الوسطى، الذي يأتي خاصة من فرنسا وإيطاليا، والذى جمعه كاهن إيتا الأكبر Arcipreste de Hita el، و **دون خوان مانويل** don Juan Manuel و **سيباستيان دي ميي**، Sebastián de Mey، وآخرون، رغم أنهم جميعا كانوا يضعون في اعتبارهم على الأرجح التيارين الآخرين. وكان مما لم يضعوه في اعتبارهم يتمثل في تراثهم الشعبي الإيبيري، عبر إحدى هذه الظواهر التي طبعت الثقافة الغربية بطابعها بصورة لا تمحى. والحقيقة أن هذه الـ"ثقافة" التي كانت تلجأ في ذلك الحين إلى قصور وأديرة، كانت تفترض أنه لم تكن هناك أدنى أهمية لأىّ شيء يأتي من عامة الشعب، وما زال هذا التحيُّز الطبقي المتأصل قائما إلى يومنا هذا. وهناك حالات استثنائية مثل **تيمو-نيدا** Timoneda، و **مال-لارا** Mal-Lara، و **خوان دي لا كويبا** Juan de la Cueva، و **ماتيو أليمان** Mateo Alemán، إضافة إلى التيار الخجول الذي بدأ مع عاداتي القرن التاسع عشر costumbristas، لا تقوم إلا بتأكيد وجود انفصال جذري بين ما كان يعرفه ويعبِّر عنه الشعب وما كانت تعرفه وتعبِّر عنه الطبقات الحاكمة.

غير أنه لا يجب أن نترك أنفسنا نتوه وسط تلك الطبعات والنصوص العديدة من العصور الوسطى، وإذا أمعنّا النظر فيها، فإنه يوجد فقط منبعان أصليان: إيسوب والبانتشاتاندرا. وكل ما يدور في هذا المحيط الثقافي الراقي إنما هو تكرار لـ، أو اقتباس من، أحد هذين المنبعين. وإذا أخذنا في اعتبارنا حقيقة أنه لا بد أن الأسطورة الإغريقية عاشت في القرن السادس قبل الميلاد، وأن الكتب السنسكريتية الخمسة ترجع إلى القرن الثاني من العصر المسيحي، ومن المفهوم أن المنبع الأول شأنه شأن المنبع الآخر لم يقوما إلا بإعادة الصياغة الأدبية للتراث، الأقدم منهما بكثير، والذى كان منتشرا بين شعوب الهندوستان هو نفسه الذي كان ينتشر بين الشعوب الإغريقية والسلافية، على اعتبار أنها جميعا تنتمي إلى الأصل الهندو-أوروبي القديم. وهذا وحده يمكن أن يفسر واقع أن حكاية روسية تسخر فيها الثعلبة

من الذئب، مستمدة من القرى في القرن التاسع عشر، هي بصورة ملموسة نفس تلك التي ما تزال تنتشر إلى يومنا هذا، وإنْ بصعوبة، ويمكن أن نجمعها في أي من أريافنا الأندلسية، على لسان راو لم يقرأ كتابا في حياته مطلقا، لأنه، ببساطة، لا يعرف القراءة.

وبالتالي فإن الحكايات الشعبية المتعلقة بالحيوانات تحتفظ بالكاد بعلاقة بما جرت العادة على اعتقاد أنه نموذجها، مرجعها الإجباري، أي، الخرافات الكلاسيكية أو الحكايات الشرقية ذات المغزى الأخلاقي. وحقيقة كون "بلانكافلور" عندنا هي الرواية الشعبية لـ ميديا، و"الأمير المسحور" عندنا هو الصورة الشعبية لأسطورة إيروس وسايكه، وكذلك وجود السندريلات وسنووايتات بأشكال متنوعة جدًا في فسيفساء التراث الشفاهي، تعني أنه توجد مواد أسطورية مشتركة مع التيارات الثقافة الراقية والتيارات الشعبية، وأن كل شكل من أشكال الانتقال قد تخصَّص في هذه التنويعة أو تلك لنفس القصة.

وحالة حكايات الحيوانات هي الأكثر غرابة، وبالطبع الأكثر دراماتيكية. وحتى لو اشتركت في نفس الأصل الألفي مع الحكايات ذات المغزى الأخلاقي والخرافات المروية على ألسنة الحيوانات، فإنها، بصورة عامة، حكايات مختلفة. وتتشابه بشكل متكرر، مع أي حكاية أخرى من تراث الثقافة الراقية، لكن بشكل عام فحسب. وعلى سبيل المثال: هناك حكايات عن سباقات بين الحيوانات في ذلك التراث أو ذاك، ولكنها ليست نفس الحكايات، فالحيوانات التي تتنافس تختلف– وقبل كل شيء– في الدافع. وفي حكايات الثقافة الراقية، يكون لذلك الدافع دائما طابع أخلاقي؛ أما في الحكايات الشعبية، فقد قلنا من قبل إن ما تتناوله ليس أكثر ولا أقل من: مَنْ يأكل مَنْ، أو كيف أن يتجنب الأصغر أن يؤكل أو أن يُسرق. وهكذا، نقل تراث الثقافة الراقية منذ زمن بعيد حكاية السلحفاة والأرنب، التي يعرفها باحثونا جيدا جدا، وتقدم مثالا على عقاب العجرفة الطائشة. ونقلت الحكايات الشعبية، في

المقابل، السباق بين الثعلبة والضفدع، والتي تُرْشد إلى طريقة تفادي الحيوان أن يُؤكل، لا أكثر ولا أقل.

ويعرف باحثونا أيضا حكاية السلحفاة التي تتمكن عن طريق الخداع من أن يقوم نسران بنقلها إلى السماء. وتقدم هذه القصة مثالا على العقاب على التهور، فإن السلحفاة سيتمّ إلقاؤها على الأرض عندما يكتشفان خدعتها. والحكاية الشعبية المماثلة هي حكاية الثعلبة وطائر اللقلق، ولكن الثعلبة هنا هي المخدوعة، ليتمّ نقلها إلى السماء وإلقاؤها من هناك، أيضا، ولكن كعقاب لأنها سخرت من قبل من طائر اللقلق في نزاع على طعام.

والأمر المدهش في هذا التشعُّب للحكايات؛ هو أن التنويعة الشعبية ليست أكثر أو أقل من كونها نفس الخرافة المروية على ألسنة الحيوانات أو الحكاية ذات المغزى الأخلاقي. إن الأمر أبسط بكثير: "الأرنب والسلحفاة" و"السلحفاة والنسران" ليستا موجودتين في التراث الشعبي. وفي المقابل، "الضفدع والثعلبة" و"الثعلبة وطائر اللقلق" ليستا موجودتين في تراث الثقافة الراقية.

ونكذب إذا قلنا إن الأمر هكذا دائما. ذلك أن هناك قصصا أخرى مشتركة في هذا التيار أو ذاك، ولكنها الأقل. وتتمثل حالة معبِّرة في حكاية "الثعلبة والعنب". إنها خرافة عالمية مروية على لسان الحيوانات في كل المجموعات الأدبية لمؤلف. وعلى العكس من ذلك، فإنها نادرة جدا في الحكايات الشعبية (وقد وجدنا حكايتين اثنتين فقط بين الحكايات الهيسبانية)، وهي بالطبع حكايات بالية للغاية. ولا يحول هذا دون أن تُعاود هذه الخرافة العالمية الظهور هنا أو هناك كدافع منفرِد، في داخل حكايات الثعلبة الأخرى؛ الأمر الذي يأتي ليبرهن على أن هذا العمق المشترك القديم، والألفي، والشرقي، هو نفس العمق أيضا، بالنسبة إلى الاتجاهين، كما كان الأمر في الحكايات العجائبية وفي حكايات العادات.

كما في الحكايات العجائبية وحكايات العادات، كان عملنا مزيجا من البحث النصي والميداني، مع الحرص على أن نأخذ من هذه أو تلك، الروايات الأكمل والمحفوظة بشكل أفضل، مع مقارنتها ببعضها البعض الآخر واحترام أبنية مستقرة معروفة بعينها. ورغم أننا لم نكن نعتمد على دقة منهج بروب الوظيفي، المبنيّ على البنية الثابتة للحكايات العجائبية، كان بوسعنا أن نأخذ هذا التنظيم كمرجع نهائي في كثير من الحالات، لأنه توجد علاقة متناظرة بين كثير من الحكايات العجائبية وحكايات أخرى غير عجائبية، في كلٍّ من البنية والدوافع المنفردة.

وهكذا، على سبيل المثال، أخذنا كدليل موثوق به دافع الجوع، الذي يمثل أيضا حاجة أساسية في الحكايات العجائبية الإسبانية، وأيضا في حكايات العادات. وبالتالي فإن جوع الحيوانات ليس إلا تعبيرا غير مباشر عن جوع الشعب، منتقلاً إلى الحيوانات من خلال دوافع الاحتشام تلك التي أشرنا إليها في البداية، جنبا إلى جنب مع العناصر البرازية. ومن المدهش أن تلك الأخيرة ظهرت في حكايات العادات بدرجة من الإسراف، وبصورة أقل في الحكايات العجائبية (في الحقيقة فقط في حكايات مجموعة "الأميرة والراعي"، كما ستتذكر). أي أنه يوجد تصاعد في التأثير كلما ابتعدنا عن العجائبي واقتربنا من الحيوانات، حيث يمكن كسر التابو بحرية أكبر.

وإذا قمنا بتوسيع حاجة الجوع في بداية الانتخاب الطبيعي، سنجد أنفسنا أمام قاعدة أمان سردي: كل شيء يدور حول أن يأكل أو يؤكل، كما سبق القول، وفي بعض الأحيان ألا يتشرد. وهنا نجد العلاقة المتناظرة مع حكايات العادات واضحة جدا أيضـــا. ولنتذكّر أن صراعات المــلكية كانت تلهم محتــوى غالبيــة حكايات

الصعاليك، والثعلبة، وليس شيئًا آخر سوى صعلوكة من الدرجة الأولى، مَنْ تتنازع على العسل أو المزروعات مع شركائها العرضيِّين، حيث تخسر أمام الصغار وتفوز أمام الأكبر أو الأشرس.

ولعلاقات المحسوبية، التي تضيء معنى حكايات الفقراء والأغنياء، صدى فكاهي في العلاقات بين الذئب والثعلبة، وكذلك العلاقات بين الحمار والأسد، وقبل كل شيء عندما يكون الأضعف هو الخاسر. وفي الحال يلجأ إلى "الرفيق" ليحاول تهدئة ذلك الذي يستعد لأكله. وبدورها، في حكايات العادات، كانت بالفعل محاكاة ساخرة للتفاهم الجيد المفترض الذي يجب أن يكون موجودًا بين الطبقات الاجتماعية، والمقصود تمثيلٌ ساخر، لروح فكاهة لاذعة.

وبالنسبة للباقي، تكثر الاختبارات أو بدائلها، التي يقهر فيها الأسد (القادر) الحمار (المتواضع) كما كان يقهر الملك أو ابنته الحمقاء الراعي الذكي، الذي سينتهي به الأمر إلى أن يتزوجها أو يحتقرها. وتكثر الاختبارات، بوجه عام، كما في الفئات الأخرى من الحكايات وبمقتضاها يكون من السهل إحلال هذا العنصر المفقود أو ذاك.

المجموعات

وأخيرا ظهر أيضا، من نفس التحليل البنائي، الدليل على أنه توجد فقط خمسة أنواع رئيسية من حكايات الحيوانات، قمنا بجمعها في مجموعات كثيرة أخرى، في مقابل تصنيفات أخرى تبدو لنا تعسفية، حيث يتمّ مزج العام جدًا (على سبيل المثال "سباقات بين الحيوانات") مع الخاص جدًا ("أسطورة الضفدع") أو غموض خالص ("حكايات حيوانات متنوعة"). وفي العادة حدثت نفس الظاهرة في محاولات تصنيف الحكايات العجائبية أو حكايات العادات.

ودون ادعاء أننا نقول الكلمة الأخيرة عن هذه المسألة (التي أدت إلى نتائج ملائمة لكل الأذواق)، فإن تصنيفنا يقوم، كلما كان هذا متاحا، على الإجابة بدقة على المسألة الأساسية لهذه الحكايات: مَنْ يكسب ومَنْ يخسر، ومَنْ يواجه مَنْ.

ويقودنا هذا إلى معيار للتكرار، يدلنا على عدد المرات التي يظهر فيها الذئب مع الثعلبة، والذئب مع حيوانات أخرى، والثعلبة مع حيوانات أخرى. وذلك نظرا لأن هذين الحيوانين، مع وجود اختلاف واضح بينهما، هما الشخصيتان الأكثر وفرة، حيث يستحوذ كلّ منهما لنفسه على مجموعة من الحكايات، إضافة إلى المجموعة التي تجمعهما في نفس القصة.

وبعيدا عن ذلك، تظهر، بكل وضوح، تلك الحكايات التي يتدخل فيها الإنسان، ولكنْ ليس بطريقة عرضية، لا صلة لها بالموضوع، على سبيل المثال كالحداد الذي نادته نملة صغيرة ليفتح لها باب البيت، إنما مشاركا في حبكة الحكاية أو في المواجهة مع الحيوانات. ومعيار المواجهة هو الأكثر وضوحا، وهو يفصل حكايات أخرى كثيرة حيث يكون التدخل البشري مكثفا نسبيا، ولكن ليس إلى هذه الدرجة الملموسة من الصراع مع الحيوانات.

وأخيرا، هناك مجموعة أخرى من الحكايات تتميز بملامحها الواضحة في البنية الإيقاعية والمحتوى غير المعقول. وإن جاز القول فإنها حكايات ذات طابع "سريالي"، بهذا المعنى الخاص للهراء الذي تنطوي عليه تجليات فلكلورية كثيرة، وتوجد في هذه المجموعة كل الحكايات التي جرت العادة على تسميتها "تراكمية" وتلك التي أردنا أن نضيف إشارة إلى خصوصيتها التي سبق ذكرها، واصفين إياها أيضا بأنها "مجنونة".

وكالعادة، سيكون من الممكن الجدال حول عدم وجود كل حكايات الحيوانات هنا. وتوجد بالطبع الحكايات الأساسية، بعد استنفاد مصادر عديدة. وفي حالات كثيرة، يحدث أن تظهر حكاية مجزأة إلى عدة حكايات، أشبه بنوادر، وفي أحيان أخرى ممتزجة مع حكايات أخرى. وآمل فقط في ألا يُطلَب من هذه المختارات أن تشتمل على الخرافات الإيسوبية والشرقية. فقد حالف الحظ كل من ذهب إلى المدرسة في أن يعرفها.

أنطونيو رودريجث ألمودوبار

ANTONIO RODRÍGUEZ ALMODÓVAR

حكايات عجائبية

إهداء المؤلف

إلى ابنتي سارا

هذا الشكل من الفن الأسطوري– الشعبي، الذي انطلق، إنْ جاز القول، من الأدب إلى الأدب؛ والذى اكتسب في إسپانيا تلك الأهمية؛ لأن آدابنا كانت جسرًا من الجسور التي اتصل عبرها الشرق والغرب، عاش في قلب وخيال الشعوب بفاعلية وتأثير أكبر من القصائد الملحمية، والقصائد الغنائية والمسرحيات الأكثر شهرة وكمالاً.

ليوبولدو ألاس "كلارين"

LEOPOLDO ALAS "CLARÍN"


أ- بلانكافلور

(١)

بلانكافلور، ابنة الشيطان

كان ياما كان، كان هناك ملك وملكة ظلا بعد زواجهما بفترة طويلة بدون أطفال، وكانت الملكة تذهب كل يوم لتطلب من الرب أن يرزقها ابنًا حتى وإنْ كان سيأخذه الشيطان عند سن العشرين. كان الملك يذهب كل يوم لصيد الوحوش، ولكنْ أصبحت لديه وحوش كثيرة جدا عليه وحده، حتى إنه ذات يوم، عاد من الغابة وقال لزوجته:

- أول ابن سأرزق به سأنذره للشيطان.

وأخيرا، أعطاهما الرب ابنا جميلا جدا، لدرجة أنه لم يكن له مثيل. كان أيضا قويا جدا، حتى إنه كان يذهب لصيد الوحوش في سن الثالثة. وكان يقتل أكثر مما كان والده يقتل.

ولكنْ عندما كبر، أصبح أيضا لاعبا ماهرا، وكان يفوز على الجميع. ذات يوم، التقى بفارس، وكان هذا الفارس هو الشيطان. لعب معه، وتركه الشيطان يكسب كل النقود، واتفقا على أن يلتقيا ليلعبا في يوم آخر. ولكنْ في ذلك اليوم، كسب الشيطان كل النقود التي كان يحملها ابن الملك. عندئذ سأله ما إذا كان يريد أن يراهن على حياته، وأجاب ابن الملك بالموافقة. لعبا، وفاز الشيطان بروحه. قال له الشيطان عندئذ إنه إذا أراد استعادة روحه، عليه أن يأتي إلى قلعته، وأن يقوم بثلاث مهام سيطلبها منه.

كان الفتى قد أتمَّ عشرين عاما حين طلب من والده:

- أبي، جهّزْ لي أفضل حصان، وبُقْجَةَ مليئة بالطعام، فأمامي سكة سفر.

أعطاه الأب أفضل حصان لديه، وأعدَّتْ له الأم الطعام. ولكنها لم تتوقف عن البكاء. سألها الابن عن سبب بكائها كثيرا هكذا. وعندئذ روت له كيف طلبت من الرب ابنا، حتى إنْ كان سيأخذه الشيطان. طلب منها الفتى ألا تقلق وذهب.

وفي الطريق، قابل الفتى امرأة عجوزا فقيرة، وطلبت منه قطعة خبز، وأعطاها الفتى كل الخبز الذي كان يحمله. حينئذ سألته:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- أنا ذاهب إلى قلعة الشيطان.

قالت له العجوز:

- لسلوكك الطيب هذا، سأقول لك إنه عليك الوصول إلى نهر قريب من قلعة "اللي يروح ما يرجعش"، حيث تذهب كل يوم للاستحمام ثلاث حمامات، هن بنات الشيطان، وعندما تصل إلى هناك، ستكون الحمامات يستحْمِمْنَ. ستخبّئ أنت ملابس الصغرى، واسمها بلانكافلور، ولن تردّها إليها قبل أن تطلبها منك ثلاث مرات، وتَعِد بمساعدتك في كل ما تحتاج إليه.

- وكيف أصل إلى ذلك النهر؟ سأل الأمير.

- في أقرب قرية تعيش صاحبة الطيور، أخت الشمس والقمر، اسألها.

واصل الأمير السير، ووصل أخيرا إلى بيت الطيور. طرق الباب، وخرجت لاستقباله ساحرة، قالت له:

- من الذي أرسلك إلى هنا، من الذي يريد لك الشر هكذا؟

- أنا ذاهب للبحث عن قلعة "اللي يروح ما يرجعش"، وجئت إليكِ لتقولي لي أين توجد - أجاب الأمير.

- أوه، أنا لا أعرف أين تكون تلك القلعة، لكن واحدا من طيوري يذهب إلى كل مكان، ويعرف. الليلة، عندما تأتي بعد غروب الشمس، سأسألها. ولكنْ اختبئ في هذا الركن، حتى لا تحرقك أختي الشمس بأشعتها. أو يكتشفك أخي القمر.

وصلت الشمس وبدأت تصرخ:

- أشمُّ رائحة لحم بشر! إذا لم تعطيني إياه، سأقتلكِ!

وأجابت الساحرة:

- هيا، اتركيه، إنه فتى فقير يبحث عن قلعة "اللي يروح ما يرجعش"، وهو ينتظر وصول الطيور ليسألها بنفسه.

ثم وصل القمر وحدث نفس الشيء:

- أشمُّ رائحة لحم بشر! إذا لم تعطيني إياه، سأقتلكِ!

- هيا، اتركه، فهو فتى مسكين جاء يبحث عن قلعة "اللي يروح ما يرجعش"، وهو ينتظر وصول الطيور ليسألها بنفسه.

ثم وصلت الطيور من كل مكان في الدنيا، وسألها كلها عن مكان قلعة "اللي يروح ما يرجعش"، وقالت كلها: إنها لم تسمع أبدا أي كلام عنها. حينئذ قالت الساحرة:

- إذن، لم يتبق إلا النسر الأعرج، الذي يصل الأخير دائما.

وأخيرا وصل النسر الأعرج، وسألوه، وأجاب:

- أعتقد أنني أعرف، إنها على الجانب الآخر من البحر.

- وهل تستطيع أن توصّل الفتى إلى هناك؟ - سألته الساحرة.

أجاب النسر:

- هذا مكان بعيد جدا، وسأحتاج إلى الكثير من الطعام للسفر عبر البحار، حيوان ميت على الأقل. وتضع في فمي قطعة كلما طلبت.

حينئذ قال الأمير إنه مستعد أن يذبح حصانه، ويعطيه ليأكل منه عندما يطلب. ووافق النسر. وقد كان: ذبح الأمير حصانه، ووضعه فوق النسر، ثم تسلق هو، وبدأ النسر يطير. ومن حين لآخر يقول:

- أيها الأمير، أريد لحما!

ويضع الأمير في منقاره قطعة من لحم الحصان، وظلا هكذا لفترة طويلة، حتى نفد كل اللحم، ولم يكونا قد عبرا البحر بعد. قال النسر:

- أنا آسف، ولكن إذا لم تعطني طعاما، لن أستطيع المواصلة، وسيكون عليَّ إلقاؤك في البحر.

قال الأمير:

- لا، انتظرْ. سأقطع لك قطعة من لحمي، وأعطيها لك.

حينئذ أشفق عليه النسر، وقال:

- ليس ضروريا، سأبذل جهدا أخيرا وسألقي بك إلى جانب النهر الموجود بالقرب من قلعة "اللي يروح ما يرجعش".

وهذا ما حدث، وعندما وصل الأمير إلى ضفة النهر، كانت بنات الشيطان يستحممْنَ.

خرجت الأختان الكبريان، ولبستا ملابسهما، وعادتا إلى هيئة حمامتين. واقتربت الصغرى، التي كانت أجملهن، من الفتى، وطلبت منه ملابسها، قال لها:

- يجب أن تتزوَّجيني.

أجابت بلانكافلور:

- حسنا، كنت أعرف أنك ستأتي، خُذْ هذا الخاتم والبسه.

أعطاها الأمير ملابسها، وارتدتْها، وفي الحال تحولتْ إلى حمامة.

قالت بلانكافلور:

- تسلَّقْ على ظهري، وسنذهب إلى القلعة.

وعندما وصلا إلى القلعة، خرج الشيطان لاستقبالهما، وعلى الفور طلب منه أن يقوم بالمهمة الأولى.

قال له:

- حتى الغد، عليك أن تكون قد مهدت هذا المنحدر، وحرثته، وزرعت القمح، وحصدته، وطحنته، وأحضرتَ لي الخبز.

أخذ الفتى فأسا كبيرا وذهب إلى الجبل. ولكن عندما رأى أنه مليء بالأحجار، بدأ يبكي. وعندما فرك عينيه بالخاتم، ظهرت له في الحال بلانكافلور.

- ماذا بك؟ سألتْ.

أجاب:

- لا شيء، وحكى لها ما طلبه منه والدها.

قالت:

- لا تتضايق، اِرْمِ نفسك في تنورتي ونَمْ.

عندما استيقظ الفتى، كان الخبز جاهزا، فقدَّمه للشيطان الذي قال:

- جيد جدا، لكن، إما أنك تقابل بلانكافلور، وإما أنك شيطان أكثر مني. والآن، عليك أن تزرع حقل الكرم هذا، وأن تحضر لي بعد الظهر، سلة لا بأس بها من العنب.

مرة أخرى بدأ الأمير يبكي، وعندما فرك عينيه بالخاتم، ظهرت له بلانكافلور. وعندما علمت بما حدث، طلبت منه أن ينام. وعندما استيقظ الأمير، لم يكن عليه سوى أن يأخذ السلة المليئة بالعنب ويقدّمها للشيطان الذي قال:

- جميل جدا، لكنْ.. إما إنك ترافق بلانكافلور، وإما أنك شيطان أكثر مني. ما زال ينقصني أهم شيء. ذات يوم، مرت واحدة من جدات جداتي من مضيق جبل طارق، ووقع منها خاتم في البحر. أريدك أن تذهب وتحضره لي.

عندما عرفت بلانكافلور ما طلبه أبوها، قالت للأمير:

- الآن عليك أن تقتلني بهذا السكين، وأن تجمع كل دمي في هذه الزجاجة، دون أن تهدر نقطة واحدة. بعد ذلك، ألقني في البحر، وابدأ بعزف الجيتار بلا توقف.

- أوه أنا لا أستطيع أن أقتلك!، صاح الفتى.

ولكنها قالت له إن هذا يجب أن يحدث. ففعل الفتى كل شيء، تماما كما قالت له بلانكافلور، ولكنْ سقطت منه نقطة دم على الأرض. وبدأ يعزف الجيتار، وبعد برهة، خرجت من الماء الفتاة، أجمل مما دخلت، وفي فمها الخاتم. فقط كان ينقصها جزء من إصبعها، بسبب نقطة الدم التي أضاعها. أخذ الأمير الخاتم إلى الشيطان، الذي قال مرة أخرى:

- إما أنك مع بلانكافلور، وإما أنك شيطان أكثر مني.

وأضاف:

- حسنا، يمكنكما الزواج، ولكن لن يتم الاحتفال بالزفاف، ولن تناما معا. قبل ذلك، عليك أن تخمّن أي واحدة من بناتي الثلاث هي بلانكافلور، وإن لم تعرف سأقتلك.

طلب الشيطان من بناته الثلاث إظهار إصبعٍ من تحت الباب، وعلى الفتى أن يخمّن أي منهن هو إصبع بلانكافلور. وضعتْ الفتاة الإصبع الأقصر، وهكذا عرفها.

ذهبا للنوم، وقالت بلانكافلور للأمير:

- أبي يريد أن يقتلنا الآن، علينا أن نهرب. اذهبْ إلى الإسطبل، هناك سترى حصانين، أحدهما سمين وجميل واسمه رياح، والآخر نحيل وقبيح واسمه فكر. عليك أن تأخذ الثاني، وأيضا سيفًا يغطّيه الصدأ وهو موجود في الدولاب مع سيف آخر جديدٍ براق.

ولكنْ عندما وصل الأمير إلى الإسطبل، فكر في أن حصانا سمينا، وسيفا جديدا، سيخدمانه أفضل، وأخذهما.

وضعتْ بلانكافلور في الفراش بعض قِرَب النبيذ، وبصقت ثلاث بصقات في كوب، لتجيب بدلا منها على الشيطان عندما يسألهما عن أي شيء من وراء الباب. كان الشيطان يسأل، واللعاب يجيب، ولكن أخذ اللعاب يجف، وأصبح صوته أضعف شيئا فشيئا، حتى ظن الشيطان أنهما نائمان. حينئذ دخل الشيطان وبدأ يضرب القِرَب بالسكين، وبدأ النبيذ يسيل منها.

- نحن هالكان، قالت بلانكافلور عندما وصلتْ إلى الإسطبل-. هذا الحصان هو رياح، هيا نجرى!

لاحظ الشيطان أنهما هربا، وأخذ الحصان فكر، وخرج وراءهما.

وعندما كان على وشك الوصول إليهما، تحوّل إلى وحش ليقتلهما. استدار الفتى، وعندما رآه قال لبلانكافلور:

- هناك وحش يريد الإمساك بنا.

عندئذ ألقتْ مشطا على ذيل الحصان. تحوّل المشط إلى شجيرة كثيفة من الأمشاط، إلى درجة أن الشيطان أخذ وقتا طويلا ليستطيع المرور. وعندما وصل إليهما مرة أخرى، قالت:

- خُذْ هذا السكين، وألْقِهِ على ذيل الحصان.

وفي التوّ واللحظة، تحول السكين إلى شجيرة من السكاكين. وخرج الشيطان المسكين مجروحا. لكنه وصل إليهما مرة أخرى فأعطت الابنة الفتى حفنة من الملح ليلقيه على ذيل الحصان. تحوّل الملح إلى جبل من الملح، وعندما عبره الشيطان، وتغلغل الملح داخل جروحه، صرخ صرخات هزّتْ الأرض.

بعد ذلك تحول الحصان إلى صومعة، والابنة إلى أيقونة، والأمير إلى ناسك. عندما وصل الشيطان، سأله ما إذا كان رأى زوجيْن يمتطيان حصانا، يمرّان من هنا، فقال له الناسك:

- دينجيليندان، دينجيليندان. جرس القداس يرنّ. ادخلْ إنْ أردت. -وأخذ يكرر ذلك.

إلى أن ملّ الشيطان منه، وعاد. وعندما وصل إلى القلعة، قالت له الشيطانة:

- أحمق، الناسك والأيقونة كانا هما.

قال الشيطان:

- أيها الرب، اجعلْه ينساها.

أكمل الأمير وابنة الشيطان رحلتهما إلى قصر الملك. وعندما وصلا إلى القرية، تركها عند الجسر وطلب منها أن تنتظره.

- لا تعانق أحدا، لأنه إذا عانقك أحد، ستنساني، قالت له.

وصل الأمير إلى القلعة، وخرج والداه وقال لهما:

- لا أحد يعانقني، جهّزوا العربات، أنا ذاهب لزوجتي.

حينئذ جاءت الجدة من الخلف، واقتربت منه وعانقته. وفي الحال نَسِيَها.

تعبت بلانكافلور من الانتظار، وتوقعت ما حدث، فتحولت مرة أخرى إلى حمامة، وبدأت تطير حول القلعة وهي تقول:

- مسكينة أنا، حمامة وحيدة في الحقل!

وقالت الملكة لابنها:

- ألم تطلب منا أن نجهّز العربات لتذهب إلى زوجتك؟

- أي زوجة؟ أنا لست متزوجا!، أجاب الأمير.

ومع مرور الوقت، أصبح للأمير حبيبة أخرى، وكانوا يقومون ببعض التجهيزات استعدادا للعرس. علمت بلانكافلور بما حدث، وذهبت لتعمل خادمة في القصر. وقد جرت العادة في ذلك الزمن، على أن من يتزوج، يجب أن يهدي شيئا للخدم. وسأل الأمير بلانكافلور:

- وأنتِ؟ ماذا تريدين أن أهديكِ؟

- صخرة ألم وخنجر حب، أجابت هي.

سافر الأمير لشراء كل الهدايا، لكن لم يجد صخرة الألم وخنجر الحب في أي مكان. وفي النهاية، قابل عجوزا، وكان هذا العجوز هو الشيطان، وقال له:

- هاتان آخر قطعتين.

اشتراهما الأمير، وعاد إلى القصر. أعطى الهدايا للجميع، ولكنْ لأنه لم يكن يفهم لماذا تريد هذه الخادمة ما أحضره لها، فكر في أن يختبئ ليرى ماذا ستفعل.

أخذت بلانكافلور الهديتين ووضعتهما على المنضدة. وقالت للصخرة:

- أيتها الصخرة، ألم أكن أنا من عزق المنحدر، وزرع القمح، وحصده، وطحنه، وخبز الخبز الذي أخذه الأمير إلى أبي؟

وأجابت الصخرة:

- نعم، أنتِ.

بدأ الأمير يتذكر شيئا، وواصلت ابنة الشيطان قائلة:

- يا صخرة الألم، ألم أكن أنا من زرع حقل الكرم، وجمع العنب في يوم واحد فقط ليحمله الأمير إلى أبي؟

وأجابت الصخرة:

- نعم، أنتِ.

وعندئذ كان الأمير قد تذكر كل شيء. وقالت هي:

- يا خنجر الحب، ماذا أستحق أنا؟

فقال الخنجر:

- أن تقتلي نفسك يا بلانكافلور.

وعندما كانت على وشك أنْ تقتل نفسها بالخنجر، خرج الأمير من حيث كان يختبئ، وأمسك بها وقال لها:

- سامحيني يا بلانكافلور، سامحيني فأنا زوجك، وكنتُ قد نسيتُكِ.

خرجا، وقال للجميع إنها زوجته.

(٢)

بالوما بلانكا

كان يا ما كان، كان هناك زوجان لديهما ثلاثة أطفال؛ الأول اسمه سيرافين؛ والثاني خيرمان، والثالث، ريكاردو.

ذات يوم، اقترب سيرافين من والده وقال له:

– أبي، باركْني، فأنا ذاهب عبر العالم بحثا عن الثروة.

أخذ سيرافين بركة والده الذي نصحه:

– لا تخدمْ أبدا رجلا بلحية حمراء، اخدمْ رجلا بلحية سوداء.

أخذ الشاب عصا وحقيبة ورحل من البيت. وهناك، بعيدا جدا، وجد رجلا له لحية حمراء يسأله:

– إلى أين أنت ذاهب؟

– أنا ذاهب لأبحث عن أحد لأخدمه.

– أتريد أن تخدمني؟

– كنت سأخدمك بكل سرور إذا كانت لحيتك سوداء، فأبي قال لي ألا أخدم رجلا بلحية حمراء.

ذهب السينيور وصبغ لحيته، وسلك طريقا مختصرا وذهب ليقابل الشاب. وسأله ما إذا كان يريد أن يصبح خادمه.

لم يتعرّف عليه سيرافين، وقبل العمل عنده. حينئذ، أخذه السينيور إلى بيته. مضى يوم، ومضى آخر، ولم يطلب منه أن يفعل أي شيء. وفي اليوم السابع قال له سيرافين:

– سيدي، ألن تكلفني بأي عمل؟ إذا كنت لا تحتاج إليّ سأرحل.

أجابه السينيور:

– نعم، ستعمل؛ جهّزْ الثيران، والعربة، وسلة، وثلاثة أو أربعة أكياس، وحبلا، وفأسين صغيرين، فنحن ذاهبان إلى الجبل لنبحث عن حطب نملأ به العربة.

ذهبا إلى الجبل وجمعا كومة من الحطب وأشعلا فيها النار. وأثناء اشتعال الحطب، كان السينيور يقرأ في كتاب سحر، وعندما انطفأت النار، انفتحتْ بئر عميقة جدا في المكان الذي كانت فيه، وقال السينيور:

– تعالَ هنا يا سيرافين، يوجد كنز في قاع هذا البئر؛ سأنزلك إلى هناك بالحبل لتأخذ لنا نحن الاثنين بعض سِلال الذهب. أنا سأسحبها بالحبل، ومع آخر سلة ذهب، سأُخرجك.

نزل سيرافين إلى حيث كان الكنز، وعندما انتهى من تحميل الذهب، جلس في السلة ليخرج. سحب الرجل الحبل، وعندما كاد سيرافين أن يصل إلى الأعلى، تركه الرجل يسقط في البئر، وبدأ يقرأ في كتاب السحر وأُغلِقَ البئر.

بعد ذلك، وضع الذهب في الأكياس، ووضعها في العربة، وأخذها إلى البيت.

مر بعض الوقت، وبدأ الحزن يُصيب والدي سيرافين، لأنه لم تصل إليهما أي أنباء عن ابنهما.

قال خيرمان:

– لا تحزن يا أبي، أعطني بركاتك، سأذهب الآن للبحث عن أخي.

باركه الأب وأعطاه نفس النصيحة التي أعطاها لسيرافين.

ذهب خيرمان عبر البلاد، ومعه حقيبة وعصا، وبعد أن مشي عدة فراسخ، وجد السينيور صاحب اللحية الحمراء، الذي فعل معه تماما مثلما فعل مع أخيه.

قال ريكاردو ذات يوم:

– أبي بما أننا ليست لدينا أي أخبار عن سيرافين ولا عن خيرمان، أعطني بركاتك، فأنا أريد أن أذهب حالاً، لعلني أجدهما.

أعطى الأب بركاته لريكاردو وأعطاه نفس النصيحة التي أعطاها لأخويه. ذهب ومعه الحقيبة والعصا في يديه وقابل ذات يوم الرجل صاحب اللحية الحمراء، وذهب ليخدمه في نفس ظروف سيرافين وخيرمان.

لكن عندما نزل إلى قاع البئر ليحمّل سلال الذهب، جلس في آخر سلة ليخرج، وقال لنفسه:

– مع وزن الذهب ووزني سيكون من السهل أن ينقطع الحبل؛ من الأفضل أن يخرج سيدي السلة أولا، وبعد ذلك يخرجني أنا.

شد الرجل الحبل ثم رماه معتقدا أن ريكاردو هو الذي يصعد في السلة، وقرأ في كتاب السحر وأغلق البئر.

عندما رأى ريكاردو نفسه محبوسا، بدأ يمشي في ممرّ، ووجد هيكلي أخويه العظميَّيْن. وبهذه العظام فتح فتحة ودخل فيها وخرج في حديقة، فيها شجرة تين مليئة بالتين الناضج.

قال ريكاردو:

– أوه، يا له من تين جميل يشبع الجوع!. سآكل بعض الثمرات.

تسلَّق شجرة التين، وعندما مد يده ليَأخذ تينة، ظهر مارد وقال له:

– من أين دخلت إلى هنا؟ انزلْ، سآكلك الليلة.

– أرجوك لا تأكلني؛ إذا عفوتَ عني سأقول لك عن مكان به كنز عظيم.

– آه، أيها الصعلوك! وعرفتَ أيضا أين احتفظ بثروتي؟

– أنزلْني رجل في بئر وتركني هناك محبوسا. لا تأكلْني من فضلك فأنا يمكنني أن أقدّم لك خدمات جيدة.

كان المارد عجوزا، وقبِل عرض ريكاردو، وأحبه في الحال وسلمه مفاتيح القصر بشرط ألا يدخل غرفة المارد.

ذات يوم قال ريكاردو لنفسه:

– لماذا لا يريد سيدي أن أدخل غرفته؟ سأدخل لأرى ماذا يخبئ هناك.

فتح الباب ورأى حمامة بيضاء تدخل من الشباك، وأخرى ذهبية، وأخرى صفراء. استحمَّتْ الحمامات في نبع من الذهب وتحوَّلْنَ إلى ثلاث شابات.

وبعد أن تحدثن معا لفترة، عُدْنَ إلى هيئة الحمامات وخرجْنَ يطرنَ من حيث دخلْنَ.

في المساء، سأل المارد ريكاردو:

- ماذا رأيت اليوم في غرفتي؟

- لم أر شيئا، لأنني لم أدخلها.

- أنا أعرف أنك دخلتَ. لن أعاقبك إذا أجبتني على السؤال الذي سألتُك عنه الآن.

حكى له ريكاردو الحقيقة، وقال له المارد:

- عُدْ غدا إلى غرفتي وعندما تدخل الحمامات، خُذْ ريشة أكثر حمامة تعجبك.

أُعجب ريكاردو بالحمامة البيضاء، وعندما تركت الحمامة ريشتها في النبع لتتحول إلى امرأة، أخذها ريكاردو ولهذا لم تستطع الشابة أن ترحل مع زميلاتها.

نادى المارد على ريكاردو في نفس اليوم وقال له:

- تزوَّجْ الشابة التي احتجزتَها في غرفتي؛ اسمها بالومابلانكا. احتفظ بالريشة التي أخذتها منها في هذا الصندوق ولا تظهرها لها أبدا، إذا أظهرتَها لها ستقع في متاعب كثيرة.

تزوَّجَ ريكاردو الشابة، وبعد فترة قال للمارد:

- لا يعرف أبواي أي أخبار عني منذ خرجتُ من بيتنا، إذا سمحتَ لي، سأذهب لأراهما وسآخذ زوجتي معي.

قال له العملاق:

- أوَّلاً هما أبواك وهما أولى مني، اذهبْ لرؤيتهما وقتَما شئتَ واحملْ لهما كيسًا من الذهب الذي احتفظ به في البئر.

وصل ريكاردو إلى بيت أبويه، ومعه زوجته، وأعطاهما الذهب الذي أرسله المارد وأعطى أمه صندوقا به ريشة بالومابلانكا وقال لها:

- يجب ألا تُرِى زوجتي ما يوجد بداخل هذا الصندوق.

ذات يوم، بينما كان ريكاردو يصطاد، دخلت بالومابلانكا غرفة حماتها حيث كان يوجد الصندوق وقالت:

- يا له من صندوق جميل! صندوق مَنْ هذا؟

- هذا صندوق زوجك.

- أريد أن أرى ما بداخله، لا بد أن زوجي يحتفظ فيه برسائل امرأة أخرى.
وبدأتْ تبكي.

عندئذ فتحت حماتُها الصندوق، ووضعتْ بالومابلانكا يديها بداخله وأخرجتْ الريشة وقالتْ:

- ريشتي! ها هي ريشتي هنا!

وتحولتْ إلى حمامة وطارتْ.

عاد ريكاردو من السفر وعرف ما حدث، وقال لأبويه:

- لن أحلق لحية وجهي ولن أخلع القميص من جسدي مادمت لم أجد بالومابلانكا؛ سأذهب لأسأل المارد عنها.

ذهب ليسأل المارد وقال له:

- بالوما لم تعد إلي هنا، ولن تعود. اذهبْ إلى المارد الذي يعيش في الناحية الأخرى من الجبل واسأله عنها، فهو يعرف أكثر مني. خُذْ هذه البندقة وحافظ عليها لأنها ستنفعك في شيء ما.

عبر ريكاردو الجبل، وذهب إلى بيت المارد الذي قال له بمجرد رؤيته:

- أهلا يا ريكاردو!

- يسعدني أن أكون معروفا هنا رغم أنني أعيش بعيدا جدا. هل رأيتَ بالومابلانكا؟

- لا، لم أرها، اذهبْ إلى كبير المردة واسألْه عنها. إذا لم يقلْ لك أين هي لن يقولَ لك أحدٍ. لكنْ احرصْ على ألا يأكلك؛ فهو يشم رائحة لحم البشر على بعد سبعة فراسخ. خُذْ هذه الجوزة لأنها ستنفعك في شيء.

ذات ظهيرة، وصل ريكاردو إلى بيت كبير المردة وكانت زوجته موجودة هناك وحدها وقالت له فور وصوله:

- أهلا ريكاردو!

- يسعدني أن أكون معروفا هنا رغم أنني أعيش بعيدا جدا. هل رأيتِ بالومابلانكا؟

- لا، لكن المارد رآها، لكنك لا يمكنك أن تسأله عنها. أنا سأساعدك في هذا الأمر، ويجب أن أخبِّئك في البيت.

حينئذ، قرأتْ الماردة في كتاب المارد وحوّلتْ ريكاردو إلى نملة ووضعتْها فوق طاولة وغطتها بفنجان.

في المساء، وصل المارد وسأل زوجته:

- مَنْ كان عندك اليوم في البيت؟ فأنا أشمُّ رائحة لحم بشري.

لا بد أنها الرائحة التي تركها الصيادون الذين مروا من هنا هذا الصباح.

تناولا العشاء وذهبا إلى الفراش وعندما نام المارد، أعطته الماردة لكمة في وجهه واستيقظ وهو يصرخ:

- ماذا تفعلين يا امرأة!

- كنت أحلم بأن بالومابلانكا قد تخلَّصتْ من سحرها، ومن فرحتي مددتُ ذراعي لأعانقها، ولكنني ضربتك على وجهك بيدي. وبمناسبة بالومابلانكا: هل تعرف أين هي؟

- نعم، موجودة على بعد ثلاثة فراسخ من بينيانيجرا. لكن من الصعب الوصول إليها لأن هناك فرسخا من الماء، وآخر من النار، وآخر من المسامير مغروزة وأسنانها إلى أعلى.

عندما جاء الصباح، قرأتْ الماردة في كتاب المارد، وأخرجت ريكاردو من هيئة النملة. بعد ذلك، قالت له ما عليها قوله بخصوص بالومابلانكا وودعته وقالت له:

- خُذْ ثمرة القرع هذه وحافظْ عليها، لأنها ستنفعك في شيء جيد.

وصل ريكاردو إلى بينيانيجرا ووجد فرسخ الماء. ولأنه كان يستطيع السباحة، عبَرَ بسهولة إلى الجانب الآخر. لكنه وجد هناك فرسخ النار، الذي كان يمنعه من أن يكملْ طريقه.

وليستطيع العبور، نزع لحاء الشجر وبعد أن بلله بالماء، غطّى به جسده. وهكذا استطاع أن يصل إلى فرسخ المسامير، وعبر وهو يحمي قدميه بنفس اللحاء الملفوف عليهما.

وأخيرا وصل إلى القصر الذي كانت فيه بالومابلانكا مسحورة، واستقبله موكبٌ من الساحرات بهذه الكلمات:

- أهلا ريكاردو!

- يسعدني أن أكون معروفا هنا، رغم أنني أعيش بعيدا جدا. هل تعرِفْنَ أين بالومابلانكا؟

- لا، لم نرها.

تناول ريكاردو عشاءه مع الساحرات وفي آخر العشاء، كسر البندقة وأخرج منها قصرا رائعا.

قالت الساحرات:

- إذا أهديتنا هذا القصر، سنُحْضر لك بالومابلانكا وستنام معك الليلة.

قبِل ريكاردو الاقتراح وهو فرحان جدا. وبعد ذلك أعطتْه الساحرات مشروبًا أفقده رشده، عندئذ حضرتْ بالومابلانكا، وأخذتْه إلى الفراش، ونامت معه حتى الفجر، ثم غادرت الفراش.

وعندما أفاق ريكاردو، عرف أنه لم ينم وحده.

جاء الليل، وكسر ريكاردو الجوزة بعد العشاء وأخرج منها قصرا أروع من الذي خرج من البندقة. وطلبتْ منه الساحرات القصر في مقابل أن يسلِّمَنَهُ بالومابلانكا.

وافق، وحدث له نفس ما حدث الليلة الماضية. وفي الصباح قالت له الساحرات:

- سنخرج في نزهة، وبما أنك ستبقى هنا وحدك، يمكنك أن تتجول في كل القصر، لكنْ لا تدخل الغرفة الموجودة في الدهليز.

وبمجرد أن رحلْنَ، دخل ريكاردو هذه الغرفة ووجد بالومابلانكا هناك. تعانقا وهما مليئان بالسعادة وقالت له:

- هذه الليلة، بعد العشاء، اكسرْ قشرة ثمرة القرع، سيخرج منها قصر مدهش، اهْدِهِ للساحرات كما أهديتَ الآخرين، لكنْ احترس من شُرْب أي مشروب، حتى لا تفقدَ رشدك كما فقدتَه في الليلتين الماضيتين.

أهدى ريكاردو القصر للساحرات، بعد ذلك تظاهر بأنه يشرب المشروب الذي قدَّمْنَهُ له وبأنه يفقد رشده. عندئذ حملته بالومابلانكا إلى الفراش، وفي الفجر قالت له بصوت منخفض جدا حتى لا تسمعها الساحرات:

- استيقظْ وخُذْ الصخرة السوداء الموجودة تحت الفراش، واكسرْ بها مصباح السلم إلى سبع قطع.

كسره، وخرجتْ بالومابلانكا من سِحْرِها، وظلت سعيدة جدا مع ريكاردو في ذلك القصر الذي عاشا فيه طول العمر.

وتوتة توتة فرغت الحدوتة...

(٣)

المسـافـرة

حسنا يا سادة، هذه حكاية ابن الملك، الذي كان مسحورا في قصر في غاية الجمال. ولم يكن يستطيع أن يرحل من هناك طالما كان هذا السحر مستمرًا. لكنهم كانوا يسمحون له بأن يتجول في أنحاء المنطقة ليصطاد.

ذات يوم ذهب للصيد، وتصادف أنه مرَّ على بيت في الريف، وهناك رأى شابة في غاية الجمال لدرجة أن الجميع كان يحسدها على جمالها.

أُغرم بها الأمير، ولأنه كان أيضا في غاية الجمال، لم يَبدُ لها أشبه بكيس تبن فأحبته أيضا. سألها الأمير عما إذا كانت تريد أن تصبح زوجته، ولأنها وافقت، أخذها معه إلى قصره المسحور، وهناك، كانت محاطة بكل ما يمكن أن تتمناه. قال لها: إنه سيكمل قريبا المدة التي سيبقى مسحورا فيها، وحينئذ سيذهب إلى بيته ويتزوجها، ولكنَّ عليها أن تحرص كثيرا على ألَّا تنام في اليوم الذي سيرحل فيه؛ لأنه لن يستطيع أن يناديها وهي نائمة، وإنْ لم يرها، لن يكون من السهل أن يراها مرة أخرى.

ثم جاء اليوم الذي سيكمل فيه فترة سِحْره، وجاء إليه أبوه بعربة تجرها الخيول. وقبل أن يرحلا، ذهب الأمير ليرى الشابة، ووجدها نائمة؛ أخذ بعض الزهور وألقاها حولها، وأخرج خنجرًا بيد ذهبية، ووضعه على صدرها. ثم خرج، لأن والده كان ينتظره، وصعد إلى العربة التي تجرها الخيول، ورحلا.

وفي لحظة خروجهما، اختفى القصر، ولم يتبقَّ منه شيء سوى الشابة النائمة على الأرض. واستيقظت عندما شعرت بالبرد. وعندما وجدت نفسها وحيدة، أدركت أن فترة سحر الأمير قد انتهت، وأنه رحل أثناء نومها.

أخذت الزهور والخنجر وتَتَبَّعَتْ أثر العربة. وعندما وصلت إلى مرتفع، لمحت من بعيد سحابة من التراب، وعرفت أنها العربة التي يوجد فيها الأمير. ظلت تجري وراءها ولكنها لم تستطع اللِّحاق بها، إلى أن قابلت امرأة مسافرة. سألتها ما إذا كانت رأت الشخصيْن اللذين في تلك العربة، وبالإشارات التي قامت بها عرفت أن أحدهما هو الأمير. اقترحتْ على المسافرة أن تتبادلا ثيابهما، ولأن ثوبها كان في غاية الجمال، لم يكن عند المسافرة أي مانع من ذلك.

وبثوب المسافرة واصلت طريقها، ولأن العربة توقفت عند النبع ليأكل المسافرون، وصلت إليها.

كانت المسافرة قد استراحت قليلا من الوقت بالكاد عندما شرعت العربة في الرحيل مرة أخرى. لكن الأمير كان قد رأى المسافرة وهي تتحدث إلى الشابة، وأراد أن يسألها عن الشابة، معتقدا أنها المسافرة، لأنه لم يلحظ تبادل الثياب. أمر بأن تسير الخيول على مهل، واستاء الملك الذي أراد أن تجري الخيول بسرعة؛ لكن الأمير قال إنه يشعر بالإعياء وإن السرعة لا تناسبه.

ولأن العربة كانت تسير ببطء، على هذا النحو، استطاعت المسافرة أن تَتَتَبَّعها، وأطلَّ الأمير الذي كان يريد أن يتحدث إليها من العربة وسألها:

– أيتها المسافرة ألم تكوني تتحدثين إلى أحد في الطريق؟

– نعم يا سيدي، أجابت المسافرة. كنتُ أتحدث مع فتاة في غاية الجمال.

– وماذا كانت تقول لك؟

– آه يا لها من مسكينة! كانت تقول فقط: "أيها الفارس الذي أحببتني بالورود والزهور، آه ليتني أنسى حبي".

سألها مرات عديدة، لأنه أحبَّ أن يسمعها وهي تتكلم، وكانت تجيبه بنفس الإجابة، حتى أمر الملك، الذي فاض به الكيل من كل هذا، بأن تُسرع الخيول خطاها، لكن الأمير اعترض على ذلك، إلا إذا ركبت المسافرة العربة، وإلاَّ نزل هو منها. ظن الملك أنها نزوة من ابنه، وليصلا سريعا إلى القصر، وافق على أن تركب المسافرة العربة. صعدت المسافرة، وأخيرا وصلوا إلى القصر. لم يتعرَّف الأمير عليها، لكنْ عندما كان يسمعها تتكلم كان يحس بأنه يعرف صدى هذا الصوت. لذلك لم يكن يريد أن يتركها ترحل وأمر بأن يخصصوا لها غرفة في القصر قريبة من غرفته.

كان الملك قد جهَّز لزواج ابنه من أميرة وصلت في نفس ذلك اليوم إلى القصر. وفي اليوم التالي، قال للأمير إن الزفاف سيُقام. طلب الأمير وقتا ليفكر في الأمر، لكن الملك قال له إن ذلك مستحيل، لأن العروس كانت قد جاءت ومعها الموكب ولا يمكن أن يتركوها تنتظره. وسواء شئنا أم أبينا فقد تزوَّجا في اليوم التالي. استاء الأمير بشدة لأنه تذكَّر الشابة التي تركها في الريف. أما بالنسبة للمسافرة، فقد كانت تأمل أن يتذكرها الأمير في نهاية الأمر، لكنْ عندما رأت أنه سيتزوج فقدت نهائيا كل أمل، ولم تكن تريد أن تحضر الاحتفالات.

حلَّ المساء، وعندما انتهى الرقص، أوت الأميرة إلى الفراش، لكنْ أراد الأمير أن يذهب ليرى المسافرة، ليرى ما إذا كانت مريضة، فهو لم يرها طوال اليوم. وصل إلى غرفتها فوجدها خالية، سأل الخدم، ولم يكن أحد منهم قد رآها. بحث عنها في كل مكان وعندما فتَّش في الحديقة، وجدها ملقاةً على الأرض والخنجر مغروز في صدرها، وحولها زهور كثيرة. انحنى ورأى خنجره بقبضته الذهبية، وكشف عن وجهها وعرف الشابة.

حينئذ أدرك لماذا قتلت نفسها، وقال:

- بما أنكِ لم تريدي أن تعيشي بدون حبي، أنا أيضا لا أريد أن أعيش بدون حبك - وأخذ الخنجر وغرزه في صدره وسقط ميتا إلى جانب المسافرة.

عندما رأت الأميرة التي كانت تنتظر زوجها أنه تأخر كثيرا، قامت لترى أين يكون. ذهبت إلى غرفة المسافرة وهي تخشى أن يكون هناك، فقد علمت أنها جاءت معهم. ولأنها لم تجد أحدا ظنت أنهما هربا. بحثت عنهما في كل مكان وعندما وصلت إلى الحديقة ورأتهما ميتيْن، شعرت بالغيرة من المسافرة، وأخذت الخنجر الذي كان في صدر الأمير وطعنت به نفسها وسقطت ميتةً إلى جانبه.

وعندما استيقظ الملك والملكة، ذهبا ليريا العروسيْن الحديثيْن فلم يجداهما في غرفتهما. نزلا إلى الحديقة، وكم كان ألمهما عندما رأيا الثلاثة موتى. ألقتْ الملكة اللوم على الملك، وهي تقول إنه كان يعرف أن ابنه يحب المسافرة، ولكنه أصرَّ على أن يزوّجه من امرأة أخرى. اعتذر الملك بقدر ما استطاع، ولكنْ كان لا عزاء لهما.

بعد قليل، نزلت حمامة بيضاء، بعد أن طافت حول الأموات، هبطت على الأرض. كانت الحمامة تحمل بمنقارها سلة صغيرة، وضعتها على الأرض، والجميع ينتظرون في دهشة ليروا ماذا ستفعل.

كانت قد أحضرت معها في السلة زجاجة صغيرة وبداخلها ريشة. أخرجت الحمامة الريشة، ووضعت بعضا من السائل الموجود في الزجاجة على جرح الأمير، فأفاق وهو بصحة وخير. ووسط دهشة وسعادة من الذين كانوا يشاهدون، توجهت الحمامة إلى الأمير وقالت له:

- عندي أمر بأن أعيد الحياة لواحدة من الميّتتيْن، اخترْ من بين الاثنتين مَنْ تريد منهما.

اختار الأمير المسافرة دون تردد.

فأخذت الحمامة الريشة ودهنت بها جرح المسافرة التي استعادت حياتها. بعد ذلك، أخذت الحمامة السلة الصغيرة، وارتفعت في طيرانها، واختفت عن أنظار الجميع.

كان الملك والملكة يرغبان في إنقاذ الأميرة، لكنهما رأيا أن ذلك مستحيل لأن الحمامة أخذت معها الزجاجة الصغيرة. ارتاحا لعودة ابنهما إلى الحياة وأعدًا جنازة فخمة للأميرة.

انتهى ذلك، وأعيد جسد الأميرة إلى بلدها حاملا خبر تلك المصيبة. قال الأمير لأبويْه إنه لن يتزوج غير المسافرة. ولم تكن الملكة تريد أن يحدث شيء آخر مثل الذي حدث، وأقنعت الملك. وبعد مرور أيام الحداد على الأميرة. تزوَّج الشابان، وظلا سعيديْن طول العمر.

وانتهت الحكاية والجميع في سعادة.

ب – خوان الدب

(٤)

خـوان الـدب

منذ زمن بعيد، عاشت صبيَّة في قرية، وكان عملها الاعتناء بالبقر. وذات يوم، أضاعت واحدةً من بقراتها، وبدأت تبحث عنها في كل مكان. ودون أن تنتبه، وصلت إلى جبل بعيد جدا، وهناك، خرج لها دب، وأخذها وحملها إلى الكهف.

وبعد أن عاشت معه لفترة، أنجبت الصبية ابنا. لم يكن الدب يترك الأم ولا الابن يخرجان من الكهف، وكان يحضر لهما الطعام يوميا. وكان يضع ويزيح جانبا صخرة ضخمة يغطي بها مدخل الكهف. ولكن الطفل بدأ يكبر، ويصبح أقوى فأقوى. ذات يوم، حينما كان عمره اثني عشر عامًا، رفع الصخرة الهائلة بذراعيه، وأزاحها بعيدا عن المدخل، ليستطيع الهرب هو وأمه. وبينما كانا يخرجان من الكهف، ظهر الدب، فأخذ الصبي الصخرة مرة أخرى، وألقاها على الحيوان، وقتله.

عادت الأم إلى القرية مع ابنها، الذي كان اسمه خوان. أدخلته المدرسة، لكن خوان كان يتشاجر طوال اليوم مع باقي الصبية، ويسيئ معاملتهم، حتى أنه هاجم معلمه. في النهاية، قالوا للأم: إن عليها أخذه من هناك، وقال هو: إنه يريد أن

يرحل من القرية، وطلب أن يصنعوا له هراوة وزنها سبعة أرُوبا[١]. وعلى هذا كانت ثقيلة جدا، لدرجة أنه كان عليهم أن يحضروها من دكان الحداد، محمولة على أربعة بغال، لكنه حملها كأنه لا يحمل شيئا، ورحل.

في الطريق، قابل خوان رجلا يقتلع شجر الصنوبر، وقال له:

– مَنْ أنت؟

– أنا اسمي، الذي يقتلع أشجار الصنوبر، وأنت؟

– أنا خوان الدب، أسير في كل الدنيا، ومعي هذه الهراوة، وأفعل ما أريد. قل لي، كم يدفعون لك مقابل اقتلاع أشجار الصنوبر؟

– سبعة ريالات[٢]، أجاب الذي يقتلع أشجار الصنوبر.

– حسنا، أنا سأدفع لك ثمانية.

وذهب الاثنان معا. وبعد ذلك بقليل، رأيا رجلا كان يُسَوّى الجبال بمؤخرته، سأل خوان الدب:

– مَنْ تكون؟

– أنا الذي يُسَوِّي الجبال، وأنتما؟

– أنا، خوان الدب، وهو، الذي يقتلع أشجار الصنوبر. قل لي، كم يدفعون لك في اليوم؟

– ثمانية ريالات، أجاب الذي يُسَوِّي الجبال.

– جيد، أنا سأدفع لك تسعة.

---

(١) أرُوبا: مقياس وزن قدره أحد عشر كيلو ونصف – المترجمة.

(٢) الريال: ربع البيسيتا، العملة المستخدمة في إسبانيا في ذلك الزمن – المترجمة.

وذهب الثلاثة معا في طريقهم.

عندما حلَّ الليل، ذهب خوان، والذي يقتلع أشجار الصنوبر إلى الجبل بحثا عن طعام، وتركا الذي يُسَوّي الجبال ليوقد شعلة النار. ولكنْ كلما اشتعلت، كان يقترب جني صغير ويطفئها، وقال له الذي يُسَوّي الجبال:

- إذا أطفأت الشعلة مرة أخرى، سأقتلك.

- رائع يا رجل، أجاب الجني الصغير، ألا تعرف أن هذا بيتي؟

ثم أخذ عصا، وهوى بها على الذي يُسَوّى الجبال بضربة لا بأس بها، وتبرَّز في كل أواني الطعام، واختفى.

عندما عاد خوان، والذي يقتلع أشجار الصنوبر، أصيبا بذهول لرؤية ما حدث.

- حسنا، قال خوان الدب، غدا سيبقى الذي يقتلع أشجار الصنوبر.

وعندما كان الذي يقتلع أشجار الصنوبر يجهز الشعلة، ظهر الجني الصغير مرة أخرى وقال:

- ألم يصلك خبرٌ أمس بأن هذا بيتي؟

ودون أن يقول المزيد، أخذ العصا وضرب بها الذي يقتلع أشجار الصنوبر ضربة قوية، وأطفأ له الشعلة، وتبرَّز في أواني الطعام.

وعندما عاد الاثنان الآخران، وعرفا ما حدث، غضب خوان كثيرا وقال:

- غدا، سأبقى أنا.

في اليوم التالي، أشعل خوان الدب الشعلة، وظهر له الجني الصغير من جديد قائلا:

- أما زلت لا تعرف أن هذا بيتي؟

أخذ العصا مرة أخرى، مستعدا لضرب خوان الدب، لكن خوان أخذ الهراوة التي تزن سبع أرُوبات، وضرب الجني الصغير ضربتين فقط، وانتصر عليه. بعد ذلك، قطع الجني الصغير واحدة من أذنيه، وأعطاها لخوان الدب، قائلا له:

- كلما وجدتَ نفسك في مأزق، أخْرِجْ الأذن وعضها.

عندما عاد الآخران، قال لهما خوان الدب إنهما جبناء، وحكى لهما ماذا فعل مع الجني الصغير.

وفي يوم آخر، وصلوا ثلاثتهم إلى سلسلة جبال، يوجد فيها الكثير من أشجار الصنوبر، ولأنهم شعروا بعطش شديد، قال خوان الدب:

- لنرى ما إذا كان ما تستطيعون أن تفعلوه حقيقيا. أولا أنت يا من تقتلع أشجار الصنوبر، عليك أن تقتلع كل أشجار الصنوبر. وبعد ذلك أنت يا من تُسَوِّي الجبال، عليك أن تُسَوِّي كل هذه الجبال، وأنا سأحفر بئرا.

وهذا ما فعلوه، ترك الذي يقتلع أشجار الصنوبر كل الجبال جرداء في لحظة، والذي يمهد الجبال، بدأ يحركها، ويسطحها بمؤخرته حتى أصبح المكان كله مثل راحة اليد. حينئذ، أخذ خوان هراوته ذات السبعة أرُوبات، وبضربة واحدة في الأرض، حفر بئرا عميقة جدا. أطلَّ ثلاثتهم، لكنها كانت عميقة جدا لدرجة أنهم لم يروا شيئا إلا الظلام، قال خوان الدب:

- لا بد أنه يوجد شيء هنا، سنرمي حبلا ونرى، سينزل الذي يقطع أشجار الصنوبر أولا، وعندما يرى شيئا، يضرب الجرس لنخرجه.

ولكن، قبل أن يصل إلى القاع، شعر الذي يقطع أشجار الصنوبر ببرد شديد، وضرب الجرس. بعد ذلك، نزل الذي يُسَوِّي الجبال، وشعر بحرٌ شديد، وضرب الجرس أيضًا ليرفعوه. في النهاية، نزل خوان الدب، الذي وصل إلى القاع، حيث وجد كهفا به ثلاثة أبواب.

فجأة، فُتِحَ باب من الأبواب الثلاثة، وظهرت فتاة. سألها خوان مَنْ تكون، وأجابت:

- أنا أميرة، وأنا هنا لأن عملاقا سحرني يوم تجرأتْ ولمستُ شجرة تفاح كانت موجودة في حديقة القصر، وكان أبي يحرّم عليَّ الاقتراب منها، وعندئذ انشقتْ الأرض وابتلعتني، والآن، حتى أنت لا يمكنك الخروج من هنا.

- سنرى، أجاب خوان الدب.

ولم تكد تُنْهِي كلامها، حتى خرج من الباب ثور هائجًا، واتجه نحوه ثائرًا، لكن خوان رفع هراوته ذات السبع أرُوبات، وبضربة واحدة في رأسه قتله. بعد ذلك، فُتِحَ باب آخر، وخرجت حية، ضربها خوان الدب في رأسها، وقتلها أيضا. وفي النهاية، فُتِحَ ثالث باب، وخرج العملاق يصيح: "أشمّ رائحة لحم بشرى، أشمّ رائحة لحم بشرى، أيها البائس! كيف تتجرأ على دخول بيتي؟"

بدأ الاثنان يتعاركان، ولكن نجح خوان في توجيه ضربة قوية جدا بهراوته إلى العملاق، تركتْه مطروحا على الأرض.

وعندما وجدت الأميرة نفسها حرة، أعطت خوان خاتما كانت تلبسه. ربط خوان الحبل على خصر الأميرة، وضرب الجرس ليرفعها الآخران. وكذلك فعَلا، ولكن، عندما صعدت الأميرة إلى الأعلى، لم يقم الذي يقتلع أشجار الصنوبر، والذي يُسَوّي الجبال بإلقاء الحبل مرة أخرى، وأخذا الأميرة.

وعندما تعب خوان من قرع الجرس، أدرك أنهم تركوه، وظل يلف لساعات طويلة في الكهف، دون أن يستطيع الخروج. وفجأة، تذكر ما قاله الجني الصغير، وأخرج الأذن من جيبه، وعضّها، وفي لحظة ظهر له الكثير من الأقزام المستعدة لمساعدته. أخرجوه من الكهف في الحال، أعطوه ثيابا جديدة، وفرسا طائرا، استطاع به أن يصل إلى القصر، حيث كان الملك يقرر ما إذا كان سيزوج الأميرة

إلى الذي يقتلع أشجار الصنوبر، أو إلى الذي يُسَوّي الجبال، فقد ادَّعى كلٌ منهما أنه قام بفكّ سحر الأميرة. وكان كل مَنْ في القصر يترقبون القرار، ليقيموا حفلاً كبيرا، بالرغم من أن الأميرة كانت حزينة. دخل خوان الدب بين الحشد، وحتى الأميرة لم تستطع التعرُّف عليه في البداية، بسبب الثياب التي أعطاها له الأقزام، وأخيرا، اقترب منها، وأراها اليد التي كان بها الخاتم الذي أعطته إياه في الكهف، حينئذ صاحت الأميرة:

- هذا الذي سأختاره، لأنه هو الذي فكّ سحري!

فوجئ الملك والجميع، ولكن لم يكن أمامهم إلا أن يقتنعوا حين رأوا الخاتم. وتمت معاقبة الاثنين الآخرين، وتزوج خوان الدب والأميرة وعاشا في تبات ونبات.

ج- الأمير المسحور

(٥)

الأمير المسحور

كان يا ما كان، كان هناك صانع مقشات فقير، عنده ثلاث بنات، وكان يذهب كل يوم إلى الحقل، ليبحث عن سعف النخل، ليصنع مقشات. وذات يوم، وجد ليفة كبيرة جدا، وعندما ذهب ليقتلعها، سمع صوتا يصرخ فيه:

- من فضلك، لا تشدني من شعري!

- من أنت؟، سأل الرجل.

وفي الحال ظهر له تنين، وقال له:

- إذا أحضرت لي غدا أول شيء تقابله عندما تعود إلى منزلك، سيكون لديك كل ما تريد.

لم يقلق الرجل، لأن أول من يخرج لاستقباله كل يوم كان كلبه. ولكن ذلك اليوم، لم يكن الكلب، بل ابنته الصغرى.

حزن الرجل كثيرا، وفي اليوم التالي، أرسل ابنته الكبرى لتذهب إلى الجبل، وشرح لها ما عليها فعله، لكن عندما شدت النخلة، قال الصوت للفتاة أن ترحل وأن تحضر أختها الصغرى.

في اليوم التالي، أرسل صانع المقشات ابنته الوسطى، وقال الصوت نفس الكلام. في النهاية، لم يجد الرجل بُدًّا من أن يرسل ابنته الصغرى، وعندما شدت النخلة، ظهر في التو واللحظة قصر كبير جدا به حديقة في غاية الجمال، دخلت فيه، ورأت طعاما كثيرا على الطاولات، وأسرّة للنوم، وكل ما يمكن أن تحتاجه، ولكن لم تر أحدا. تجولت الفتاة في القصر من فوق لتحت، وطوال النهار، كان عليها أن تتنزه وحدها، وتأكل وحدها، حتى حل الليل، وذهبت لتنام.

وعندما نامت، شعرت بثقل في الفراش، وصوت يقول:

– لا تقلقي، لن تريني بالنهار، لأنني تنين، لكن بالليل يمكنني أن أخلع جلدي وأكون أميرا. ولكن، من الضروري جدا ألا تحكي هذا السر لأحد، وألا تضيّعي جلدي عندما أخلعه.

أثناء النهار، كانت الشابة تتمشى وحدها، وكانت تفعل كل شيء وحدها. وفي الليل، كان التنين يصل دائما، وكان يخلع جلده، ويتحول إلى أمير جميل. وهكذا مر وقت طويل، حتى طلبت الفتاة من التنين ذات يوم أن يدعها تذهب إلى بيتها. أجابها التنين بالموافقة، لكنه سمح لها بثلاثة أيام فقط للذهاب والعودة.

وعندما وصلت إلى البيت، قالت لها أختاها:

– يا لكِ من حمقاء، لقد تزوجت تنينا!

وكررتا ذلك كثيرا، حتى إنها لم تستطع ضبط نفسها، وقالت:

– لا! زوجي أمير جميل جدا.

– كيف؟، سألتا الأخريان.

شرحت لهما كل ما كان يحدث، لكن أختيْها لم تصدّقاها، وطلبتا منها أن تذهبا معها إلى القصر، وأن تشعل شمعة عندما يكون الأمير نائما، لتتمكنا من رؤيته.

وقد كان، أولا حرقن له جلده، ثم قرّبت الأختان الشمعة حتى تريا الأمير، ولكن لسوء الحظ، وقعت نقطة من الشمع على وجه الأمير، فاستيقظ.

– أوه، صاح، انتهى سحري! ليس أمامي الآن إلا أن أرحل. وأنت، عليك أن تبحثي عني حتى تُذوِّبي سبعة أزواج أحذية من الحديد. هيا، اذهبي واسألي عن قلعة أوروبل. خذي أيضا تلك الجمرات الثلاث، وفي وقت الحاجة، أشعليها، وستحصلين على كل ما تحتاجين إليه.

وفي نفس اللحظة، اختفى القصر بكل ما كان فيه.

بعد أشهر قليلة، أنجبت، وعندما كبر الطفل، اشترت له سبعة أزواج من الأحذية الحديدية، وسبعة أخرى لنفسها، وذهبا للبحث عن قلعة أوروبل. مشيا، ثم مشيا، وعندما كانا يُذوِّبان زوجا من الأحذية، كانا يرتديان زوجا آخر، إلى أنْ لم يتبقَّ لهما سوى زوج واحد. ولكنهما كانا يقتربان من بيت القمر. فطرقت الفتاة الباب، وخرجت امرأة عجوز، سألتها عن قلعة أوروبل.

– لا أعرف، أجابت العجوز، انتظرا حتى يأتي القمر، قد يعطيكما ردا مناسبا. لكن اختبئا في هذا الإناء الخزفي، لأنه إذا لم تفعلا، سيأكلكما القمر عندما يأتي.

وفعَلا كذلك، وانتظرا داخل الإناء، وفي النهاية، وصل القمر، الذي كان نسرًا، وجاء يصيح:

– فو، فو، فو! أشمُّ رائحة لحم بشرى! إذا لم تعطيني إياه، سأقتلك!

ولكن قالت له المرأة العجوز إنها فتاة مسكينة وابنها، يبحثان عن قلعة أوروبل. قال القمر إنه لا يعرف أين تكون، ولكن من المحتمل أن ابنة عمه الشمس تعرف. ذهبت الشابة إلى بيت الشمس، بنفس الحذاء المتبقي لهما، وطرقت الباب. خرجت امرأة عجوز أخرى، وسألتهما ماذا يريدان. وعندما عرفت، قالت لهما:

- حسنا، لكن ادخلا في هذا الإناء، لأنه إذا لم تفعلا هذا، ستأكلكما الشمس عندما تصل.

وفي النهاية، وصلت الشمس التي كانت نسرًا، وكانت تصيح:

- فو، فو، فو! أشُمُّ رائحة لحم بشري، إذا لم تعطيني إياه، سأقتلك!

ولكن شرحت له العجوز من يكونان، وماذا يريدان، لتساعدهما إن أمكن.

- أنا لا أعرف، من المؤكد أن ابن عمي الهواء يعرف أين تكون هذه القلعة.

ذهبت الفتاة إلى بيت الهواء، وهناك، خرجت عجوز أخرى، وقالت لها نفس الشيء، ومرة أخرى وضعت الفتاة نفسها، هي وابنها، في الإناء. وعندما وصل الهواء، ظل يهبّ كثيرا ثم قال:

- أشُمُّ رائحة لحم بشرى، إذا لم تعطيني إياه، سأقتلك!

ولكن العجوز قالت له إنها فتاة مسكينة، ومعها ابنها، أتيا من طرف ابنة عمك الشمس، ليريا ما إذا كنت ستعرف أين تكون قلعة أوروبل. حينئذ قال الهواء إنه يعرفها، وسيصحبهما إلى هناك.

وهكذا، في لحظة، تركهما على باب القلعة.

عندما وصلا، لاحظت الفتاة أن هناك ضوضاء كثيرة، وعندما سألت، قالوا لها إن الأمير تزوج في نفس ذلك اليوم.

فأشعلت الفتاة الثلاث جمرات، وطلبت منهن مغزلا جميلا جدا، وتحققت رغبتها في الحال، وبدأت تغزل على باب القلعة. رأتها خادمة، وذهبت لتقول للأميرة:

- أوه يا أميرتي، لو رأيت جلالتك المغزل الجميل جدا الموجود مع الغريبة الجالسة على الباب!

- هيا، اذهبي واسأليها كم تريد مقابله، قالت الأميرة.

وهكذا فعلت الخادمة، لكن الفتاة أجابت:

- قولي للأميرة إنني سأعطيها المغزل، إذا سمحت لي بأن أنام هذه الليلة مع الأمير.

- ما هذه الهمجية! كيف يمكنها أن تفكر في شيء كهذا! صاحت الأميرة بمزاج سيئ جدا.

- هيا يا سمو الأميرة، قالت الخادمة، في الليل، نعطي للأمير منوما، وهكذا لن يدري بشيء.

وهكذا فعلتا، صعدت الفتاة إلى الغرفة وقالت له:

- انظرْ، أنا زوجتك هنا، وابنك أيضا.

لكن الأمير كان نائما ولهذا لم يعرف شيئا.

في اليوم التالي، طلبت الفتاة من الجمرات الثلاث، أن يحضرن لها مغزلا من الفضة. وفي الحال، حصلت عليه. ومرة أخرى، رأته الخادمة من القلعة، وذهبت لتحكي الأمر للأميرة، التي أرسلتها لترى كم تريد المسافرة مقابله.

- أريد أن تسمحوا لي بأن أنام ليلة أخرى مع الأمير.

لكن استنكرت الأميرة ذلك أيضا، ولكن الخادمة أقنعتها مرة أخرى بأنه لن يحدث شيء، إذا أعطتا الأمير منوما.

صعدت الفتاة إلى غرفة الأمير، وقالت له:

- انظرْ، هنا زوجتك وابنك أيضا.

ولكن الأمير ظل نائما كما كان، ولم يَدْرِ بشيء أيضا.

في اليوم التالي، طلبت الفتاة من الثلاث جمرات أن يحضرن لها مغزلاً ذهبيا، وتكرر نفس ما حدث. ولكن هذه المرة، تظاهر الأمير، الذي كان يشك في شيء، بأنه أخذ المنوم، ولكنه في الحقيقة ألقاه جانبا.

في تلك الليلة، عندما دخلت الفتاة، قالت:

- انظرْ، هنا زوجتك وابنك أيضا.

ولأن الأمير كان مستيقظا، تذكرها في الحال، وعانقها، وقال لها إنه قد تحرر كليا من السحر.

في اليوم التالي، ظهروا ثلاثتهم معًا، وأرسل الأمير في طلب الجميع ثم قال لهم:

- ذات يوم، كان عندي صندوق جميل بمفتاح من الذهب، وضاع مني، ثم طلبتُ أن يصنعوا لي واحدا جميلا جدا مثل الأول. وبعد وقت طويل، وجدت الأول، والآن أسألكم: بأي منهما أحتفظ؟

- بالأول!، أجاب الجميع.

- معكم حق، لذلك سأبقى مع هذه الغريبة الحسناء، التي هي زوجتي الحقيقية، وأترك الثانية، وأيضا سأبقى مع ابني.

وتوتة توتة، فرغتْ الحدوتة!

(٦)

الأمير النائم

كان يا مكان، كان هناك ملك عنده ابنة جميلة جدا. كان يحبها جدا وينفذ لها كل ما تريد. ولأن الأميرة كانت تحب الريف جدا، قام بعمل استراحة هناك، وكانوا يقضون فيها نصف الوقت. ذات يوم، تساقط جليد كثيف، وأصبح كل الحقل أبيض، وكانت رؤية هذا المنظر جميلة جدا. أطلّتْ الأميرة من الشرفة، في نفس الوقت الذي كان يذبح فيه أحد الرعاة حَمَلا، وكان الدم يتساقط على الأرض، ويلطخ الجليد. وكان هناك غلام يرى ما يحدث، وظل ينظر إلى التباين الذي أوجده لون الدم مع بياض الجليد، وقال:

- الأبيض مع الأحمر

كم هو جميل!

مثل الأمير الذي سينام

ولن يستيقظ

حتى صباح عيد

السينيور سان خوان

جذب ما كان يقوله الفتى انتباه الأميرة. فأمرت بإحضاره. ولما أتى إليها قالت له:

- هيا، أعِدْ ما كنت تقوله من قبل عن الأبيض والأحمر.

كرَّر الفتى:

- الأبيض مع الأحمر

كم هو جميل!

مثل الأمير الذي سينام

ولن يستيقظ

حتى صباح عيد

السينيور سان خوان

- ما معنى هذا؟، قالت الأميرة.

- هذه حكاية حكتْها لي أمي.

- حسنا، احكها لي.

- تقول أمي إنه في قلعة بعيدة جدا، كان يوجد ملك مسحور. كانت تقول: إنه كان جميلاً جدا، وإنه كان يقضي طول العام نائما، ويستيقظ فقط فجر عيد سان خوان؛ وإن لم يجد أحدا عند استيقاظه، يعود لينام مرة أخرى حتى العام التالي؛ ويظل هكذا إلى أن تذهب أميرة إلى القلعة، وتجلس على رأس السرير، وتظل هكذا حتى يأتي عيد سان خوان، ويجدها عندما يستيقظ. تقول أمي: إنه عندما يحدث هذا، سينتهي السحر ويتزوج الملك الأميرة.

- وأين تقول والدتك إن هذه القلعة موجودة؟

– لا أدري جلالتك، لكن لا بد أنها بعيدة جدًا، لأن أمي تقول إنه يجب تذويب عدة أحذية حديدية للوصول إلى هناك.

سكتت الأميرة، لكنها عزمت على البحث عن هذه القلعة، ولأنها كانت تعرف أن والدها لن يوافق على ذلك، لم تقل له شيئا، إلا أنها أمرت بصنع بعض الأحذية المصنوعة من الحديد، وعندما صنعوها لها، اختفت ذات ليلة من القصر. أمر الملك بالبحث عنها في كل مكان، لكنْ، لم يستطيعوا العثور عليها، فظن أنها ماتت أو خُطفت.

في ذلك الحين، كانت الأميرة تمشي في طرق مضلّلة، حتى لا يجدوها، ولكنها كانت تسير دائما إلى الأمام. وعندما كانت ترى مجموعة من الحاشية من تلك المجموعات التي ذهبت للبحث عنها، كانت تختبئ حتى تمرّ. وهكذا خرجت من مملكتها دون أن يستطيع أحد العثور عليها.

ثم، ظلت تمشي، وتمشي، وتمشي، ودخلت في غابة، وهناك بعيدا، وجدت بيتا منعزلاً. طرقت الباب، وخرجت امرأة عجوز وسألتها ماذا تريد.

– آه يا سيدتي! أنا أتيت لأرى ما إذا كنت ستوافقين على أن تؤويني الليلة، لأن الليل يقترب ولا يوجد أي مساكن هنا.

– يا لك من فتاة مسكينة! إلى أين أنت ذاهبة في هذه الأنحاء؟ هل ستذهبين بعيدًا؟

– أبحث عن قصر "الملك الذي ينام ولا يستيقظ حتى صباح عيد السينيور سان خوان".

– أنا لا أعرف يا ابنتي أين يكون هذا القصر؛ من الممكن أن ابنتي الشمس تعرف، لكنني أخشى أن تؤذيكِ عندما تراك.

دخلت الأميرة، وخبّأتها العجوز في الحجرة. وبعد قليلْ، وصلت الشمس وقالت:

– أمي، أشمُّ رائحة لحم بشرى؛ إذا لم تعطيني إياه، سأقتلك.

– آه يا ابنتي! لا تغضبي؛ كل ما في الأمر أنني آويت فتاة مسكينة آتية لتبحث عن قصر الملك الذي ينام ولا يستيقظ حتى عيد السينيور سان خوان، وأنا قلت لها إن من الممكن أنك تعرفينه.

– أنا لم أر أبدا هذا القصر، لكن من الجائز أن أخواتي النجوم قد رأينه، فهن كثيرات.

جاء الصباح، وبدأت الأميرة تمشي مرة أخرى، مشت، ومشت، حتى وجدت بيتا آخر. طلبت منهم أن يستضيفوها عندهم، أدخلتها عجوز أخرى كانت هناك، وسألتها عمَّ كانت تبحث.

– أبحث عن قصر "الملك الذي ينام ولا يستيقظ حتى عيد السينيور سان خوان".

– أنا لم أسمع عن هذا القصر، لكن من الممكن أن تعرفه بناتي النجوم.

نامت هناك تلك الليلة؛ وفي الصباح، كانت النجوم تصل– وكانت العجوز تسألها ما إذا كانت تعرف أين يكون هذا القصر؛ لكنها جميعا قالت إنها لا تعرف، لكنْ مَنْ سيعرف بالتأكيد هو أخوها الهواء، فهو يدخل في كل الأماكن.

وعادت الأميرة مرة أخرى لتمشي، وبعد وقت طويل، وصلت إلى بيت الهواء. وهناك ظهرت امرأة عجوز قالت لها:

– مَنْ أرسلك إلى هنا، مَنْ الذي يريد لك كل هذا الشر!

– أتيتُ لأبحث عن قصر "الملك الذي ينام ولا يستيقظ حتى عيد السينيور سان خوان".

– أنا لا أعرف يا بنيتي أين يكون هذا القصر؛ من الممكن أن ابني الهواء يعرف، لكنني لا أجرؤ على أن أطلب منكِ أن تنتظريه، لأن من الممكن أن تحدث لك مصيبة، فابني لا يحترم أي شيء ويدمر كل شيء.

توسلت الأميرة إلى المرأة العجوز، ووافقت وخبأتها. بعد قليل، وصل الهواء، الذي جاء يصيح، ودخل يقول:

- أمي، أشمُّ رائحة لحم بشرى؛ إذا لم تعطيني إياه، سأقتلك.

- لا يوجد أحد يا بني؛ فقط منذ قليل، جاءت إلى هنا شابة صغيرة تسأل عن قصر "الملك الذي ينام ولا يستيقظ حتى عيد السينيور سان خوان".

- يمكنها أن تصل إلى هناك عبر الطريق الموجود أمام الباب، رغم أنه بعيد.

- حسنا، إذن لا بد أنها ستجده، لأنها ذهبت من هذا الطريق.

- حقا؟ إذن ستضيع عليها الرحلة، لأنها لن تتمكن من الدخول.

- لماذا؟

- لأنه يوجد على الباب أسدان يلتهمان كل مَنْ يحاول الدخول هناك.

- إذن ليس من الممكن دخول هذا القصر؟

- بلى، لكن عليها أن تأخذ لقمة من طعام كان في فمي، وعندما تصل ويتقدم الأسدان، تقسم اللقمة إلى اثنتين وتلقى بهما إليهما، وبينما يأكلان الطعام، تدخل بسرعة في القصر، دون أن تنظر وراءها.

وحينئذ بدأ الهواء يأكل، وفي مرة أثناء الأكل كان فمه مملوءً فقالت له الأم:

- تُفًّ هذا الطعام، فيه شعرة.

رمى الهواء كل الذي كان في فمه، وأخذته العجوز لترميه، لكن ما فعلته هو أنها حفظته. أكمل الهواء طعامه، وذهب إلى فراشه. حينئذ ذهبت العجوز لترى الأميرة، وأعطتها لقمة الطعام، وأرشدتها إلى الطريق، وكل ما عليها أن تفعله.

عادت الأميرة تمشي هناك، وبعد وقت طويل، لاحظت أن الحذاء قد ذاب. حينئذ نظرت في كل اتجاه، فلمحت أبراج قصر.

- لا بد أنه هو، قالت، وتوجهت نحوه.

وعندما كانت على وشك الوصول، رأت على الباب أسدين، بمجرد أن رأياها، بدآ يزأران واتجها نحوها ثائرين، بشعرهما المجعد؛ لكنها أخرجت اللقمة التي أعطتها إياها المرأة العجوز، وقسمتها إلى قطعتين، ورمت بهما إلى الأسدين. بدآ يأكلان، وفي ذلك الحين، ركضت دون أن تنظر إلى الوراء، ودخلت من الباب الذي فُتح عند وصولها، وانغلق مرة أخرى، تاركا إياها في الداخل.

كان القصر في منتهى الجمال؛ بدأت الأميرة تتجول في كل أنحائه، ورأت تماثيل لرجال ونساء تبدو من لحم، لكنها لم تكن تتحرك؛ ورأت أيضا حدائق جميلة جدا، وصالونات رائعة، ودلايات فخمة، وسجاجيد من القطيفة، وكل شيء جميل آخر يمكن أن يمتلكه ملكٌ في قصره. وكان أكثر شيء لافت للانتباه، أنه باستثناء التماثيل، لم تر أي شخص، ولم تشعر بأي ضجيج، ومع ذلك، كان كل شيء أنظف من الذهب.

بعد أن شاهدته كله، دخلت غرفة نوم، وكان بها سرير فخم، بدلايات من الذهب والفضة، وفوقه كان يرقد شاب نائم في منتهى الجمال.

- لا بد أن هذا هو الملك، قالت الأميرة، وجلست عند رأس السرير.

كل يوم، دون أن ترى كيف، كانت تظهر لها مائدة مليئة بأشهى الأطعمة، وبعد أن تأكل، تختفي بنفس الطريقة. لم تكن تتحرك من على رأس السرير، خوفا من أن يستيقظ الملك ولا يجدها هناك.

مرت أشهر، ورغم أنها كانت سعيدة، لكنها مع ذلك شعرت بالملل من كونها وحيدة جدا هكذا. وذات يوم، سمعت في الحقل صوتا يقول:

-هل يريد أحد أن يشتري عبدة؟

أطلت هي من النافذة ورأت أنهم كانوا يبيعون عبدة سوداء. نادت على الرجل الذي كانت معه، واشترتها، رغم أنه لم يكن لديها شيء تطلبه منها، لأن كل شيء كان جاهزا. لكنها كانت سعيدة جدا، لأنه أصبح لديها أخيرا مَنْ تتحدث معه ومَنْ يرافقها.

انتبهت العبدة، التي كانت حسودة جدا، أن سيدها لم يكن يريد أن يتحرك من على السرير، لا في الصباح، ولا في المساء، مهما ترجَّته لمرات عديدة أن يذهب معها لتشاهد القصر.

- يوجد هنا شيء غامض، قالت الزنجية، إما أن من الصعب عليَّ أن أفهمه أو عليَّ أن أحاول أكثر.

جاءت عشية عيد سان خوان، ولم تكن الفتاة تعرف ما إذا كانت هي أم لا، وكانت جالسة على كرسيها عندما دخلت الزنجية وقالت:

- سيدتي، إذا أردتِ أن تطلّي من واحدة من شرفات الحديقة، ستستمعين إلى موسيقى عذبة؛ سأجلس أنا أثناء ذهابك.

لم تكن الأميرة تريد أن تتحرك، لكنْ لأنها لم تكن تسمع أي موسيقي، ذهبت إلى الشرفة وهي تظن أنها ستعود على الفور.

وصلت، وسمعت تناغما عذبا جدا، وكأن الملائكة هي التي كانت تعزف، وظلت تستمع إليه مذهولة.

خلال ذلك، كانت الزنجية قد جلست على الكرسي، وجاء منتصف الليل، واستيقظ الملك؛ ومد يده نحو الكرسي، ولمس الزنجية وقال:

- خيرا، لقد انتهى سحري. أنت كنت تحرسينني أثناء نومي، ويجب أن تكوني زوجتي.

عندما سمعت الزنجية هذا الكلام، لم تسعها الفرحة؛ جلس الملك على الفراش، وعندما نظر إلى الزنجية، استاء كثيرا؛ لكنْ لأنه كان عليه أن ينفِّذ ما ينص عليه سحره، رضى بنصيبه.

وجاء الصباح، وتوقفت الموسيقى، وأفاقت الأميرة من هذه الفتنة، وحاولت العودة مرة أخرى إلى جانب الملك، لكنها اندهشت عند رؤية الحركة التي لاحظتها

في القصر. كل التماثيل التي رأتها عند دخولها، والتي كانت تبدو مثل رجال نائمين، استعادت حياتها وكانت تتجول هنا وهناك..

صُعِقَتْ الأميرة، لأنها لم تكن تستطع العثور على الطريق إلى غرفة النوم. وحينئذ، رأت الملك آتيا وفي ذراعه الزنجية، وفهمت كل شيء، وقالت لنفسها: -
"هذه الصعلوكة خدعتني، كيف سأقول إنني أنا مَنْ كنتُ عند رأس السرير، وأن هذه هي عبدتي؟ لن يصدقوني، سأكون صبورة."

ولأنها كانت جميلة جدا، كان الملك قد رآها، وسأل الزنجية مَنْ تكون، وقالت له:

- إنها واحدة من وصيفاتي.

ورغم أن الملك لم يكن مرتاحا جدا للزنجية، لكنه جهز للزفاف، وذهب الملك إلى العاصمة ليشتري هدايا الزفاف، وسألهم كلهم عما يريدون. طلب كل واحد أكثر شيء يسعده، وعندما جاء دور الأميرة، قالت:

- أنا فقط أريد أن تحضر لي جلالتك صخرة صلبة، صلبة، وغصنا مرا!!

ذهب الملك واشترى كل ما طلب منه، إلا ما طلبته الأميرة، فلم يجده في أي مكان. وفي النهاية، وجده في بيت كيميائي، وقال له:

- قل لي من فضلك، فيمَ يستخدم هذا؟

- يشتريه الذين تعبوا من الحياة، ويريدون الموت.

ذهب الملك إلى القصر، وعندما وصل، بدأ يعطى لكل واحد هديته التي اشتراها له، وأعطى للأميرة هديتها. ذهبت الأميرة إلى غرفتها وأغلقت الباب، لكن الملك ظل يسمع ويرى من فتحة الباب، ورآها تجلس وتتأمل الصخرة، ثم بدأت تسألها والصخرة تجيب.

- أيتها الصخرة الصلبة، قالت الأميرة، هل تتذكرين عندما حكى لي صبي الراعي حكاية الملك الذي ينام ولا يستيقظ حتى عشية عيد السينيور سان خوان؟

- نعم، أجابت الصخرة.

- هل تذكرين عندما أمرتُ بعمل أحذية من الحديد، وتركت أبي، الذي يحبني كثيرًا، وذهبتُ لأبحث عن القصرِ؟

- نعم، أتذكر.

- هل تتذكرين أنني بعد أن فعلت أشياء كثيرة، استطعتُ أن أجد القصر وجلست على رأس فراش الملك النائم؟

- نعم، أتذكر.

- هل تتذكرين عندما اشتريتُ العبدة السوداء لتكون في صحبتي؟

- نعم.

- هل تتذكرين عندما خدعتني هذه الصعلوكة في عشية عيد سان خوان، وجعلتني أذهب لأسمع موسيقى، وجلست هي على الكرسي ليراها الملك عندما يستيقظ؟

- نعم أتذكر.

- حسنا، إذن كانت كل تضحياتي بلا فائدة، وسيتزوج الملك بأخرى، فماذا يتبقى لي؟ الموت فقط!

وذهبت لتأخذ الغصن المر وتقتل نفسها. عندها دفع الملك، الذي كان يسمعها، الباب، ودخل وقال لها:

- لن تموتي، لأنك أنتِ من أيقظني من سُباتي، وأخطأتِ للحظة عندما تمت خديعتك، أنت زوجتي الحقيقيةَ وليست الصعلوكة الزنجية.

وأمرا بقتل العبدة وتزوجا، ثم ذهبا ليريا والد الأميرة، الذي جن جنونه من السعادة عندما رآها، وأنا ذهبتُ وعدتُ، ولم يعطوني سوى حذاء من الزبد، ذاب مني في الطريق!

(٧)

اليد السوداء

كان يا مكان، كان هناك رجل فقير عنده ثلاث بنات في سن الزواج. وكل يوم، كُنَّ يقضين معظم الوقت بدون طعام، لأنه لم يَكُنْ لديهن حتى ثمن الخبز. وكان يذهب في بعض الأحيان إلى الغابة، ويجمع بعض الحطب ويبيعه في القرية، وكان يأخذ لبناته بعض الطعام بهذا المبلغ؛ لكنه كان يكسب القليل جدًا، ولهذا كُنَّ يبقين جائعات دائما تقريبا.

وحدث ذات يوم أنه خرج إلى الغابة، وعندما جاء ليمر عبر حقل، رأى في وسطه كرنبة كبيرة جدا وجميلة جدا، ووقف ليتأملها:

– يا إلهي! قال، إذا أخذت هذه الكرنبة، فيا له من طعام ذلك الذي سيكون لدينا اليوم، وكم ستكون بناتي سعيدات!

وفيما كان يفكر في كل هذا، أخذ يقترب من الكرنبة، التي أخذت تبدو له أجمل فأجمل، حتى وصل إليها، وبعد أن نظر إليها لفترة، لم يكن يصدق حظه السعيد، وقرر في النهاية أن يقتلعها، وأن يأخذها بحرص شديد حتى لا يقطعها، لكنه في نفس اللحظة سمع صوتا قويا جدا، يخرج على ما يبدو من تحت الأرض، ويقول:

- من الذي يشدني من لحيتي؟

وبسرعة فائقة، ترك الرجل المسكين الكرنبة، وابتعد عنها؛ ولأنه لم يسمع شيئا بعد ذلك، شك في الأمر، وبدأ يعتقد أن كل هذا كان وهما من وحي خياله. ولأن الكرنبة كانت هناك، تغريه بأن يأخذها، ذهب نحوها مرة أخرى، وشدها مرة أخرى لينتزعها، ولكنْ، حدث نفس الشيء، وسمع الصوت الذي كان يقول:

- من الذي يشدني من لحيتي؟

وترك المسكين الكرنبة من يده مرة أخرى، وترك هذا المكان، وابتعد مسافة كبيرة، ونظر ليرى ما إذا كان هناك أحد يسخر منه، لم ير شيئا لفت انتباهه، وهو متأكد من ذلك، ويتألم من الجوع ويفكر في أنه إذا أضاع هذه الفرصة، لن تجد بناته ما يأكلنه وسَيَنَمْنَ دون عشاء. عاد مرة أخرى وقرر أن يقتلع الكرنبة بشدة، مرة واحدة، ويذهب راكضا دون أن يدير وجهه إلى الوراء. فعاد إلى الكرنبة، وأحاطها بذراعيه، وبدأ يقتلعها، فصاح الصوت السابق مرة أخرى:

- من الذي يشدني من لحيتي؟

وفي نفس اللحظة، ظهر لا يدري كيف ولا من أين، مارد ضخم معه عِصِيٌّ كثيرة، كاد يقتله عندما ألقاها عليه، بسبب قلة الاحترام التي أظهرها عندما شدَّهُ بقوة من لحيته. جثا الرجل المسكين المرتعب على ركبتيه عند قدمي المارد، طالبا منه أن يتركه يعيش، وحكى له محنته وكل حكايته بالتفصيل. وعندما سمعه المارد يقول إن لديه ثلاث بنات في سن الزواج، صاح فجأة وقال له:

- لم أكن أنوي أن أسامحك، لكنني سأسامحك في النهاية من أجل بناتك، وسأجعلك سعيدا، ولكنْ بشرط.

- ما هو يا سيدي؟ سأله الرجل المسكين، الذي لم يكن يعرف ماذا يحدث.

- أنا أعيش هنا وحيدا، ولا يوجد من يعتني ببيتي، وهو قصر جميل جدا. أحضرْ لي ابنتك الكبرى، وستكون زوجتي، وستعيش سعيدة جدا، وسأعطيك نقودا تكفي حتى لا ينقصك شيء. هل توافق؟ إذا لم توافق سأقتلك وأرتاح منك.

كان الحطّاب يحب بناته الثلاث كثيرا، وكان يشعر بأسف شديد من أن ينفصل عن واحدة منهن، لكنه وضع في اعتباره أنه إذا قتله المارد، ستفقد بناته ثلاثتهن، ولن يراهن مرة أخرى؛ وأيضا كان يبدو له أن المارد شخص طيب، وظن أن ابنته ستكون سعيدة معه، ولهذا أجاب بالموافقة على الصفقة.

- حسنا، غدا في نفس الميعاد، ستكون هنا ومعك ابنتك، شُدَّ الكرنبة ولكن ليس بقوة مثل اليوم، ها؟ وأنا سأظهر في الحال، والآن خذْ هذا واذهبْ.

ومد له حقيبة مليئة بالذهب، واختفى على الفور مثلما ظهر: دون أن يعرف كيف ولا من أين.

في اليوم التالي، في نفس الميعاد، تقدم الحطاب ومعه ابنته في المكان المحدد. وبكى لأنه كان يحبها كثيرا، لكنها هي كانت سعيدة جدا لأنها لم تكن تعرف المصير الذي ينتظرها، وكانت تعزّي والدها الذي رأته مغموما جدا. عندما وصلا إلى الكرنبة، شدها الأب بأدب شديد، وفي الحال ظهر المارد، وأخذ يد الشابة، وهو يقول لها إنها ستقضي وقتا لطيفا هناك؛ وأعطى الحطاب حقيبة أخرى، أكبر من التي أعطاها له في اليوم السابق، واختفى، تاركا الرجل يرجع إلى بيته وحيدا وتعيسا جدا.

فتح المارد الأرض ليمر، وهكذا وصل إلى قصره الكبير جدا، والجميل جدا، وترك الشابة في صالة رائعة، مرتدية أجمل ثياب، وقال لها:

- لن ينقصكِ شيء هنا، طالما كنتِ مطيعة. كل هذا لكِ، وأنتِ الوحيدة التي تأمرين هنا: عندما تريدين شيئا، اطلبيه بصوت عالٍ، وسيكون لديك كل ما ترغبين. سآتي لمرافقتك في المساء، وطوال اليوم ستكونين وحيدة؛ ولكن هناك الكثير من الأشياء لتريْها، حتى لا تشعري بالملل. خذي هذا الخاتم، وأضاف وهو

يعطيها خاتما في منتهى الجمال، ووضعه بنفسه في إصبع الشابة، واحفظي هذا المفتاح بعناية شديدة، فهو مفتاح غرفة غير مسموح لك برؤيتها، ويجب ألا تفعلي أي شيء لرؤيتها، لأنني سأعرف وستحدث لكِ مصيبة.

واختفى بعد ذلك. وعندما أصبحت الشابة وحيدة، بدأت تفحص البيت، وكل شيء تراه، كانت تحبه أكثر وأكثر، وكان لا يمكن ألّا يعجبها شيء، فهي معتادة على العيش حتى ذلك الحين في كوخ بسيط جدا. عندما شعرت بالجوع، تذكرت ما قاله لها المارد، وصاحت:

- أريد أن آكل!

وفي الحال ظهرت يد سوداء، غير معروف ما إذا كانت تنتمي إلى جسد أم لا؛ ووضعت مائدة نظيفة جدا، ومليئة بالمأكولات اللذيذة. وعندما وجدت الأميرة المائدة منصوبة، جلست لتأكل، وكلما كانت تكمل طبقا، كانت اليد السوداء تضع آخر مكانه. بعد أن أكلت، فكرت في أن تفتح الحجرة الغامضة؛ ولكنْ لأن المارد حرَّم عليها بشدة أن تفتحها، لم تجرؤ على أن تفعل ذلك، وظلت غاضبة جدا. وعندما جاء الليل، طلبت ضوءً، وأضاءت لها نفس اليد السوداء. وبعد قليل، جاء المارد وقال لها:

- هل أنت سعيدة؟

- نعم.

- هل فعلتِ كما قلت لك؟

- نعم.

- إذن أعطيني يدك، وسنصبح أصدقاء إذا فعلتِ نفس الشيء كل يوم.

أعطته يدها، ورأى المارد الخاتم، وفرح بذلك دون أن تلاحظ هي، وقضى طوال الليلة إلى جانبها وكان حنونا جدا ولطيفا. في اليوم التالي، عندما طلع النهار، استيقظ وودعها، وهو يعطيها نفس تحذيرات اليوم السابق.

- لا تفعلي شيئا لترى الغرفة المغلقة بهذا المفتاح، لأنه إذا رأيتِها، وعرفتُ أنا، ستحدث لك مشكلة.

وبعد ذلك اختفى مثل اليوم السابق، دون أن ترى كيف، ولا إلى أين.

لم تفعل كلمات المارد شيئا سوى أنها أثارت فضول الشابة، التي كانت تريد أن تعرف ما الذي يوجد داخل الغرفة الغامضة. ظلت وقتا طويلا ترغب وترغب في فتحها؛ ولكنها في النهاية، وبعد أن نظرت في كل البيت، ولم تجد أحدا، قالت لنفسها:

- لا يمكن أن يقول له أحد؛ سأرى ماذا يوجد داخل هذه الغرفة. هي لحظة، لا أكثر، وسأخرج في الحال.

وفعلت ما قالت؛ ذهبت إلى الغرفة الممنوع عليها دخولها، فتحتها بالمفتاح الذي كان في يدها، ورأت وهي تدخل بئرا في وسط الحجرة؛ اقتربت، لكنها رجعت إلى الوراء مرتعبة. في هذا البئر، كانت هناك كومة من الأجساد البشرية الممزقة والملطخة بالدماء، وكادت أيديها تتلامس، وعندما انحنت فوقها، سقط منها الخاتم الذي وضعه المارد في إصبعها، وهنا كان المأزق، ماذا ستقول للمارد عندما يأتي ويسألها ماذا فعلت بخاتمها؟ كانت هذه البئر مقززة جدا بالنسبة لها، لكنها، قامت بمجهود ونجحت في أخذ الخاتم، وخرجت تركض خارج الحجرة، وأغلقتها بحرص مرة أخرى. وبمجرد أن وصلت إلى غرفتها، نظرت إلى الخاتم، ورأت أنه كان ملطخا بالدماء. وبدأت تنظفه بقوة، ولكن مهما كانت تفركه، لم تكن بقعة الدم تختفي، بل على العكس، كانت تلمع أكثر كل مرة. وكانت ما تزال تنظفه عندما جاء المارد؛ وقامت بكل ما كان في وسعها من مجهود وذهبت لاستقباله. لكنه سرعان ما لاحظ ارتباكها، ونظر إلى الخاتم، وقال لها ثائرا جدا:

- آه! إذن دخلتِ الغرفة رغم أنني حرَّمتُ عليكِ دخولها؟ حسنا، إذن سترين ماذا سيحدث لك.

وجرَّها وراءه، وأخذها إلى الغرفة حيث يوجد البئر، وقتلها دون أن يعطي أي اهتمام لصرخاتها، وقطعها بعد ذلك بفأس، وألقى بقاياها الملطخة بالدماء في البئر.

في يوم آخر، ذهب الحطاب إلى الحقل، وعندما وصل إلى الكرنبة، شدها بِرقة من أوراقها. وظهر المارد في لحظة وسأله:

- ماذا تريد؟

- لا شيء يا سيدي، أجابه الرجل الطيب باحترام شديد، كنتُ قد أتيت لتقول لي سعادتك إذا كانت ابنتي سعيدة.

- سعيدة جدا، وراضية جدا، وكل شيء يسير معها على ما يرام؛ ولكنها تحزن في بعض الأحيان، لأنها تشتاق إلى أختيْها؛ إذا أردت أن تأتي بالثانية، ستكونان بخير، وستكونان سعيدتين جدا بالعيش سويا.

- حسنا يا سيدي، إذا كانت هذه رغبتك، سأحضرها غدا.

ودَّعَ الرجل الطيب المارد الذي أعطاه حقيبة مليئة بالنقود مثل الحقائب السابقة، وذهب إلى البيت ليخبر ابنته الثانية برغبة أختها. وفي اليوم التالي، في الساعة المحددة، ظهر المارد، وأعطى الحطاب حقيبة أخرى وانسحب هو والابنة الثانية، وقال لها بمجرد أن وصلت إلى القصر:

- انظري، لا تسألي عن أختك، لأنني قتلتها لأنها لم تُطعني، وسأفعل معك نفس الشيء إذا لم تفعلي ما آمرك به. في المقابل، إذا أطعتيني، ستكونين سعيدة معي تماما، سأقضي كل اليوم خارج البيت وسآتي في الليل فقط. عندما تشعرين بالجوع أو العطش، أو تريدين أي شيء، اُطلبيه، وفي الحال، ستجدين كل ما تتمنين.

بعد ذلك سلَّمها، كما فعل مع أختها، الخاتم والمفتاح، وقال لها إن الشرط الوحيد الذي يشترطه هو ألَّا تفتح الغرفة التي معها مفتاحها، وذهب بعيدا بعد ذلك تاركا الشابة مرتعبة.

قضت اليوم منشغلة برؤية القصر، وكلما أرادت شيئا، كانت تطلبه وعلى الفور تقدمه لها يد سوداء، كانت تظهر دون أن تعرف كيف ولا من أين، وكانت تختفي بعد أن تقدم لها ما طلبته. وعندما جاء المارد، سألها ما إذا كانت نفذت أوامره، ورأى الخاتم، وكان سعيدا وحنونا جدا معها. وهو يودعها في اليوم التالي عندما طلع الصباح، كرَّر تحذيراته.

لكنْ لم تكد الشابة، التي قضت اليوم السابق وهي تموت من الفضول، أن ترى نفسها وحيدة، حتى شعرت بنفس رغبة أختها في معرفة ما عساه أن يكون هذا الشيء السرى جدا ولا يمكنها رؤيته. قالت لنفسها هي الأخرى تماما مثل أختها الكبرى:

- لن يقول له أحد شيئا. سأرى ماذا يوجد في هذه الغرفة، ستكون لحظة ليس إلا، وسأخرج في الحال.

وفعلت ما قالته، وذهبت إلى الغرفة وفتحتها، وحدث معها نفس الشيء الذي حدث مع أختها: عندما انحنت مرتعبةً فوق البئر، سقط منها الخاتم، الذي استعادته بعد عناء، وهو ملطخ بالدماء، فركته كثيرا، وما حصلت عليه هو أنها أعطت لمعانا أكثر للبقعة الموجودة في الخاتم. وعندما جاء المارد، لم يفعل أكثر من أنه نظر إلى وجهها الشاحب، ونظر إلى الخاتم وأخذ يصرخ:

- آه، لقد دخلت الغرفة رغم ما قلته لك! إذن ستلقين نفس مصير أختك.

وأخذها جرًا إلى الغرفة حيث البئر، وقتلها، وقطعها بعد ذلك وألقى أشلاءها في البئر.

في اليوم التالي، جاء الحطاب ليعرف كيف حال ابنتيه؛ شَدَّ الكرنبة بنعومة، وظهر له المارد وسأله ماذا يريد.

- لا شيء يا سيدي، أتيتِ لتقول لي سيادتك كيف حال ابنتي؟

- حسنا، على خير ما يرام يا رجل، إنهما بخير، كيف تريدهما أن تكونا وهما لا ينقصهما شيء، وكل ما في القصر ملكهما؟ فقط لأنهما الآن معا، تشتاقان إلى أختهما، وعندما تفكران فيها تشعران بالحزن كثيرا. إذا كنت تريد أن تُحضرها، ولو لفترة، لن ينقص سعادتهما شيء.

شعر العجوز المسكين بالأسف الشديد على فقدان الابنة الوحيدة التي تبقت له أيضا؛ ولكنه ظن أنه سيكون من الأفضل أن تكون في قصر المارد على أن تبقى في بيته، وتعهد بأخذها له في اليوم التالي في نفس الساعة، ورحل المارد بعد أن أعطاه حقيبة أخرى مليئة بالذهب. في اليوم التالي، في الساعة المحددة، جاء الحطاب مع ابنته الثالثة، ومثل المرات الأخرى، نادي على المارد، الذي أعطاه حقيبة أخرى من النقود، واختفى مع الشابة.

بعد ذلك، عندما رأى المارد أنه وحده معها في القصر، أعطاها نفس النصائح التي أعطاها لأختيها، وسلمها المفتاح والخاتم واختفى مودعا إياها حتى المساء.

كانت الأخت الثالثة أكثر فضولا من الأختين الكبيرتين؛ لكنها كانت أذكى منهما: وهكذا قررت زيارة الحجرة الغامضة في الحال؛ غير أنه حيَّرها إصرار المارد على ألا تخلع الخاتم، وبدأت بخلعه وتركه على طاولة؛ بعد ذلك، فتحت الغرفة، ورأت البئر المليء بأشلاء الناس، واستطاعت أن تتعرف بينها على أختيها.

ثم شعرت بالفزع. وخرجت من الغرفة تجري، وأغلقت الباب مرة أخرى بالمفتاح، ووضعت الخاتم في إصبعها، وبدأت تتجول في كل غرف القصر، وكانت تخدمها اليد السوداء، التي كانت تطلب منها كل ما ترغب فيه كما كانت تفعل أختاها.

وعندما جاء الليل، جاء المارد، ونظر إليها بعدم ثقة، لكنه رآها هادئة جدا، فلم يشك فيها إطلاقا، وألقى نظرة على الخاتم، وعندما رآه نظيفا جدا، وبراقا مثلما سلَّمه لها، أصبح سعيدا جدا وحنونا معها للغاية.

- أرى أنك جيدة جدا، قال لها، لأنك أطعتيني، وإذا استمر حالك هكذا، سترين كم سنكون سعيديْن.

وهكذا عاشا أياما طويلة. ومن حين لآخر كان الحطاب يأتي ليسأل عن بناته، وكان المارد يخرج سعيدا دائما، ويعطيه مالا أكثر، ويجعله سعيدا بأن يحكي

له مدى سعادة بناته في ذلك القصر الجميل. كانت الشابة تذهب مرات عديدة إلى الغرفة لترى أختيها عندما كان يخرج، لكنها كانت تحرص دائما على خلع الخاتم قبل الدخول، وهكذا لم يَدْرِ المارد بشيء.

لكنها، ذات يوم، فعلت ذلك، ورأت في هذه الغرفة المريعة، بابا صغيرا مواربا، ولأنها لم تكن تخاف من شيء، تقدمت ووجدت حجرة مزينة بفخامة، وكان هناك سرير رائع، ينام عليه أمير جميل جدا، وكان في صدره نهر، وبه فتيات يغسلن خصلا من الصوف، وكُنَّ مشغولات، ولم يهتممن بها. ظلت الشابة مندهشة، وظلت هناك لفترة طويلة مأسورة بجمال الشاب النائم؛ عندما قدرت أن ذلك كان وقت عودة المارد، خرجت مسرعة، وهي تنوي أن تعود في اليوم التالي، كما فعلت نفس الشيء في اليوم الآخر، والآخر، والآخر، وهكذا أياما كثيرة. كان المارد يغدو أكثر سعادة، وأكثر حنانا، ولم يشكّ في شيء.

ولكنْ ذات صباح، دخلت الشابة كالعادة، وظلت تنظر إلى الأمير النائم، وعندما رأت أن واحدة من الغسالات أفلتت من بين يديها خصلة، وحملتها مياه النهر بعيدا ودون أن تنتبه. صرخت مرتعبة، وفي نفس اللحظة، شعرت بهزة قوية في القصر، واختفى النهر والغسالات، واستيقظ الشاب مذعورا، ووقف على قدميه، وذهب نحو الشابة، وقال لها بحزن شديد:

- ماذا فعلت أيتها البائسة؟، أنا المارد الذي كان مسحورا هنا، ورزانتك كانت ستفكّ سحري، وغدا كنا سنستطيع أن نخرج من هنا سعيديْن إلى الأبد، لكن الصرخة التي صرختِها تجبرني على أن أقتلك، أو أن أعود مسحورا مرة أخرى لا أحد يعرف حتى متى. ومع ذلك، لقد أعطيتني حنانا كثيرا، ولا يمكنني أن أقتلك، ستعيشين وأنا لن يُفَكّ سحري.

ولأنها كانت تبكي كثيرا، كان يواسيها ويطلب منها أن تنساه. أخذها بعد ذلك إلى البئر، وأخذ يجمع بعناية أشلاء البنات الموجودات فيه، وهو يضع لهن دهانا، وكانت الحياة تعود إليهن واحدة تلو الأخرى. وعندما تم إنقاذ الجميع، أخرجهن

كلهن خارج القصر الموجود تحت الأرض، وألقى نظرة حزينة جدا على الشابة، وعاد إلى جوف الأرض، وبينما كانت هي وزميلاتها وأختاها يمشين إلى الأمام في الحقل، كُنَّ كلهن سعيدات، ما عدا ابنة الحطاب الصغرى، التي لم تستطع طوال حياتها أن تنسى الأمير الرائع الجمال. ولم يعد يُسْمَعُ بعد ذلك عن المارد، واختفت الكرنبة من الحقل دون أن تستطع الشابة أن تجدها مهما تجولت مرات، باحثة عنها طوال حياتها.

(٨)
الأمير الضفدع

كان يا ما كان، ذات مرة، كانت ابنة الملك تلعب بكرة ذهبية، وعندما ألقتها، وقعت منها في بئر. حينئذ أخذت تبكي، حتى ظهر لها ضفدع، وقال لها:

- لمَ تبكين أيتها الصغيرة؟

وأجابت هي:

- لأن هناك كرة ذهبية وقعت مني في البئر، إذا أخرجتَها لي، سآخذك معي، وستأكل كل يوم من طبقي.

أخرج الضفدع الكرة من البئر، وبمجرد أن أصبحت بالخارج، أخذتْها وبدأت تجري، ومهما نادى عليها الضفدع، لم تُعِرْهُ أي اهتمام. وصلتْ الطفلة إلى القصر، وكانوا ينتظرونها على الغداء.

كانوا قد بدأوا يأكلون عندما جاءت فتاة تقول إنه يوجد على الباب ضفدع يقول إنه يجب أن يدخل ليأكل مع الصغيرة. حينئذ، وافق الملك على دخوله. وعندما حكى الضفدع ما حدث، قال الملك للطفلة إنها يجب أن تفي بما وعدتْ، وأمره أن يأكل معها، ولكنها شعرت باشمئزاز شديد ولم تأكل شيئا تقريبا في ذلك اليوم.

ثم، بعد الأكل، ذهبت لتنام، وقال الضفدع إنه أيضا يرغب في النوم. حينئذ طلب منها الملك أن تأخذه معها. لكنْ لأنها كانت مشمئزة، تركتْه على السجادة وصعدت هي بسرعة إلى السرير. ولم يتوقف الضفدع عن القول:

- أريد أن أنام؛ أنا نعسان. ارفعيني إلى جانبك.

حينئذ، كان صبرها قد نفد من سماعه، ونزلت من السرير، وأخذته وخبطته في الحائط. وفي هذه اللحظة، تحول إلى فارس في منتهى الأناقة والرقة، وقال لها:

- أنا كنت أمير مسحورا. سحرتني ساحرة، وقالت إن مَنْ سيفُكّ سحري أميرة تخبطني.

حينئذ ذهبت تركض لتقول لوالدها. ولأن الأمير كان جميلا جدا، استعدوا في الحال للزواج. وتزوجا وعاشا في ثبات ونبات.

(٩)
سبعة أرانب بيضاء

كان يا ما كان، كان هناك ملك، عنده ابنة جميلة جدا، علمتها الملكة جيدا، ونجحت في أن تجعلها تحب العمل.

وكانت توجد شرفة في غرفة الأميرة، وكانت تطل على الحقل. ذات يوم، كانت الأميرة تخيط في الشرفة، ورأت سبعة أرانب بيضاء، أتت تحت الشرفة، ووقفت على شكل دائرة. ظلت الأميرة تنظر إلى الأرانب في حماس، فوقع منها الكستبان. أخذه أحد الأرانب في فمه وأخذت تركض جميعا.

في اليوم التالي، عادت لتخيط في الشرفة، وبعد قليل، رأت السبع أرانب قادمة، وتشكل دائرة. وقع من الأميرة شريط، وأخذته الأرانب وركضت جميعا.

وفي اليوم التالي، حدث نفس الشيء مع مقصّ الخياطة.

وفي يوم آخر، أخذت الأرانب بكرة خيط، وفي يوم غيره، شريطا من الحرير، وفي يوم غيره، علبة دبابيس، وفي يوم آخر، مشطًا، ولم تظهر الأرانب مرة أخرى.

شعرت الأميرة بحزن كبير، حتى إنها سقطت مريضة، وأصبحت في حالة سيئة جدا، حتى ظن والداها أنها ستموت. اعترف الأطباء بأنهم لا يعرفون المرض الذي أصابها، وأعلن الملك أن الأميرة مريضة وأن يأتي ليراها مَنْ يثق بأن لديه

القدرة على علاجها، وسيقدم لها كل النقود التي تريدها إذا كانت امرأة، وسيزوجه للأميرة إذا كان رجلا.

وكما كان متوقعا، ذهب أشخاص كثيرون، لكنهم كلهم فشلوا.

وذات يوم، خرج من القرية المجاورة، أمٌّ وابنتها بنيَّة علاج الأميرة، واثقتين بمعرفتهما بأعشاب الحقل، التي كانتا تعملان في تجارتها.

ولتكسبا بعض الوقت، ذهبتا من طريق مختصر، وفي منتصف الطريق، توقفتا لتناول الغداء ولتستريحا ولتستعيدا قوتهما. وعندما أخرجتا الخبز، سقط منهما، ونزل يتدحرج من فوق ربوة، ودخل في فتحة. نزلتا تركضان على الربوة الصغيرة وراء الخبز، وعندما انحنتا لأخذه، رأتا أن هذه الفتحة توصِّل إلى كهف كبير مضاء من الداخل. نظرتا من الفتحة، ورأتا مائدة بسبعة كراسي. وبعد ذلك بقليل، رأتا سبعة أرانب بيضاء تمشي على الأرض، وخلعت الأرانب جلودها وتحولت إلى أمراء. جلسوا حول المائدة، التي كانت عليها أشياء كثيرة.

وسمعتا واحدا من الأمراء يأخذ الكستبان من على الطاولة وهو يقول:

- هذا كستبان الأميرة، من الذي يأتي بها إلى هنا!

وبعد ذلك يقول آخر:

- هذا شريط الأميرة، من الذي يأتي بها إلى هنا!

وثالث:

- هذا مقصّ الأميرة، من الذي يأتي بها إلى هنا!

وهكذا فعل السبعة، كل واحد يقول شيئا.

نظرت المرأتان ورأتا أنه على بعد مسافة صغيرة يوجد باب صغير مختف وبدأتا الطريق إلى القصر.

وعندما وصلتا إلى القصر، وقالتا إنهما تريدان أن تقابلا الأميرة وتريا ما إذا كان بإمكانهما معالجتها، تركوهما تمران.

حينئذ، ألقتا التحية على الأميرة، التي كانت نائمة، وكانتا تقولان لها إن لديهما في القرية دكان لبيع الأعشاب، ورثتاه عن الأب والجد، بعد ذلك، حكتا لها الرحلة التي قامتا بها لتأتيا لرؤيتها، ووصلتا إلى حكاية ما رأتاه في كهف السبعة أرانب البيضاء.

حينئذ اعتدلت الأميرة في جلستها على الفراش، وطلبت أن يُحضروا لها حساءً، وأصبح الملك سعيدا جدا، لأن هذه كانت أول مرة تطلب فيها طعاما، ودخل ليراها.

- يا أبي، أنا سأشفى، لكن يجب أن أذهب مع هاتين السيدتين.

- مستحيل! وأنت ضعيفة هكذا؟

- ليس لدي حل آخر، فليأخذونا بالعربة.

وغادرت ثلاثتهن القصر في العربة. وفي منتصف الطريق، نزلن من العربة لأن الكهف كان بعيدا عن الطريق، وكان الليل قد بدأ يهبط.

أشارت السيدتان للأميرة على الفتحة والباب الصغير، لكن لم يأت أحد. انتظرن طويلا ولم يرين شيئا. وبينما كان الليل يهبط، وقررن ثلاثتهن أن يَعُدْنَ في اليوم التالي في نفس الميعاد الذي رأت فيه السيدتان الأرانب، أضيئ الكهف من الداخل، ورأينَ السبعة أرانب تخلع جلودها وتتحول إلى أمراء.

وعادوا يكررون الرواية من البداية:

- هذا كستبان الأميرة، مَنْ الذي يأتي بها إلى هنا!، حتى الأخير الذي قال: هذا مشط الأميرة، مَنْ الذي يأتي بها إلى هنا!

عندئذ دفعت الأميرة الباب دفعة قوية، ودخلت وقالت:

حسنا، أنا هنا.

واختارت أجملهم وطلبت منه أن يأتي معهن ليرى والديها، وأخبرت الباقين أنهم مدعوُّون إلى حضور الزفاف. وعاشا سعيدين في تبات ونبات.

(١٠)
القرنفلات الثلاث

كان يا مكان، كان هناك مُزارع عنده ابنة، وكان يحبها كثيرا. وفي يوم من الأيام، خرج إلى الحقل، ووجد ثلاث قرنفلات في غاية الجمال، فقطفها وحملها إلى ابنته.

فرحت الابنة كثيرا بالقرنفلات، وذات يوم، كانت في المطبخ تتأملها، فوقعت منها واحدة على شمعة واحترقت، حينئذ ظهر لها شاب جميل جدا، وسألها:

- ماذا بك؟ ماذا تفعلين؟

ولأنها لم تُجِبْ، قال لها:

- أنتِ لا تتكلمين معي؟ إذن ستمشين على كل صخور الأرض بحثا عني.

واختفى.

حينئذ أخذت قرنفلة أخرى وألقت بها في النار؛ وفي نفس اللحظة، خرج شاب آخر وسألها:

- ماذا بك؟ ماذا تفعلين؟

لكنها لم تُجِبْه، فقال لها:

- ألن تتحدثي معي؟ حسنا، ستمشين على كل صخور الأرض بحثا عني.

واختفى.

أخذت ماريا، وكان هذا اسم الفتاة، القرنفلة الأخرى التي تبقت لها ورمتها في النار، وظهر شاب أجمل من الشابَّيْن الآخرين، وسألها:

- ماذا بك؟ ماذا تفعلين؟

ولكنْ لأنها لم تُجِبْ قال لها:

- لا تجيبيني؟ إذن ستمشين على كل صخور العالم بحثًا عني.

وذهب.

حسنا يا سيدي أغرمت ماريا بآخر شاب خرج، وحزنت جدا، حتى أنها قررت بعد عدة أيام، أن تذهب لتبحث عنه على كل صخور الأرض.

خرجت إلى الحقل وحيدة، ومشت قدر ما مشت، ووصلت إلى مكان كانت توجد فيه ثلاث صخور مرتفعة جدا، ولأن المسكينة كانت متعبة جدا، جلست على الأرض وأخذت تبكي. وبينما كانت تبكي، رأت واحدة من الصخور تنفتح، ويخرج منها الشاب الذي أحبته، وقال لها:

- ماريا، ماذا بك؟ لماذا تبكين؟

وعندما رأى أنها ما زالت تبكي ولا تجيب، قال لها:

- لا تحزني، اصعدي هذا المرتفع، ومن هناك سترين بيتا ريفيا ادخليه، واسألي صاحبته ما إذا كانت تريد أن تجعلك تعملين عندها خادمةً.

ذهبت الشابة، وعندما وصلت إلى الربوة التي قال لها عنها، رأت بيتا ريفيا جميلا جدا، دخلت فيه، وعندما وصلت إلى حيث كانت صاحبة البيت، سألتها ما إذا كانت تريد أن تقبلها خادمةً. ولأن السيدة رأتها صغيرة جدا، وجميلة جدا، أشفقت

عليها ووافقت على أن تبقى كصبية لها، لأنها كانت نشيطة وجيدة جدا، وأصبحت بعد أيام قليلة، أثيرة لدى السنيورة. التي أحبتها كثيرا، أكثر من باقي الخادمات، اللاتي كُنَّ حسودات جدا، وكُنَّ يَحملن لها ضغينة، وقررن التخلُّص منها. ظللن يفكرن فيما كان عليهن أن يفعلن، وذات يوم، ذهبن وقلن للسنيورة:

– ألا تدرين سعادتك ما قالته ماريا؟

– ماذا قالت؟

– قالت إنها لا تعرف لماذا لدى سعادتك كل هؤلاء الخادمات، فهي تستطيع وحدها أن تغسل كل الملابس المتسخة في يوم.

– تعالي إلى هنا يا ماريا، قالت السنيورة، هل قلت إن بإمكانك غسل كل الملابس المتسخة وحدك في يوم؟

– لا يا سيدتي، قالت ماريا، لم أقل هذا.

– حسنا، الفتيات يقلن إنك قلت هذا، وليس أمامك إلا أن تفعلي ذلك، وإلا ستفقدين المأوي.

وأمرت السنيورة بعض الخادمات بأن يحملن كل الملابس إلى النهر، وذهبت المسكينة ماريا، التي لا تعرف كيف تخرج من هذا المأزق، إلى الصخور وبدأت تبكي؛ وفي الحال فتحت إحدى الصخور، وخرج نفس الشاب وسألها:

– ماذا بك؟ لماذا تبكين؟

لكنها لم تجب وظلت تبكي، وواصل هو:

– لا تغضبي بشأن الملابس التي أمرتك أمي بغسلها، اذهبي إلى النهر وقولي للطيور: "يا طيور العالم، تعالوا لتساعدوني في الغسيل".

ذهبت ماريا إلى النهر، وبمجرد أن قالت ما قاله لها الشاب، رأت سربا من جميع أنواع الطيور آتية من كل مكان، وبدأت الطيور تغسل الملابس، وهكذا كانت كل الملابس مغسولة في أقل من لحظة. وعندما وصلت الخادمات آخر النهار، كانت الملابس قد جفت.

فرحت السنيورة جدا، وكانت كل يوم تحب فتاتها الجديدة أكثر من اليوم الذي سبقه، وهذا ما أغاظ الخادمات الأخريات، وكن دائما يخترعن أشياءَ ليجعلن السنيورة توبّخ ماريا.

وكانت السنيورة مصابة بمرض في نظرها، لأنه كان عندها ثلاثة أبناء، خرجوا ذات يومَ للصيد، وسُحِرُوا، ولم يعودوا ولم تعرف أين هم، تألمت السنيورة المسكينة كثيرا، ومن كثرة بكائها، كانت عيناها دائما في حالة سيئة. ذهبت الخادمات، اللاتي كُنَّ يبحثن عن أي حجة للتخلص من ماريا، إلى السنيورة وقلن لها:

– ألا تعلمين سعادتك ما قالته ماريا؟

– ماذا قالت؟

– إنها تعرف مكانا يوجد به ماء لعلاج النظر.

– حقا؟ قالت السنيورة، تعالي هنا يا ماريا، إذن أنت تعلمين أين توجد المياه التي ستشفى عيني ولم تقولي لي شيئا؟

– لا يا سيدتي، قالت ماريا، أنا لم أقل شيئا لا أعرفه.

– إذن هن قلن ذلك، أجابت السنيورة، ذلك لأنهن سَمِعْنَك، هن لم يخترعن هذا. إما أن تُحضري لي الماء، وإما لن تعودي إلى البيت مجددا.

خرجت ماريا المسكينة إلى الحقل، ولأنها لم تكن تعرف أين هي تلك المياه، ذهبت لتجلس وتبكي إلى جانب الصخور، وعندما سمع الشاب نحيبها خرج وقال لها:

- ماذا بك؟ لماذا تبكين؟

لم تُجِبْ، وأكمل هو:

- لا تتضايقي من أن والدتي طلبت منك المياه لتعالج عينيها؛ خذي هذا الكوب، واذهبي إلى ضفة النهر وقولي: "يا طيور العالم، تعالوا معي لنبكي"، وعندما يأتي الجميع، سيسقط من الأخير ريشة، بلِّيها من الكوب، وضعي منها في عيني سيدتك وسترين كيف ستتحسن.

حسنا، وكان هذا ما فعلت؛ ذهبت إلى النهر، وقالت للطيور: "يا طيور العالم، تعالى معي لنبكي".

ومثل المرة السابقة، بدأت أسراب من الطيور تأتي من كل مكان، وكل منها يترك دموعًا قليلة في الكوب حتى امتلأ. ونفض الأخير جناحيْه، تاركا ريشة تسقط منه. أخذت ماريا الكوب والريشة، وذهبت إلى البيت. وعندما وصلت، بلَّلت الريشة من الكوب، ومررتها على عيني سيدتها، التي شُفيت بعد أيام قليلة، وطار عقلها من الفرحة بفتاتها، ولم تكن تعرف ماذا تفعل لها. أما الخادمات الأخريات، فقد ركبهن الشيطان، ولم يعرفن ماذا يفعلن حتى ترحل ماريا من البيت. وذات يوم، ذهبن وقلن لسيدتهن:

- هل سمعتِ سعادتك ماذا قالت ماريا؟

- ماذا قالت؟

- قالت إنها قادرة على إخراج أولاد سعادتك من سحرهم.

- مستحيل أن تفعل ذلك.

- أجل يا سيدتي، لقد قالت ذلك.

نادت السيدة على ماريا وسألتها ما إذا كانت قد قالت ذلك.

- لا يا سيدتي، قالت ماريا، لم أقل هذا.

- حسنا، الخادمات يقلن إنك قلت هذا، ويجب أن تفعليه كما فعلت الشيئين الآخرين.

ذهبت ماريا إلى الحقل، حيث كانت الصخور، وبكت، خرج الشاب وقال لها:

- ماذا بك يا ماريا؟ لماذا تبكين؟

واصلت بكاءها، ولم تجب، وأكمل هو:

- أنا أعرف ما الأمر؛ أمي قالت لك أن تخرجينا من السحر، لكنْ لا تغضبي، اذهبي واطلبي منها أن تجمع كل بنات المنطقة، وأن يذهبن في موكب بشمع مضاء، وأن يَطُفْنَ ثلاث مرات حول الأحجار، ولكن يجب أن يحرصن على ألا تنطفئ شمعة واحدة.

ذهبت ماريا وقالت كل هذا لسيدتها. عندئذ أمرت بجمع كل الشابات العازبات وأعطت كل واحدة شمعة مضاءة، وطُفْنَ ثلاث مرات. وفي آخر لفة، هبت رياح وانطفأت شمعة ماريا. وتذكرت الطلب الذي طلبه منها الشاب فصرخت وقالت:

- أوه، لقد انطفأت مني!

حينئذ انفتحت الصخور وخرج الإخوة الثلاثة، وقال الأصغر لماريا:

- من الخير أنك تكلمت.

عندئذ اختفت الصخور، وحكى الشباب أن هناك سحرا سحرهم عندما مروا من هذه المنطقة، وتحولوا إلى قرنفلات تستطيع التحدث إلى الصخور وإلى الشخص الذي يحرق تلك القرنفلات.

أصبحت الأم وأبناؤها الثلاثة في غاية السعادة، وسأل أصغرهم ماريا إذا كانت تريد أن تتزوجه، ولأنها أيضا كانت تحبه، وافقت. وتزوجا وعاش الجميع سعداء!

(١١)

البـبـغـــاء

كان يا ما كان، كان هناك نبيل من نبلاء إسبانيا، وكان متزوجا مـــن امرأة بالغة الجمال، وقد أحبها كثيرا، وعاشا وحدهما في قصر جميل جدا ومعهما خادمة شابة.

وإليكم ما حدث، كان على ملك هذه الأمة أن يشن حربًا، وأمر بإحضار جميع المحاربين، ومن بينهم نبيل إسبانيا صاحب حكايتي.

شعر الفارس بالأسف الشديد لأنه كان متزوجا حديثا، ولا يريد أن يترك زوجته وحدها؛ ولكن لأنه لم يكن أمامه إلا أن يطيع الملك، بدأ يقوم بالاستعدادات، وذهب إلى الحرب في الحال، وهو يشعر بأسى شديد. وحزنت السنيورة أيضا حزنا شديدا، حتى إنها لم تخرج إلى أي مكان، وكانت دائمًا وحيدة مع خادمتها ومع ببغاء جميل جدًا، ولكنه لم يكن يتكلم.

وذات مرة من المرات التي أطلت فيها من الشرفة، رآها فارس كان يقيم في فندق صغير أمام بيتها. وأحبها لدرجة جعلته يحاول التحدث إليها بكل الطرق الممكنة، ولكنه لم ينجح في ذلك. كان الفارس يذهب ويجيئ حزينا دائما. حتى إنه ذات يوم، لفت ذلك الفارس انتباه امرأة عجوز، اقتربت منه وقالت له:

- ماذا بك أيها الفارس؟ فأنا أراك حزينا جدًا.

- آه يا سيدتي! أنت لا تستطيعين تخفيف ألمي.

- قل لي، من الممكن أن أستطيع تخفيفه.

لم يكن الفارس يريد أن يقول لها، لكن العجوز ألحّتْ كثيرًا؛ إلى أن حكى لها في النهاية أنه كان مغرما بحب تلك السنيورة، وأنه على وشك أن ييأس إنْ لم تتحدث إليه.

- لا يجب أن تفقد الأمل يا سينيوريتو، فأنا سأختلق سببا لتراها وتكلمها.

اتفقا على ذلك، وذهبت العجوز لرؤية السنيورة وقالت لها:

- أتعلمين يا سينيوريتا، سأزوج حفيدتي وكنت أود أن تكوني أنت العرّابة.

- أوه، أنت تعلمين أن هذا مستحيل، لأنه منذ أن ذهب زوجي إلى الحرب، وأنا لا أذهب إلى أي مكان. ماذا سيقولون إنْ رأوني الآن وأنا أحضر حفلا؟

- لا تقلقي يا سينيوريتا، فأنا سأضعك في غرفة النوم حتى ترين كل شيء دون أن يستطيع أحد أن يراكِ.

ظلت الخادمة، التي كانت ترغب في الذهاب إلى الحفل، ترجو السنيورة. ترجتْها كثيرا هي والعجوز، حتى قالت السنيورة إنها ستذهب فقط حتى تتسلى الخادمة قليلا.

أتت العجوز، واستعدت السنيورة والخادمة، وبدأنْ إغلاق الأبواب، وكُنَّ على وشك نزول السلم، عندما سَمِعْنَ مَنْ يقول:

- يا سينيوريتا.. يا سينيوريتا!

- أوه، ببغائي يتكلم. كيف يمكن لذلك أن يحدث؟ سأذهب لرؤيته.

- سينيوريتا، قال الببغاء، هيا، سأروي لكِ حكاية.

- لا تهتمي به، قالت العجوز، يمكنه أن يحكيها لكِ عندما تعودين من الحفلة.

- هراء!، قالت السنيورة، اذهبي أنتِ، أنا لا أريد حفلات، أفضّل الاستماع إلى ببغائي. لن أخسر كثيرًا.

خرجت العجوز تنفخ وظلت الخادمة مغتاظة وذهبت السنيورة لتسمع الببغاء.

- يا ببغائي الصغير، إذن أنت الآن تتكلم؟

- نعم يا سينيوريتا، هل تحبّين أن أحكي لك حكاية؟

- نعم يا ببغائي الصغير، احكِ لي حكاية.

ثم بدأ الببغاء على هذا النحو:

(١)

- كان هناك فارس عنده ابنة، وكان يحبها كثيرًا؛ وذات يوم، مر رجل يصيح "من يشتري تعويذة!". طلبت الابنة من أبيها أن يشتري لها واحدة.

"ناديَا على الرجل واشتري لها منه تعويذة، واشتري أيضا إناءً صغيرًا، وعندما كانا يضعانه في الماء مع التعويذة، كان يغني.

"حسنا ياسيدي، خرجت الابنة ذات يوم إلى الحقل، ووضعت الإناء الصغير والتعويذة في البِركة، وأخذت تستمتع بسماعه يغني.

"وفي أثناء ذلك، ظهر ثور، وأخذ التعويذة وهرب بها تاركا الصغيرة حزينة جدًا وبلا عزاء.

"هل أعجبتك الحكاية يا سينيوريتا؟"

- نعم، يا ببغـــائي الصغير، أعجبتني كثيـــرا، أيتها الفتـــاة، أحضري وجبة خفيفة للببغاء.

- لا، هي لا؛ أنتِ، لأنها ستضربني لأنني لم أدعها تذهب إلى الحفل الراقص.

أحضرت السنيورة وجبة خفيفة للببغاء وذهبت لتنام وهي سعيدة جدًا؛ لأن ببغاءها تكلم، وحتى لم تتذكر الحفل الراقص.

وفي اليوم التالي، عادت العجوز وقالت لها:

- يا سينيوريتا، أتعلمين أن حفلة أمس قد أجلت لأنك لم تستطيعي المجيئ، وستكون الليلة، وأود أن تأتي.

- حسنا، إذا لم يغضب ببغائي، ولكنْ إنْ غضب، لن أذهب.

حسنا يا سيدي، عندما كان موعد الحفل يقترب، أخذت الخادمة تغلق كل الأبواب حتى لا يشعر الببغاء أنهما ستخرجان؛ استعدتا وكانتا على وشك الخروج عندما قال الببغاء:

- يا سينيوريتا، يا سينيوريتا، تعالي، ما زال يتبقى أفضل ما في الحكاية.

- أوه، ببغائي الصغير يناديني؛ اذهبي أنتِ، لن أذهب لحفلة الرقص، فأنا أفضّل الاستماع إلى ببغائي.

- يا سنيورة، قالت العجوز، وهي مغتاظة جدا، اتركي الببغاء وتعالي معنا إلى الحفل الراقص.

- لا، لا، ما هذا الهراء، سأستمع إلى ببغائي. خرجت العجوز وهي تنفخ وتلعن الببغاء، وخلعت الخادمة ملابسها بوقاحة، وذهبت لتنام.

في أثناء ذلك، كانت السنيورة قد ذهبت إلى حيث كان الببغاء الذي قال:

- إذن قد رويت لكِ كيف ظلت الفتاة بلا سلوى دون تعويذتها، لدرجة أنها قررت الذهاب للبحث عنها ولهذا ارتدت ملابس المسافرة.

"ظلت تمشي، وتمشي، ومعها إناؤها الصغير، حتى وصلت إلى مدينة، وهناك قالوا لها: إن ابنة الملكة مصابة بالجنون، وأن كل أطباء العالم فشلوا في علاجها.

" سأعالجها أنا، قالت الصغيرة، وذهبت إلى القصر، وهناك طلبت إذنا لرؤية الملك، وعندما رأته، قالت له: إنها ستعالج ابنته.

"قال الأطباء للملك إن هذا جنون، فكيف ستعالج هذه الفتاة الأميرة، في حين أنهم بعلمهم لم يستطيعوا أن يفعلوا هذا!

"ثم سأل الملك، الذي كان يرغب في أن يجرب كل الطرق، الفتاة عن الأشياء التي تحتاجها لتعالجها؛ فطلبت أن يعطونها إبريق ماء، وأن يتركونها تقضي الليلة في غرفة نوم الأميرة.

"- حسنا، قال لها الملك، ولكنْ لا بد أن تعلمي أنك إن لم تشفيها، سيكلفك هذا حياتك!

"- حسنا، أجابت هي.

"أحضروا لها إبريق الماء، ومصباحًا. سكبت الماء في طشت، ووضعت به إناءها؛ لكنه لم يُغْنِ. كان منتصف الليل عندما انطفأ منها المصباح، ولأنه لم يكن معها شيء تشعله به، بدأت تبحث في كل مكان، ولأن الكل كانوا نياما، لم تجد شعلة؛ وأخيرا، تراءى لها ضوء من بعيد، من بعيد جدا! ومشت، ثم مشت، حتى رأت بابا شبه مغلق، وكان الضوء وراءه؛ دفعت الباب، وعندما دخلت، رأت رجلا زنجيا معه مغرفة يقلب بها في غلاية فيها زيت يغلي، وكان يقول:

"- اغلِ، اغلِ ...

كلما غليت أكثر ..

أصيبت ابنة الملك بالجنون أكثر..

"عندما رأى الزنجي الفتاة، قال لها دون أن يوقف التقليب:

"- أوه، إلى أين تذهبين أيتها الصغيرة؟

"- أتيت لأن شعلتي انطفأت، وكنت أودّ أن تسمح لي حضرتك بإشعالها.

"- نعم أيتها الفتاة، أشعليها.

"ثم ذهبت الفتاة لتشعل المصباح، وعند مرورها من وراء الزنجي، قامت بدفعه، وألقته على الغلاية التي كانت تغلي، ولذلك احترق في الحال. بعد ذلك، سكبت الغلاية، وأشعلت مصباحها، وركضت إلى القصر؛ دخلت غرفة نوم الأميرة، ووجدتها جالسة في فراشها، وقد شفيت تماما من جنونها، وسعيدة جدا.

"في الصباح، عندما دخل الملك، ورأى ابنته قد شفيت، ظل يعانق الفتاة وقال لها إنها لن تغادر أبدا، وإنها ستعيش معهم في القصر. لكن الفتاة رفضت لأنها ستذهب للبحث عن شيء ضاع منها، ولأنها لا تستطيع التوقف حتى تجده.

"ترجّاها الملك والأميرة كثيرا، لكنها قالت إنها لا تستطيع البقاء. عندئذ أعطاها الملك نقودا ومجوهرات كثيرة، وكل ما تحتاج إليه، وذهبت الفتاة للبحث عن تعويذتها بعد أن أخذت إناءها.

"كيف الحال يا سينيوريتا، هل تعجبك الحكاية؟"

- نعم يا ببغائي الصغير، كانت جميلة جدا؛ أيتها الفتاة، أحضري للببغاء وجبة خفيفة.

- لا، هي لا، أحضريها أنت، فهي قد تضع لي سمًّا لأنني لم أدعها تذهب إلى الحفل الراقص.

أحضرت له الطعام، ثم ذهبت إلى النوم وهي مسرورة للغاية، لأن ببغاءها كان يتكلم.

في اليوم التالي، ذهبت العجوز، التي عرض عليها الفارس نقودا إذا جاءت السنيورة إلى بيته، لرؤية السنيورة من جديد، فقالت لها:

- كيف حالك يا أختي، هل رقصتم كثيرا؟

- أوه يا سينيوريتا، لو رأيت كم كان الحفل جميلا، وكم كان مسليا! وخاصة ذلك الشاب الذي جذب الأنظار بجمال رقصه.

- هل كان رقصه جيدا هكذا؟

- بلى يا سنيورة، كنا مستمتعين جدا بمشاهدته، حتى إننا قررنا إعادة الحفل، ويجب أن تحضري، فأنا سأخبئك بين الستائر لكي تَرِي كل شيء دون أن يراك أحد.

- حسنا، إذا لم يغضب ببغائي مني سآتي الليلة.

إذن ما حدث يا سيدي العزيز هو أن العجوز كلفت الخادمة، وهي سعيدة جدا، بأن تحرص على إغلاق كل شيء جيدا بحيث لا يستطيع الببغاء أن يشعر بهن عندما يرحلن، وبعد ذلك، ذهبت لرؤية الفارس، الذي كان يائسا، وقالت له إنه سيتمكن من رؤية السنيورة الليلة.

وعندما حل المساء، ذهبت العجوز إلى السنيورة وخادمتها، اللتين كانتا جاهزتين بالفعل. خرجن بحذر، نزلن السلالم، وكانت العجوز والخادمة سعيدتين جدا لأن الببغاء لم يشعر بهن. لكنْ بمجرد وصولهن إلى الباب، سمعنه يقول:

- سينيوريتا، سينيوريتا، تعالي، ما زال يتبقى أفضل ما في الحكاية.

- أي! اذهبي أنتِ، فأنا لن أذهب، أريد أن أستمع إلى ببغائي.

ترجَّتْها كل من العجوز والخادمة أن تذهب، لكنهما لم تستطيعا إقناعها، حتى إن العجوز سبَّتْ الببغاء، والسنيورة، والفارس، الذي لن يعطيها أي نقود ما دامت السنيورة لم تأتِ.

دخلت الخادمة مغتاظة، لأنها لم تذهب إلى الحفل، وذهبت السنيورة إلى الببغاء الذي أكمل:

(٢)

- حسنا، قلت لك بالأمس كيف أعطوا الفتاة نقودًا كثيرة وذهبت للبحث عن تعويذتها. خرجت من تلك المدينة، ومشت، ثم مشت، وعبرت أراضي عديدة حتى وصلت إلى مملكة أخرى، وهناك قالوا لها: إن ابنة الملك تحتضر، وأن الملك حزين جدًا، ولا عزاء له، لأن كل الأطباء رأوها ولم يستطع أحد علاجها.

"- حقا؟ إذن سأذهب أنا.

"ذهبت إلى القصر، وطلبت أن يسمعها الملك.

"وافقوا، وحينئذ قالت للملك إنها تجرؤ على أن تعالج الأميرة.

"ظن الجميع أنها مجنونة، ونصحوا بألا يُسمَح لها بذلك؛ لكن الملك، الذي كان يريد أن يرى ابنته بصحة جيدة، عرض أن يعطيها كل ما تريد إذا عالجتها، ولكنْ إن لم تشفها، سيأخذ منها حياتها.

"طلبت الصغيرة إبريق ماء، وأيضا أن يتركوها وحدها طوال الليل في غرفة الأميرة.

"وهذا ما فعلوه. وعندما صارت وحيدة، سكبت إبريق الماء في طشت، ووضعت فيه الإناء، لكنه لم يُغنِ.

"في منتصف الليل، رأت الشباك يفتح، ودخل زنجي وسيم جدا، ذهب نحو الأميرة، وأخرج من فمها بعض العِصِيّ الصغيرة، التي بدأت تتحدث، وظلت هكذا، وعندما رأى أن النهار قد جاء، وضع العِصِي الصغيرة في فمها ورحل من نفس الشباك.

"في الصباح، حكت الصغيرة للملك ما رأت، أعطته أوصاف الزنجي، وعرف الملك أن ذلك الزنجي، كان زنجيا يعمل عند سينيور مبجل، له شأن كبير في البلاط الملكي. أحضروه، وأجبروه على إخراج العصِي من فم الأميرة. ولأن سيده كان له نفوذ قوي، لم يقتلوه. ولكنْ تم نفيه. ومنذ تلك اللحظة، بدأت الأميرة تتكلم، وكان الأبوان في منتهى السعادة، حتى أنهما أرادا أن تبقى الصغيرة معهم إلى الأبد؛ لكنها رفضت لأن عليها أن تبحث عن شيء ضاع منها.

"فأحضروا لها هدايا كثيرة، ورحلت الفتاة للبحث عن التعويذة، حاملة معها الهدايا والإناء.

"يا سينيوريتا، هل كانت حكاية لطيفة؟"

– نعم يا ببغائي الصغير، لطيفة جدا.

أحضرت له بنفسها طعاما شهيا ولذيذا، لأنها عرفت أنه لا يريد أن تحضره له الفتاة. وذهبت بعد ذلك إلي الفراش، مسرورة جدا بحكاية الببغاء.

في اليوم التالي، جاءت العجوز، وقالت لها إن الحفلة كانت مسلية للغاية، فقد لعبوا ألعاب عقوبة الخاسر والخدع السحرية وكل أنواع الألعاب وخسارة أن السنيورة لم تذهب، والليلة ستعاد الحفلة ومن الضروري أن تذهب لأنها الأخيرة.

– حسنا، قالت السنيورة، سنرى، إن لم يعترض ببغائي، عندئذ سأذهب.

أخذت العجوز تتوسل الشيطان أن يخلق سببا يجعل الببغاء لا يشعر بهن عندما يخرجن. قابلت الفارس وقالت له إن السنيورة ستذهب الليلة وليس في غيرها، وإنها عانت كثيرًا لإقناعها.

جاء الليل، وعندما ذهبت العجوز، استعددن، وخرجن بخفة شديدة؛ لكن عندما وصلن إلى الباب، قال الببغاء:

يا سينيوريتا، يا سينيوريتا، تعالي، فأنا سأختم حكايتي.

فقالت السنيورة:

اذهبي أنتِ، اذهبي أنتِ، فأنا لن أذهب إلى الحفل، لأنني أريد أن أستمع إلى حكاية ببغائي.

حاولت العجوز أن تقنعها، لكن السنيورة لم تكن تريد سماعها. عندئذ خربشت العجوز الخادمة من فرط غيظها، وهي تقول إن الذنب ذنبها لأنها لم تحبس الببغاء أو تقتله. ولأن الغضب أعماها، اصطدمت بالباب وهي خارجة، وجرحت رأسها، والأدهى أنها التقت بالفارس، الذي سألها هل ستأتي السنيورة؛ لكنها أجابت بطريقة سيئة لأنها كانت مستاءة، فغضب الفارس وتشاجر معها ورحل عن القرية دون أن يعطيها نقودا.

وفي أثناء ذلك، كانت السنيورة قد ذهبت مع الببغاء ليختم الحكاية.

(٣)

– أنت تعلمين يا سينيوريتا، قال الببغاء، أنهم أهدوا الصغيرة هدايا كثيرة، وأنها رحلت ومعها هداياها وإناؤها.

"مشت ومشت، وعبرت العديد من القرى حتى وصلت إلى مدينة أخرى وهناك قالوا لها إن ابن الملك يموت، ويئس الأطباء من علاجه.

"وصلت إلى القصر، وقالت: إنها ستشفيه إذا سلموه لها.

"قال لها الملك، الذي رأى في تلك الصغيرة أملا: إنه سيعطيها كل ما تريد إذا عالجته، ولكنْ إن مات، ستموت معه.

"وافقت، وطلبت أن يتركوها وحدها في غرفة الأمير، وأن يحضروا لها إبريق ماء.

"نفذوا ما قالت، اقتربت من الفراش، ونظرت إلى الأمير الذي كان يحتضر؛ سكبت إبريق الماء في طشت، ووضعت الإناء فيه، وأطفأت النور، حتى لا تقلق راحة المريض، لكنْ بمجرد أن أطفأت النور بدأ الإناء يغني.

"قالت:

"- أوه! ما هذا، الليلة إنائي يغني؟

"ولكنْ، لأنها أطفأت النور، ولم يكن لديها شيئا تضيء به، انتظرت حتى طلوع النهار.

"عندما دخل الضوء إلى الغرفة، رأت إناءها الذي كان يغني في الماء، وبدأت تبحث في أرجاء الغرفة، حتى رأت عند رأس الفراش شيئا معلقا لفت انتباهها وعندما ركضت لتأخذه قالت:

"- آه، هذه هي تعويذتي.

"- وأنا، الثور الذي كنتُ مسحورا، أجابها.

"- نظرت لترى من الذي يجيبها ورأت أنه شاب جميل جدا، رؤيته تثير الحسد، ينهض من الفراش.

"في هذه اللحظة، وصل الملك والملكة، اللذان صارا في منتهى السعادة؛ لرؤية ابنهما بصحة جيدة، وأخذا يعانقان الصغيرة.

"حكى لهما الأمير أنه عندما كان مسحورا، وقع في حب تلك الفتاة، ومرض لأنه لم يكن يعرف عنها شيئا، لكن عندما وجدها، استعاد صحته ويريد أن يتزوج بها.

"قال الملك والملكة: إنه ليس هناك مانع، وزوّجوهما وعاشا سعيديْن.

"- هل أعجبتك الحكاية يا سينيوريتا؟"

- جدا يا ببغائي الصغير.

أحضرت له محمصات، وحلويات، وذهبت لتنام وهي سعيدة جدا.

في اليوم التالي، وصل زوج السنيورة، وخرجت هي لاستقباله بسعادة غامرة، فهي لم تكن تتوقع مجيئه. وبعد أن روت له ما عانته في غيابه، قالت له السنيورة:

- أتعرف؟ عندي لك مفاجأة.

- ما هي؟ سألها الزوج.

- الببغاء يتكلم.

ذهبا لرؤية الببغاء وقال له السينيور:

- أيها الببغاء الصغير، إذن أنت تتكلم؟

- نعم، إنْ لم أفعل لكانوا لطخوا شرفك.

عندئذ أخذ الفارس الخنجر، وذهب ليقتل السنيورة، ولكنْ، قبل أن يفعل ذلك، قال الببغاء:

- السنيورة بريئة؛ العجوز التي تسكن أمامنا هي المذنبة.

ثم روت له السنيورة ما حدث وقاما بنفي العجوز، وعاشا سعيدين!

د- الأميرة المسحورة

(١٢)

الحية ذات السبعة رؤوس وقلعة "اللى يروح ما يرجعش"

كان يا ما كان، هذه حكاية صياد، مضى عليه وقت طويل دون أن يصطاد شيئا. وكان يعود إلى البيت كل يوم، وتقول له زوجته:

- هل أحضرت شيئا اليوم؟

وكان الصياد يجيب:

- لا يا زوجتي، ربما في يوم آخر.

وهكذا يوما بعد يوم.

فكر الصياد المسكين في أن يترك هذه الحرفة إذا لم يحصل على سمكة. وأخيرًا، ذات يوم ذهب فيه بعيدًا عن المعتاد، شعر بأنه لا يستطيع أن يجذب الصنارة. في البداية، ظن أن الخيط قد تشابك، ولكنه لاحظ، بعد الكثير من الشد والجذب، أن الصنارة تحمل سمكة كبيرة جدا، استطاع في النهاية إخراجها من الماء، وعندئذ قالت له السمكة:

- صياد، يا صياد، إذا ألقيتني في الماء مرة أخرى، ستحصل على سمك كثير، ستحتاج إلى عربة لحمله.

- يا سلام، قال الصياد، كيف تريدينني أن أتركك، وهذه هي أول مرة أحصل على سمكة كبيرة؟

- ألقني في الماء، أصرت السمكة، وسأعطيك ما تّريد.

ألقى الصياد السمكة في الماء في النهاية، وعاد إلى بيتّه، ومعه شبكة وعربة. لم تصدق زوجته ما حكاه لها، وظلت تتشاجر معه بسبب حماقته، وعندما رأته بعد ذلك آتيا ومعه عربة مليئة بالسمك، فرحت جدًا، وهي تفكر في المال الذي يمكنهما أن يكسباه إذا باعا هذا السمك. ولكنها لم تصدق حكاية السمكة الضخمة.

وتكرر حدوث نفس الشيء لعدة أيام، حتى قالت المرأة لزوجها:

- انظرْ، إذا اصطدت هذه السمكة الضخمة مرة أخرى، أحضرها لي لأرى ما إذا كان هذا حقيقيا.

في اليوم التالي، أمسك الصياد بالسمكة الكبيرة ولم يكن يريد أن يتركها، وبقدر ما كانت تترجّاه، لم يرغب في أن يتركها، فقالت له السمكة:

- حسنا، بما أنك مصمم، سأقول لك كيف تقتلني، وكل ما عليك أن تفعله. اقطعْ رأسي وأعطها للكلبة، والرقبة للفرسة، وادفنْ أحشائي في الفناء، وأعطِ الجسم لزوجتك.

- يمكنني بيعك بأموال طائلة، قال الصياد.

- لا، قالت السمكة، افعلْ ما أقوله وستكسب.

وهذا ما فعله الصياد، قسم السمكة بهذه الطريقة، وفي نهاية العام، أنجبت الكلبة جروين، والفرسة مهرين، وخرج من الفناء رُمحان، وأنجبت المرأة توأمين.

عندما صار التوأم صبيَّيْن، قال الأكبر:

- أبي، بما أننا فقراء جدا، وأنا هنا لا أفعل شيئا، أريد أن أطوف العالم بحثا عن الثروة.

- من الأفضل أن أذهب أنا، قال الأصغر، لأن والديْنا تقدّما في العمر، وسيحتاجان إليك أكثر.

قام الأب بعمل قرعة، وكانت من نصيب الأكبر. أخذ الأخ الأكبر زجاجة ماء وقال للأصغر:

- إذا كانت المياه دائما صافية، هذا يعني أنني بخير، لكنْ إذا تعكرتْ، فأنا لست بخير.

بعد ذلك، سلّمه والده رُمْحًا من رُمْحَي الفناء، وفرسا، وكلبا، ليطوف بلاد الدنيا. وبعد أن ركب الفرس وقتا طويلا، دخل الفتى قرية كانت كل نسائها يبكين، وسألهن:

- ماذا يحدث؟ لماذا تبكين؟

أجبنه:

- انظرْ، في نفس اليوم من كل عام، تظهر حية لها سبعة رؤوس، ويجب أن نقدم لها سيدة، وهذه السنة كان الدور على ابنة الملك، التي نحبها كثيرا، وهي جميلة جدا.

- سأقتل الحية ذات السبعة رؤوس، صاح الفتى.

قالت له النساء إن الملك أصدر بيانا يتعهد فيه بتزويج الأميرة؛ لمن يستطيع تحريرها من القربان، وسألنه:

- هل أنت متأكد من أنك تستطيع قتل الحية ذات السبعة رؤوس؟

- نعم، لكنْ عليكن أن تَقُلْنَ لي أين أجدها.

أخذت النساء الفتى إلى حيث كانت الأميرة تنتظر أجلها بالفعل، فطلبت منه أن ينصرف من هناك، وإلّا فإن الحية ستقتلهما كليهما، لكن الفتى قال لها إنه لن يرحل. وفي الحال ظهرت الحية تزمجر بقوة، وصاح الفتى:

- هنا كلبي، هنا رمحي، هنا فرسي!

هجم الكلب على الأفعى وبدأ يعضها، وبينما كان يصعد على فرسه، طعنها بالرمح، وقتلها. بعد ذلك، قطع ألسنة الرؤوس السبعة، وحفظها في منديل ورحل.

بدأت النساء ينشرن الخبر، قائلات إن ابنة الملك قد تم إنقاذها. وبدأ قرع الأجراس، وتجمّع كل الناس في الميدان ليرقصوا ويغنّوا. وأمر الملك بإقامة حفل على شرف ابنته.

عرف أميرٌ كان يغازل ابنة الملك ما حدث، وذهب إلى المكان الذي كانت ترقد فيه الحية، قطع رؤوسها السبعة، وذهب بها إلى القصر، مدّعيا أنه أنقذ ابنة الملك. قالت الأميرة إنه لم يكن هو، ولكنْ لأن الأمير أحضر السبعة رؤوس، لم يكن أمام الملك إلا أن ينفّذ وعده، وطلب إعداد المبارزات، والاحتفالات للزفاف. لكن الأميرة ظلت تقول إنه ليس هو، وكانت حزينة جدا.

كان الجميع في غرفة الطعام، في أول يوم في الاحتفالات، وعندما استعدّ الأمير الكاذب للأكل، وصل كلب الفتى، وبقفزة أخذ منه اللقمة التي كان سيأكلها، وخرج راكضا واللقمة في فمه. عرفتْ الأميرة الحيوان، وقالت إنه إذا لم يأمر باللّحاق به لن تتزوج. أمر الملك باللّحاق بالكلب، ورأوا أنه دخل في بيت، دخلوا ورأوا الفتى، وقالوا له إن عليه أن يتقدم في الحال أمام الملك، ولكنه قال:

- توجد نفس المسافة من هنا إلى القصر، ومن القصر إلى هنا.

ذهب الخدم ليحكوا ما حدث للملك، الذي شعر بالإهانة، ولكن الأميرة طلبت منه أن يذهب ليرى الفتى، فذهب الملك ودعاه ليأكل معهم في الحفل، وليشرح لهم لماذا أرسل كلبه ليأخذ طعام الأمير الذي سيتزوج الأميرة. وعندما صارا في القصر، قال الفتى:

- وكيف تبرهن حضرتك على أنك أنت من قتل الحية ذات السبعة رؤوس؟

عندئذ أظهر الآخر السبعة رؤوس، ولكن الفتى قال:

- افحصوا حضراتكم الرؤوس لنرى ما إذا كانت كاملة.

فحصوها وقالوا إنها كاملة، لكنه اقترب، وفتح الأفواه، وقال:

- هل رأيتم في يوم من الأيام أفواها بلا ألسنة؟، حسنا، ها هي.

وأخرج من جيبه المنديل، وفتحه، وأظهر السبعة ألسنة.

فأخذوا الآخر على الفور وضربوه بشدة وألقوا به خارج القصر. قال الملك إنه سيزوّج الفتى للأميرة، وتزوجا.

بعد قليل من زواجهما، خرجا ذات يوم ليتنزها. نظر الأمير باهتمام إلى قلعة كبيرة جدا، كانت تتراءى له من بعيد.

- ما هذه القلعة؟ سأل الأميرة.

- هذه قلعة "اللي يروح ما يرجعش"، أجابت هي. لا يخطر ببالك مهما كان الأمر أن تقترب منها، لأن كل من يذهب لا يعود.

لكن الأمير كان يقاوم الذهاب، وذات يوم، خرج، ومعه حصانه، وكلبه، ورمحه، قائلا إنه ذاهب للصيد. وبعد أن عبر الغابة، صعد إلى القلعة، التي كانت لها أبواب ضخمة، بحلقات حديدية. نادي مرة ولم يردّ عليه أحد، نادي مرة أخرى بصوت أقوى، وخرجت لتفتح له ساحرة عجوز سألته:

- ماذا تريد يا فتى؟

- هل يمكنني الدخول؟ سأل.

- طبعا ممكن، لكن عليك أن تترك الحصان على الباب، أجابت الساحرة.

– ولكنْ ليس معي شيء أربطه به.

– لا يهم، خُذْ شعرة من رأسي، قالت الساحرة.

بدأ الصبي يضحك، لكن العجوز أعطته شعرة من رأسها، وفي الحال تحولت إلى حبل. ربط الفتى الحصان، ودخل وحده إلى القلعة، وسُحِر الفتى في الحال في شكل كلب، وأُغلقت الأبواب وراءه بعد ذلك.

وعندما رأت الأميرة أن زوجها لا يعود، توقعت أنه ذهب إلى قلعة "اللي يروح ما يرجعش".

تعكَّر ماء الزجاجة التي تركها الفتى لأخيه، وقال الأخ:

– لا بد أن أخي في خطر كبير، لأن الماء يتعكر أكثر فأكثر. أبي، ليس أمامي إلا أن أذهب.

سلَّمه الأب الرمح الآخر، والفرس الآخر والكلب الآخر، ورحل الفتى.

وبعد أن ركب الفرس لمدة طويلة وصل إلى القرية التي تزوج فيها أخوه من الأميرة، وعند رؤيته قادما، اعتقد الجميع أن الأمير قد عاد أخيرا، وخرجوا لاستقباله فَرِحين جدا. كان يشبه أخاه كثيرا، حتى أن الأميرة ظنت أنه زوجها، وألقت بنفسها بين ذراعيه وهي تقول:

– كم كنا قلقين عليك يا رجل، ألم أطلب منك ألَّا تذهب إلى قلعة "اللي يروح ما يرجعش"؟

لم يعانقها هو، وفهم ما كان يحدث، ولم يقل شيئا.

في الليل، عندما حان وقت النوم، وضع الرمح بينهما، وقالت هي:

– لماذا تفعل ذلك؟

- لقدْ أخذتُ عهدا على نفسيَ، ولا أستطيع أن أعانقك حتى أفي به.

في اليوم التالي، خرجا ليتنزها، وسأل هو نفس السؤال الذي سأله أخوه عندما رأى القلعة من بعيد، وقالت الأميرة:

- ألم أقل لك ذلك منذ يومين؟ كيف لا تتذكر؟

عندئذ فكر في أن من المؤكد أن أخاه هناك، وقرر الذهاب في اليوم التالي، دون أن يقول شيئا لأحد.

في اليوم التالي، عندما وصل إلى القلعة، طرق الباب مرة أخرى ولم يجب أحد. طرق مرة أخرى بقوة أشدّ، وأخيرا، في النهاية، خرجت الساحرة العجوز وقالت له:

- ماذا تريد يا فتى؟

سألها:

- هل يمكنني الدخول؟

- بالطبع نعم، أجابت العجوز، ولكنْ عليك أن تترك حصانك على الباب.

- لا، لن أتركه، قال الفتى.

ارتمى الفتى فوق الساحرة العجوز وهو فوق حصانه كما كان، بحيث لا يكون أمامها إلا أن تبتعد وتدعه يمر، قال لها الفتى:

- الآن ستقولين لي أين أخي وكيف يمكن أن أفكّ سحره، وإنْ لم تفعلي، سأقتلك.

ولأنه كان يهددها بالرمح، لم تجد العجوز حلًّا إلا أن تقول له:

- عليك أن تدخل، وتغزَّ الأسد، الموجود في الأسفل، في واحدة من عينيه.

ذهب الفتى على الفور، ووخز الأسد برمحه، فمات، وفك سحر أخيه.

وعندما كانا عائدين إلى القصر، قال الأخ الأصغر للأكبر إنه نام مع زوجته. وهو يفكر في أن يشرح له كيف حدث ذلك. ولكن الآخر لم يتركه يكمل كلامه، وطعنه بالرمح في صدره، وخرج راكضا إلى القصر، معتقدا أنه قتله. عندما وصل، قالت له الأميرة:

- لم تستغرق وقتا طويلا هذه المرة، وهذا يسعدني.

في الليل، عند وقت النوم، رأت أن زوجها لم يضع الرمح بينهما، فقالت له:

- هل أوفيت بوعدك، ولذلك لا تضع الرمح بيننا؟

عندئذ فهم الزوج ما كان يحدث، وعاد راكضا إلى المكان الذي ترك فيه أخاه الذي كان مجروحا جرحا خطيرا لكنه لم يكن ميتا، حمله بين ذراعيه إلى القصر، وعندما دخلا، لم يصدّق أحدٌ ما رآه. شرح ما حدث، وبعد رعاية كبيرة، تعافى الأخ الصغير، وأصبح الجميع سعداء جدا، وعاشوا مسرورين لسنوات كثيرة، كثيرة.

(١٣)

الحيــوانـات الشكــورة

كان يا ما كان، كان هناك ذات مرة فارسٌ خرج إلى الدنيا بحثا عن قوت يومه وعن المغامرات. وكان ماضيًا في طريقه، عندما قابل أربعة حيوانات. أسد، وكلب سلوقي، ونسر، ونملة، تتنازع على نعجة ميتة. وعندما رأت الحيوانات الفارس، طلبت منه أن يُقَسّم عليها النعجة. قَبِلَ الفارس، وسلَّم الرأس للنملة، والعظم للكلب السلوقي، واللحم للأسد، والأحشاء للنسر.

أصبحت الحيوانات الأربعة مرتاحة جدا، واستعدّ كل منها لأكل نصيبه. وبعد فترة، عندما كان الفارس قد رحل، قال الكلب السلوقي:

- ياه أترون! بعد هذا الجميلِ الذي قام به هذا الرجل، ولم نقم حتى بشكره! علينا أن نطلب منه أن يعود.

- حسنا، قال الأسد، فليذهبْ النسر لأنه سيلحق به أسرع.

طار النسر، وعندما وصل إلى الفارس، قال له: إن الحيوانات قررت أن تشكره على ما فعله من أجلها. وطلبت منه أن يعود. وافق الرجل، وفي الطريق، كان يفكر: "والآن، بما أنها أكلت النعجة، لا بد أنها تريد أن تأكلني". لكنه كان مخطئا. فعندما وصل إلى حيث كانت الحيوانات الأربعة، قال له الأسد:

- خُذْ شعرة من شاربي، وخُذْها معك دائما، وعندما تريد أن تتحول إلى أسد، ليس عليك إلا أن تقول: "الرب والأسد!" وعلى الفور، ستتحول إلى أسد.

أعطاه النسر ريشة، وقال له أيضا:

- عندما تريد أن تكون نسرا، فقط قول: "الرب والنسر!".

وأيضا أعطاه الكلب السلوقي شعرة من شعره وقال له:

عندما تريد أن تتحول إلى كلب سلوقي، عليك فقط أن تقول: "الرب والكلب السلوقي!".

في النهاية، قالت له النملة:

- أحتاج جدا إلى كل ما لديَّ، لكنْ خُذْ هذا القرن الصغير، وليس عليك إلا أن تقول: "الرب والنملة!"، وستتحول إلى نملة.

أكمل الفارس طريقه، ومشى، ثم مشى، حتى وصل إلى قلعة عملاق عنده أميرة مسحورة. كانت الأميرة تطل من الشرفة، وحكت له عن قدرها. أراد الأمير أن يعرف ماذا عليه أن يفعل ليفك سحرها، لكن العملاق وصل في تلك اللحظة، وقال الفارس حتى يصير غير مرئيّ: "الرب والنملة"، فتحول إلى نملة. ودخل إلى القلعة من شق في الباب. وفي الليل، وصل إلى الغرفة التي كانت تنام فيها الأميرة، وقال: "الرب والرجل!"، وعاد رجلا مرة أخرى. ارتعبتْ الأميرة جدا عندما رأته، إلى حدّ أنها صرخت. وعندئذ جاء العملاق، ولكنْ قبل أن يدخل الغرفة، كان الفارس قد عاد إلى هيئة نملة مرة أخرى. قال العملاق:

- أشمُّ رائحة بشر، إذا لم تعطيني إياه، سأقتلك!

ولكنْ، لأنه لم يَرَ أحدا، رحل.

وعادت النملة إلى رجل من جديد، وظل يتحدث إلى الأميرة ثلاث ليال، يحاولان أن يخمنا كيف يمكنه أن يفكّ سحرها، وسحر كل القلعة.

وذات يوم، كانت الأميرة تُفَلّي رأس العملاق، وسألته:

- ما هي الطريقة التي تجعلني أرحل من هنا؟

لم يكن العملاق يريد أن يقول لها، لكنها ألَحّتْ عليه كثيرا، حتى كشف لها السر:

- على بعد أربعة عشر فرسخا من هنا، توجد بحيرة في وسط الغابة، وفي البحيرة، توجد حية. ويجب قتل الحية وفتحها، وسيخرج منها أرنب بريّ، ومن الأرنب يجب إخراج حمامة، ومن الحمامة البيضة، التي بها حياتي. يجب أن تُطَشّ البيضة في جبهتي، وعندئذ سأموت.

ذهبت الأميرة بخيبة أمل لتقول للفارس:

- سأظل دائما مسحورة، فما يجب فعله لفكّ سحري كثير جدا.

وشرحت له ما قاله لها العملاق.

- سأحضر هذه البيضة، قال الفارس، ورحل.

وبعد أن مشى كثيرا، قابل فتاة كانت ترعى بعض العنزات النحيلة جدا، اقترب منها وسألها:

- لماذا تلك العنزات نحيفة جدا هكذا؟

وأجابت الفتاة:

- لأنه يوجد قريبا، هنا في هذه الناحية، بحيرة، وفي البحيرة حية، تأتي من حين لآخر، وتأكل العنزات السمينة.

تحدث الفارس مع والد راعية الأغنام، وطلبِ منه أن يترك له مهمة الاعتناء بالعنزات.

وأخيرا، ذات ظهيرة، ظهرت الحية، وقال الفارس: "الرب والأسد!"، وتحول إلى أسد، وفي الحال بدأ يحارب الحية. تحاربا خلال مدة طويلة، حتى طلبت الحية هدنة وقالت:

- أوه، لو كان لدى كوب من الماء البارد،

لكنت أخذت حياتك سريعا!

وقال الأسد:

- إذا كان لديَّ خبز ساخن

وقبلة فتاة،

لكنتُ قتلتك،

أيتها الحية المتوحشة!

وهكذا مرة تلو الأخرى، ودون أن يتوقف العراك، لفترة طويلة. ذهبت الراعية، التي كانت شاهدة على كل ما كان يحدث، وحكته لأبيها:

- حسنا يا بنيتي، قال الأب، غدا، عندما يتشاجران، قرِّبي الخبز، الذي سنكون قد انتهينا لتونا من خبزه، من الفارس، وأعطيه قبلة، لنرى ما إذا كان سيقدر على الحية.

وهكذا فعلت الراعية، وعندما كان الأسد والحية يتشاجران، اقتربت هي من الخلف، ووضعت للأسد قطعة خبز في فمه، وقبلته. وفورا قتل الأسد الحية، وعندما ذهبا إلى الأب، قال:

- جميل جدا، والآن، بما أن ابنتي قبلتك، ستتزوجها.

لكن الفتى قال إن هذا لا يمكن أن يحدث بأي شكل من الأشكال، ورحل. وعاد إلى حيث كانت الحية الميتة، وفتحها من النصف بسكينة. خرج أرنب بري وبدأ يجري، لكن الفتى قال: "الرب والكلب السلوقي!"، فتحوّل إلى كلب سلوقي، وظل يجري وراء الأرنب، حتى وصل إليه وقتله. حينئذ قال: "الرب والرجل!" وعاد مرة أخرى رجلا. شق بطن الأرنب وخرجت الحمامة، وطارت. قال الفارس: "الرب والنسر!"، وأصبح نسرا، وطار، وفي الحال وصل إلى الحمامة. عاد رجلا، فتح الحمامة، وأخرج البيضة التي بداخلها.

عاد الفارس إلى القلعة المسحورة، وتحول إلى نملة مرة أخرى، وصل إلى غرفة الأميرة، وأعطاها البيضة. في اليوم التالي، كانت الأميرة تُفَلِّي رأس العملاق، وكأن شيئا لم يكن، وعندما كان غير منتبه، طشت البيضة في جبهته، ومات العملاق، وفي التو واللحظة، انفكَّ سحرُ كل شيء. وتحولت القلعة إلى قصر جميل جدا. وتزوجت الأميرة بالفارس، وعاشا سعيدين.

(١٤)

برتقالات الحب الثلاث

كان يا ما كان، كان هناك ملك عجوز جدا، وكان عنده ابن واحد فقط، وكان عليه أن يزوّجه قبل أن يموت. ولكن الأمير رغم أنه أراد أن يُرْضي والده، كان حزينا جدا لأنه لم تعجبه أي امرأة ليتزوجها. ذات يوم كان يغتسل في غرفته، ذهب ورمي المياه الوسخة من الشرفة، ولسوء الحظ، سقطت على غجرية كانت تمر من هناك، وعندئذ ألقت الغجرية عليه لعنة:

- ليتك تموت قبل أن تجد برتقالات الحبّ الثلاث.

تأثر الفتى بهذا الكلام إلى حد أنه حكاهُ لأبيه. وعندئذ قررا استشارة ساحرة، لأن الفتى كان يغدو أكثر حُزنًا يومًا بعد يوم. وقالت الساحرة عندما عرفت اللعنة:

- هذا معناه أن على الأمير أن يجد حبيبة، ولكي يجدها، عليه أن يذهب بعيدًا، بعيدًا جدًا، حيث توجد حديقة بها أشجار برتقال كثيرة، تحرسها ثلاثة كلاب شرسة، يجب أن يتغلب عليها، بعد ذلك، سيبحث عن واحدة من شجرات البرتقال، فيها ثلاث برتقالات فقط، ودون أن يتسلقها، يأخذ البرتقالات بقفزة، لأنه إن لم يفعل، لن يستطيع الخروج من الحديقة أبدًا، وعندما يحصل على البرتقالات الثلاث، يعود إلى البيت.

وهذا ما فعله الأمير. بدأ طريقه، ومشى، ثم مشى، حتى وصل أخيرًا إلى باب الحديقة، حيث كانت الكلاب الثلاثة الشرسة، لكن الأمير كان قد اشترى ثلاثة أرغفة خبز، وألقى بواحد لكل كلب، وبينما هي منهمكة في الأكل، دخل الأمير الحديقة، يبحث عن شجرة البرتقال ذات البرتقالات الثلاث، وبقفزة واحدة، أخذ ثلاثتها، وكان لا يزال لديه وقت ليخرج قبل أن تنتهي الكلاب من أكل الخبز.

وفي طريق العودة، مشى، ومشى، وعندما شعر بالجوع والعطش، قال: "سآكل واحدة من البرتقالات". لكنه بمجرد أن فتحها، ظهرت شابة جميلة، قالت له:

- هل تعطيني ماء من فضلك؟

- ليس لدي ماء، أجاب الأمير، مندهشا للغاية.

- إذن سأدخل برتقالتي، وأعود إلى شجرتي.

واختفت في الحال.

أكمل الأمير السير، ووصل إلى حانة، وهناك طلب جرة نبيذ، وجرة ماء، فقد يحتاج إليهما. فتح برتقالة أخرى، وظهرت له شابة أجمل من التي سبقتها، قالت له:

- هل من الممكن أن تعطيني ماء؟

- تفضلي، وقدم لها الأمير الجرة، ولكنه أخطأ وأعطاها جرة النبيذ بدلا من جرة الماء، وقالت الفتاة:

- إذن سأدخل في برتقالتي، وأعود إلى شجرتي.

واختفت.

واصل الأمير طريقه، وشعر مرة أخرى بالتعب، لكنه لم يتوقف حتى وصل إلى النهر، واقترب من الضفة، وفتح البرتقالة الثالثة داخل الماء، قائلا:

- لن تموتي من العطش.

وعلى الفور، تكوّن جبل من الرغوة، وخرجت منه فتاة أجمل من الشمس.

أصبح الأمير مذهولا وفورا طلب منها أن تتزوّجه، وافقت وتزوّجا في أول قرية قابلتهما.

كان لا يزال عليهما أن يمشيا كثيرا حتى يصلا إلى القصر. وبعد عام، أنجبت الأميرة ولدا. وأخيرا لمحا القصر، وعندما وصلا إلى نبع ماء، وكانت توجد هناك شجرة، قال لها الأمير:

- لا أريد أن تدخلي أنت وابني في بيتي بأي طريقة هكذا، لذلك، تسلّقي هذه الشجرة، ومعك الطفل، حتى لا يراك أحد، في حين أذهب أنا لتهيئة أبي، وبعد ذلك سآتي لأخذكما بطريقة لائقة.

وهكذا فعلا، تسلقت الأميرة الشجرة، ومعها ابنها، وغادر الأمير.

أثناء الانتظار، جاءت الغجرية التي ألقت اللعنة على الأمير لتملأ الماء من النبع. وعندما انحنت، رأت وجه الأميرة منعكسا في الماء، وظنت أنه وجهها، فقالت:

- أنا جميلة جدا، كيف آتي لكي أملأ الماء.

كسرت الإبريق، وعادت إلى البيت. وعندما وصلت ونظرت في المرآة، رأت أنها قبيحة كالسابق. أخذت إبريقا آخر، وعادت إلى النبع، ورأت وجه الأميرة مرة أخرى وقالت:

- أنا جميلة جدا هكذا، وآتي لأملأ الماء!

حطمت الإبريق، وعادت إلى البيت، وحدث لها نفس الشيء مرة أخرى، وعادت إلى النبع ومعها إبريق ثالث، وعندئذ رأت أن التي في الماء تمشط شعرها،

وفهمت ماذا كان يحدث، نظرت إلى أعلى، ورأت الأميرة. ورغم أنها كانت حانقة جدا عليها، أخفت ذلك وقالت لها:

- أيتها الشابة، كيف تمشطين شعرك بمفردك؟ انزلي من فضلك، سأمشط لك شعرك وأنت تحملين طفلك.

لم تكن الشابة تريد ذلك، لكن الأخرى أصرت كثيرا، إلى أن نزلت في النهاية، وتركت الغجرية تمشط لها شعرها. وبينما كانت تمشط لها شعرها، وخزتها في رأسها بدبوس، وتحولت الأميرة إلى حمامة بيضاء مثل الحليب، وبدأت تطير، وذهبت الغجرية وجلست مكان الأميرة، والطفل بين ذراعيها.

جاء الأمير ليأخذها، ومعه عربة فاخرة، وموكب كبير، وعندما اقترب منها، قال لها:

- لقد تغيرت كثيرا، ماذا حدث؟

- لا شيء، لقد تعرضت للشمس طويلا، قالت الغجرية.

لم يكن الأمير مرتاحا، ولكنه أخذها هو وابنه.

مرت الأيام، وكان كل ما تفعله الحمامة هو أنها تطير وتحوم حول القصر، حتى أصبحت صديقة البستاني، الذي كانت تقول له:

- يا بستاني الملك،

كيف حالك

مع الملكة الخائنة؟

وكان البستاني يجيب:

- ليس سيئا، وليس جيدا،

فهي سيدتي

- وابن الملك؟

- أحيانا يضحك،

وأحيانا يبكي.

وهكذا حمل البستاني الحمامة حيث يوجد ابن الملك، تعلق بها كثيرا، وكان يأخذها معه في كل مكان، إلى حد أنه كان يجعلها تأكل في طبقه، وتشرب في كوبه. وذات يوم، لاحظ الطفل بروزا في رأس الحمامة، لأنها كانت تحكُها دائما، نفخ في ريشها، وحينئذ رأي رأس الدبوس، شدَّ الدبوس، وبمجرد أن أخرجه، تحولت الحمامة إلى الأميرة الجميلة جدا، كما كانت من قبل، وفي نفس اللحظة، عرفها زوجها، وتعانقوا ثلاثتهم، وتبادلوا قُبلًا كثيرة.

وماذا فعلوا في الغجرية الساحرة؟ قتلوها، وحرقوها ونثروا رمادها.

(١٥)

الأميـرة القِرْدَة

كان يا ما كان، كان هناك ملك عنده ثلاثة أطفال. وذات يوم، عندما صار الملك عجوزا جدا، جمع أبناءه الثلاثة وقال لهم:

- أريدُ أن تذهبوا في جولةٍ حول العالم، ومَنْ يستطع أن يُحْضِر لي الشيء الذي سأطلبه منكم، ويكون الأجمل، سيرث تاجي.

- وماذا تريد أن نُحْضِر لك؟ سأل الأولاد.

- سنرى من سيُحضر لي أجمل منشفة، قال الملك.

رحل الثلاثة، كل واحد منهم على فرسه، وكل واحد في طريق مختلف. وجد الأخوان الأكبر سريعا ما يريدان، ولكن الأصغر دخل عليه الليل، وبعد أن مشى كثيرًا، رأى ضوءا من بعيد. وكانت هناك ضيعة تسكنها قِرْدَات كثيرات. اقترب الأمير وطرق الباب. فتحت له الباب قردة عجوز جدًا وسألته ماذا يريد.

- هل أستطيع أن أقضي الليلة هنا؟ سأل الفتى.

دخلت القردة لتتشاور وفي نفس اللحظة خرجت قردة أخرى تقول: "فليقضِ الليلة، فليقضِ الليلة!" أمرت واحدة منها باقي القردات بأخذ حصان الفارس وإعداد العشاء.

تم إعداد مائدة غنية بأشهى المأكولات، ومفروشة بأناقة بمفارش جميلة، وأكلت كل القردات مع الأمير. بعد ذلك لعبت القردات والأمير الكوتشينة وكل شيء. وعندما انتهوا من اللعب، أمرت القردة التي تأمر باصطحاب الأمير إلى غرفته.

في اليوم التالي، في الصباح الباكر، كان الأمير يستعد للرحيل عندما سألته القردة العجوز عن سبب رحيله مبكرا هكذا. خرجت القردات الأخريات وحكى لها أن عليه متابعة البحث عن طلب طلبه منه أبوه الملك.

- وما هو الطلب؟ سألت القردات.

عندئذ حكى لها الأمير ما قاله أبوه للإخوة الثلاثة، وأن عليه أن يُحضر أجمل منشفة. وفي الحال أمرت القردة التي تأمر بأن تُحضر القردات للأمير قماشة المطبخ. نفذت الأمر قردة قبيحة جدا، وأحضرت القماشة، التي كانت مليئة ببقع دهون المقليات، لفتها في قطعة قماش أقذر ومقززة بصورة أشدّ، وسلَّمتها للأمير.

لم يقل الأمير شيئا. أخذ هذه اللفة ورحل وكان قلقا جدا. وعندما وصل إلى القصر، كان أخواه قد عادا وقدما مناشف جميلة جدا. وعندئذ قال له الملك:

- حسنا، فلنرَ ماذا أحضرتَ أنتَ.

لم يجرؤ الفتى على إظهار ما أحضره. غير أنه، في النهاية، وبعد الكثير من الرجاء، بدأ ينزع القماشات وبالداخل ظهرت أجمل منشفة يمكن أن توجد على الإطلاق. لقد تحولت كل البقع إلى زهور وطيور ملونة. وعندما رآها الملك قال:

- إذن فاز ابني الأصغر، وسيرث تاجي.

لكن الأخوين الآخرين اعترضا وطلبا من الملك أن يعطيهم اختبارا آخر. وافق الملك وقال:

- حسنا، الآن من سيحضر لي أجمل طشت سيجلس على عرشي.

مرة أخرى شق الإخوة الثلاثة طرقهم، كل واحد في طريقه. ورغم أن الأصغر لم يكن يريد أن يمشي من نفس طريق المرة السابقة. إلا أن فرسه أصرَّ على ذلك، ومرة أخرى وجد الفتى نفسه في ضيعة القردات. فرحتْ القردة العجوز جدًا عندما فتحت الباب ورأته. ونادت جميع القردات اللاتي قلن: "فليدخلْ ليقضي الليلة هنا!"

أمرت القردة الكثيرة الأوامر بالعناية بالحصان، وإعداد العشاء. ووضعْن عشاءً رائعًا، مثل الليلة السابقة، وظلُّوا يلعبون الكوتشينة وكل شيء.

في الصباح التالي، شرح الأمير ما حدث وقال: إن عليه هذه المرة أن يُحْضِر أجمل طشت إن أراد أن يصير ملكا.

- اسمعي، أنتِ! أمرت القردة الآمرة قردة أخرى، احضري الطشت الذي تشرب منه الدواجن.

وهذا ما فعلته الأخرى، ولفت الطشت المليء بفضلات الدواجن، ببعض الورق، ثم أعطته للأمير، الذي أخذه دون أن يقول شيئا ورحل.

عندما وصل إلى القصر، قال له والده:

- حسنا يا بني، فلنرَ ماذا أحضرت، لأن أخويك قد قدما لي بالفعل طشتين في منتهى الجمال.

عندما رآهما الفتى، شعر بخجل شديد، مما أحضره، ولم يكن يجرؤ على إظهاره. وفي النهاية، بعد كثير من التوسُّل، بدأ ينزع الورقات، وعندئذ رأوا طشتا جميلا جدا. تحولت فضلات الدجاج إلى زهور وطيور ألوانها رائعة.

- لك عرشي يا بني، قال الملك، لا يوجد مثيل لهذا الطشت في العالم!

لكن الأخوين اعترضا مرة أخرى، وأقنعا الملك بأن يعطيهم فرصة آخر اختبار.

- حسنا، قال الملك. الآن أريد أن يُحْضِر كل واحد منكم عروسه. ومن يحضر لي أجمل واحدة، سيتزوجها وسيصيران ملكا وملكة.

وهكذا ذهب الإخوة الثلاثة للبحث عن عروس. ذهب الأصغر وهو يخشى ما يمكنه أن يحدث، فقد أصرَّ حصانه مرة أخرى على أن يسلك الطريق ذاته، ولم يستطع الفتى أن يفعل أي شيء لإيقافه. وصل إلى ضيعة القردات، وفرحت القردة العجوز كثيرا عندما فتحت له الباب، وقلن جميعا: "فليدخلْ، ليبقى!". أمرت الكثيرة الأوامر بالاعتناء بالحصان، وبعد ذلك، أعددن عشاءً أفضل من عشاء الليلتين السابقتين، ثم لعبوا الكوتشينة، وكل شيء.

في الصباح، أراد الأمير أن يرحل مبكرا جدا، لكن القردات لم يوافقن، حتى شرح لهن أن عليه هذه المرة العثور على أجمل عروس، إذا أراد أن يصير ملكا!

- أعِدُّوا في الحال عرباتنا وخيولنا، فكلنا ذاهبات إلى القصر! يجب أن نحتفل بهذا العرس!

وذهبت القردة العجوز لإحضار قردة أخرى، كانت أقبحهن، شعرها منتوف، وترتدي ملابس رثة، ووضعتها مع البقية في الموكب. ظلت القردات تقفز بين الخيول، تصعد وتنزل من العربة، وحول الأمير، لكن تلك القردة، كانت تمشي على حصانها في منتهى الخجل.

قبل الوصول إلى القصر بقليل، كان هناك ينبوع ماء، حيث توقف الجميع لتناول وجبة خفيفة. وفي اللحظة التي أكملوا فيها السير، رأي الأمير أن العربة المتهالكة قد تحولت إلى عربة جميلة، وتحولت كل القردات إلى وصيفات وخادمات يرتدين ملابس فاخرة، وتحولت القردة المنتوفة إلى أميرة، أجمل أميرة في العالم!

عندما رأى الملك ابنه وهو قادم، خرج لاستقباله وقال:

- أنت فُزْتَ بالتاج لأنك أحضرت لي أفضل هدايا، وخاصة تلك العروس الجميلة جدا. ستتزوجها وستكون هي ملكتنا.

تزوجا وعاشا في سعادة، أما الأخوان، فقد هشّموا أنفيهما!

(١٦)
الأميرة الضفدعة

كان يا ما كان، ذات يوم استدعت الملكة ولديها الاثنين لتقول لهما: إن الوقت قد حان ليبحثا عن زوجتين. مرّ الأخ الأكبر على قرية، ورأي امرأة واقفة في الشباك. كانت امرأة اسما فقط، لأنها كانت قبيحة جدا وكان وجهها مليئا بالبثور، وكانت سمينة جدا، سمينة فعلاً! ودون أن يُتعب نفسه أكثر، ذهب وقال لها إنه يحبها. عاد إلى القصر، وقال لوالدته إنه الآن عنده عروس، لكن أمه طلبت منه ألا يقدمها إلا بعد مرور بعض الوقت.

ظل الأخ الأصغر يبحث كثيرا عن زوجة، دون أن تعجبه أي واحدة من اللاتي رآهن. وتعب من البحث الكثير، فجلس بجوار بركة، وفجأة جلست ضفدعة صغيرة على ركبته وبدأت تصدر صوتا: "كريك...كراك، كريك... كراك". أمعن الفتى النظر إليها ورأى أن هناك شظية خشب مغروزة في واحدة من قدميها الصغيرتين؛ أخرجها لها الفتى بحرص شديد. أرادت الضفدعة أن تشكره، فأخذت تقفز قفزات كثيرة ثم تكلمت:

– أنا أعرف مشكلتك، قالت له، لا يمكنك العثور على عروس.

– وكيف عرفت؟

- لأنني ضفدعة تعرف كل شيء.

- هل تريدين أن تتزوجيني؟ سألها الأمير.

- طبعا أريد، قالت الضفدعة الصغيرة.

وهكذا ذهبا إلى القصر وقال الأمير لأمه إنه الآن أصبح عنده عروس. وطلبت منه الملكة ألا يقدمها لها الآن واستدعت الأخ الأكبر. وعندما وقف الاثنان أمامها، قالت لهما إن عليها أن تتأكد من أن العروسين تستحقان لقب "أميرة ملكية" وأن تضع لهما بعض الاختبارات. وكان أول اختبار وضعته الملكة هو بعض الحقائب. ومَنْ تأتي إليها بأكثر حقيبة تعجبها، ستكون هي الأميرة الملكية. ظل الأخ الأكبر يضحك على أخيه الصغير وهو يقول له:

- لقد أحضرت ضفدعة! أنت أحمق. بمجرد أن تراها أمنا، ستحرمك من الميراث، وسأصبح أنا ولي العهد.

إذن، صنعت عروس الأخ الأكبر، التي كانت فظة، حقائب من الدوبارة، وقِطَع القماش القديمة، في حين أن الضفدعة الصغيرة صنعتها من خيوط حريرية وأحاطتها ببعض الأجراس الصغيرة.

- إنها في منتهى الجمال! قالت الملكة. كانت رائعة! وفازت الضفدعة في أول اختبار. والآن يجب أن تُهديني كل واحدة منهما كلبا.

- لا يهمني، قال الأخ الأكبر لأخيه الأصغر. بمجرد أن ترى أمنا أنك أحضرت ضفدعة، ستحرمك من الميراث.

ثم أهدت القبيحة الملكة كلبا سلوقيا من تلك التي تتغذى على القمح واللبن، في حين أهدتها الضفدعة جروا ظريفا جدا. ومرة أخرى قالت الملكة إن عروس الابن الأصغر قد فازت.

- والآن حان وقت الاختبار الثالث، وهو أن تَدْعُوني أرى العروسين.

- الآن سترى! قال الأكبر لأخيه وهو غارق في الضحك، ضفدعة!

ذهب الصغير وهو حزين جدًا وحكى للضفدعة ما حدث، لكنها طلبت منه ألا يقلق.

صعد الأكبر على الحصان ورمى شالا على العربة، حتى لا يظهر كم هي قبيحة، ولكنْ لسوء الحظ، هبت رياح، في لحظة تقديم العروس للملكة، وطار الشال، وبمجرد أن رأتها الملكة ضرَطت. كانوا في انتظار العروس الأخرى، عندما قالت الضفدعة الصغيرة لعريسها:

- هيا، شُكَّني في جبيني بهذا الدبوس.

- لكن ماذا تقولين! سأقتلك هكذا!!

- لا تكن أحمق ونفِّذ ما أطلبه منك.

أخذ الدبوس ووخز الضفدعة في جبهتها. وفي التو واللحظة تحولت إلى أميرة جميلة جدا، وعندما رأتها الملكة قالت:

- أنتما سترثان المُلك. وتم طرد الأخ الكبير الحقود هو وعروسه القبيحة.

انتهت الحدوتة... التي رويتُها لكم تماما كما رَوَوْها.

(١٧)

الضفدعة والحَيَّة

كان يا ما كان، كان هناك في سالف العصر والأوان زوجان لم يكن لهما أطفال. وذات يوم، غضبت المرأة كثيرا وقالت لزوجها:

- أتمنى أن أُرزَق أطفالاً، حتى إذا تحولوا إلى ضفادع أو حيّات!

وأنجبت، في نفس العام الذي باحت فيه بتلك الرغبة، ضفدعة وحيَّة. ذهبت الحيَّة إلى البحر فور ولادتها، لكن الضفدعة تربَّت بحنان فائق بين والديها.

وذات يوم، كانت الضفدعة تقفز في أنحاء البيت، فقالت لها أمها:

- يا لحظِّي التعيس بكِ! ترينني منهمكة جدا في تسخين الفرن لعمل الخبز ولا تساعدينني؛ ولا تنفعين حتى في توصيل الطعام إلى أبيك، وهو هناك في الجبل بلا طعام.

- أنا لا أستطيع أن أحمل الأكل إلى أبي؟ من فضلكِ، ضعيه في سلة، وسترين كيف سأوصله.

ذهبت الضفدعة لتوصيل الطعام لوالدها، وهي مسرورة جدا لأنها أفادت في عمل شيء، إلى حدّ أنها لم تتوقف عن الغناء، على طول الطريق وهي عائدة من الجبل، وكانت تغني وتقول إنها معجزة.

أُغرِم صياد بصوتها، واصطحبها إلى بيتها. ظنت والدة الضفدعة أن الصياد يصطحب ابنتها ليتسلى، فخرجت وراءه وبيدها عصا الفرن، وقالت:

– لا أحد يسخر من ابنتي الضفدعة.

عاد الصياد في اليوم التالي ليرى الضفدعة، ثم أصبح حبيبها. كان ابن الملك، وكان عنده أخ توأم.

كان الملك قلقا؛ لأنه لم يكن من السهل تحديد أي من التوأمين سيرث العرش؛ فعندما وُلدا، لم ينتبه أحد إلى مَنْ منهما المولود أولا.

ذات يوم، نادى الملك على ولديه وقال لهما:

– أنتما تعرفان جيدًا أن من المستحيل أن أعرف مَنْ منكما سيرث العرش. ولحَلّ هذه المشكلة، سآمر بأن يُحْضِر لي كل واحد منكما ثلاثة أشياء، من ضمنها عروس لكل منكما. والذي سيحضر أفضل ثلاثة أشياء، سيكون ولي عهدي، وأول شيء ستحضرانه لي كوبٌ لا مثيل له في الدنيا. اذهبا للبحث عنه.

ذلك الذي كان يتودد إلى الضفدعة قال لنفسه:

"أخي هو حبيب ابنة صائغ المملكة، وسيحضر كوبا أفضل من كوبي؛ كيف ستساعدني الضفدعة المسكينة في هذا الأمر؟ سأحكي لها ما يحدث لي".

عندما عرفت الضفدعة بالأمر، قالت لحبيبها:

– جهِّزْ لي الدِّيك!

وبمجرد أن هيأه، امتطته وذهبت إلى شاطئ البحر وقالت:

– يا حيَّتي!

– مَنْ يناديني؟

- أختكِ الضفدعة.

- ماذا تريدين؟

- كوبا جميلا جدا لا مثيل له في الدنيا؛ طلبه مني حبيبي ليعطيه لأبيه الملك.

- سأعطيك الكوب الذي تشرب فيه دجاجتي.

خرجت الحيَّة تقفز بين الأمواج، وأعطت أختها كوبا جميلا. ركبت أختها الديك وركضت بأقصى سرعة، وذهبت لتعطي الكوب لحبيبها.

قال الملك لولديه عندما أعطياه الكوبَيْن:

- الآن، أحضرا لي سجادة من الحرير المطرز بالذهب.

وذهبا ليبحثا عنها.

"أخي سيحضر حلية أفضل مني، - قال حبيب الضفدعة لنفسه- لأن ابنة الصائغ تطرز جيدا وأبوها لديه خيوط من الذهب، تكفي لتطريز السجادة. سأتحدث مع الضفدعة في هذا الموضوع".

ذهب إليها، وحدثها عن الصعوبات التي ستواجهه لينفذ رغبات الملك.

- لا تتضايق لهذا الأمر، جهِّزْ لي الدِّيك!

وبمجرد أن أصبح جاهزا، ركبت فوقه، وذهبت إلى شاطئ البحر وصاحت:

- يا حَيَّتي!

- مَنْ يناديني؟

- أختك الضفدعة.

- ماذا تريدين؟

- سجادة من الحرير، مطرزة بالذهب، جميلة جدا، لدرجة أنه لا يوجد مثيل لها في الدنيا؛ طلبها مني حبيبي لأبيه الملك.

- سأعطيك القماشة التي أنظف بها مصابيحي.

تحطمت موجة، وخرجت منها سجادة في منتهى الجمال؛ عليها شعار الملك في منتصفها. أعطتها الضفدعة لحبيبها الذي ذهب راكضا ليسلمها لوالده.

قال الملك لابنيْه:

- يتبقى لكما آخر اختبار. احضرا حبيبتيكما إلى القصر لأرى مَنْ منهما الأجمل.

الذي كان يحب ابنة الصائغ فرح كثيرا، لأنه كان متأكدا من أن حبيبته كانت جميلة. والذي كان يحب الضفدعة قال لنفسه:

"أنا لا أجرؤ على أن أقدم حبيبتي في القصر؛ لكنني أعتقد أن مَنْ أخرجتني من مشكلتيْن، ستخرجني من الثالثة".

وقال للضفدعة:

- ثالث شيء طلبه مني أبي هو أن آخذ حبيبتي إلى القصر ليرى ما إذا كانت أجمل من حبيبة أخي.

- إذن، أنت لا تحبني.

- بلى، أحبك.

- لدرجة أن تتزوجني؟

- نعم!

- جهِّزْ لي الديك! وبعد أن تجهزه، اتبعني حتى شاطئ البحر.

عندما وصلا، صاحت الضفدعة:

- يا حَيَّتي!

- من يناديني؟

- أختك الصغيرة الضفدعة.

- ماذا تريدين؟

- عربة يجرها أربعة خيول لا يوجد مثيل لها في الدنيا؛ أريدها لأذهب مع حبيبي إلى قصر أبيه، الملك، وأنت ستأتين معنا.

وفي هذه اللحظة، خرج من البحر أربعة خيول بيضاء وهي تصهل، وعلى ظهورها سروج مزخرفة بالذهب، تَجُرّ عربة من العاج. وركبتها الضفدعة والحَيَّة.

صعد ابن الملك إلى كرسي السائق، أمسك باللجام، وتوجه بالعربة نحو القصر.

وعندما كانوا على وشك الوصول، تركت الضفدعة منديلها يسقط في الشارع عن قصد.

أوقف حبيبها الخيول، ونزل ليمسك به؛ لكن عندما ذهب ليعطيه للضفدعة، رأي، وهو في حالة ذهول، أنه داخل العربة، توجد شابة في غاية الجمال.

- لا تخفْ، قالت له، عندما وُلِدْتُ، تحولتُ إلى ضفدعة بسبب لعنة من أمي، ولم أكن أستطيع الخروج من هذه الحالة طالما لم أجد رجلا يريد الزواج مني، وأنتَ أعدتني إلى حالتي الأصلية. أريد أن يكون اسمي ماريا. الآن، ستعود أختي إلى البحر.

عندما رأى الملك عربة أنيقة جدا، تصل إلى القصر، وتنزل منها شابة جميلة جدا، أمر بأن يجتمع البلاط الملكي للتحكيم على الأشياء الثلاثة التي طلبها من ابنيْه.

لكن قبل ذلك، أقاموا وليمة، وعندما كان الكل يجلسون على المائدة، قال حبيب ابنة الصائغ لها:

- عليكِ أن تفعلي كل ما ستفعله حبيبة أخي.

كانت ماريا تأخذ ملعقة من كل طبق يقدمونه، وترميها في حجرها. ومثلها تماما فعلت ابنة الصائغ. وفي نهاية الوليمة، ظلت ماريا تأخذ ملء يدها من الطعام الذي في حجرها، وتلقيه على الملك وعلى المدعوين، فيتحول إلى ورود.

أرادت ابنة الصائغ أن تفعل نفس الشيء؛ وبدأت تلقي ملء يدها من الطعام على الملك وعلى الناس الموجودين هناك، ولطخت ملابسهم.

بعد ذلك، قدم الملك إلى البلاط الملكي الأشياء الثلاثة التي طلبها من ابنيه، وأجمع الكل على أن الأشياء التي أحضرها حبيب ماريا، هي الأفضل. ولهذا تم تعيينه وليا للعهد، وتزوجها في اليوم التالي.

قال أحد الأمراء الذين كانوا مدعوين إلى حفل الزفاف، إنه يريد أن يتزوج الحيَّة. فذهب إلى شاطئ البحر مع ماريا التي صاحت:

- يا حَيَّتي!

- مَنْ يناديني؟

- الملكة، أختك.

- ماذا تريدين؟

- أن تخرجي من البحر إلى الأبد؛ هذا الأمير يريد الزواج بك.

خرجت الحَيَّة وسألت الأمير:

- أنت تحبُّني حقا؟

- نعم!

- انظرْ، أنا مجرد حيَّة.

- لا يهمني: أحبك كما أنت.

- شكرا! أنتَ تُخْرِجُني من الحالة التي وضعتْني فيها لعنة أمي.

وتحولت أيضا إلى أميرة جميلة جدا.

وهنا تنتهي الحكاية، التي رويتها لك تماما كما رَوَوْها لي.

(١٨)

خوان دي ديوس

كان ياما كان، كان هناك زوجان، لا ينجبان. وقال الزوج:

- إذا منحنا الله ابنا، سأذهب إلى باب الكنيسة، وأول من يمرّ، سيكون أبوه الروحي.

بعد فترة قصيرة، تحققت هذه الأمنية، وأنجبت زوجته طفلة جميلة. ذهب الرجل إلى باب الكنيسة كما قال، وبعد وقت قليل، رأى رجلا عجوزا جدا آتيا. ولكنْ، لأن هذا كان نذراً، كان عليه أن يفي به.

- ماذا تفعل هنا يا صديقي الطيب؟ سأله العجوز.

- زوجتي أنجبت طفلة، ولا بد أن تكون حضرتك أباها الروحي.

- حسنا، لكن بشرط، قال العجوز، أن آخذها عندما يصير عمرها خمسة عشر عاما.

وافق الزوجان على الشرط، وهما يقولان:

- هيا، هذا العجوز يهذي، وسيموت قبل ذلك بكثير.

بعد ذلك بأيام، كانوا يحتفلون بطقوس التعميد، وأمر الأب الروحي بتزيين الكنيسة. وسَمُّوا الطفلة خوانا دي ديوس.

غير أن العجوز عاد، بعد مرور خمسة عشر عاما، ليأخذ الطفلة في نفس الساعة التي عُمِّدَتْ فيها. كان الوداع حزينا، وظل الوالدان يبكيان ويقولان:

– كان هذا هو الشرط.

– أخذ الأب الروحي الطفلة إلى الريف وقال لها:

– من قبل وحتى الآن، كان اسمك خوانا دي ديوس. من الآن فصاعدا، سيكون اسمك خوان دي ديوس. خذي حفنة من الرمل، وألقيها في وسط البحر، وستتحول إلى ممر، وستوصلك إلى قصر. عندما يسألونك عن عملك، قولي لهم: بستاني.

وبعد أيام قليلة من اعتناء خوان بالحديقة، كانت الزهور تنمو بكثرة. ذات يوم، اقتربت منه الملكة، وقالت له إنها تحبه منذ أن رأته. فقال إن هذا مستحيل.

ذهبت الملكة، حانقة جدا، لتقول للملك:

– يقول خوان دي ديوس أنه يستطيع أن يذهب إلى الجبل، ويحرثه، ويزرعه، ويحصده، وأن يحضر عجينة خبز عند الساعة الثانية عشر ظهرا.

نادى الملك على خوان دي ديوس.

– اسمعْ يا خوان دي ديوس؛ تقول الملكة إنك تستطيع أن تذهب إلى الجبل، وتحرثه، وتزرعه، وتحصده، وأن تحضر عجينة خبز عند الساعة الثانية عشر ظهرا.

– لم أقل هذا جلالتك، ولكنْ إذا أمرتَ به سأفعله.

ثم أخذ خوان حصانه ورحل. وعندما خرج إلى الحقل، قال:

– ليت أبي الروحي يظهر لي..

فظهر، وقال له:

- ماذا بك؟

- طلب مني الملك أن أفعل كذا، وكذا، وكذا.

- لا تتضايقي. خذي علبة الإبر هذه، ألقيها على الجبل، واجلسي لتشاهدي ما يحدث.

في خلال دقائق، كان يرى كيف أن العفاريت الصغيرة تحرث، وتزرع، وأخرى تعجن. وفي تمام الثانية عشر، كان خوان يصل إلى القصر ومعه العجينة مصنوعة. وجُنَّ الملك من السعادة عندما رآه، ولكن الملكة لم تهتم به مطلقا.

استمر خوان في حديقته. وبعد أيام قليلة، عادت الملكة وقالت له إنها مغرمة به، ولكنه قال لها: إن هذا مستحيل. فذهبت إلى زوجها الملك وقالت له:

- يقول خوان دي ديوس إنه يستطيع أن يذهب إلى الحقل، وأن يحضر مرتبة من ريش كل الطيور الحية.

أمر الملك بإحضاره:

- خوان دي ديوس، ماذا قلت؟ أقلتَ إنك تستطيع إحضار مرتبة من ريش كل الطيور الحية؟

- لم أقل هذا، ولكن إذا أمرتَ به جلالتك سأفعله.

أخذ حصانه مرة أخرى، ومرتبة. وعندما خرج إلى الحقل قال:

- ليت أبي الروحي يظهر لي...

وظهر له:

- ماذا بك؟

- قال لي الملك: إن علي أن أُحضر له مرتبة مليئة بريش كل الطيور الحية.

- إذن خذي هذه الصفارة واعزفي.

عندما عزف عليها خوان، امتلأت السماء بطيور، تهز ريشها، حتى أصبحت صلعاء. وفي تمام الساعة الثانية عشر ظهرا، وصل خوان دي ديوس إلى القصر، ومعه مرتبة مليئة بالريش. فرح الملك بجنون، لكن الملكة، كالعادة، لم تهتم به إطلاقا. ترك خوان دي ديوس أشياءه وذهب مرة أخرى إلى الحديقة. وبعد أيام أخرى قليلة، عادت الملكة، وكررت نفس الشيء، ولكنه كان يقول دائما لا، وإن هذا لا يمكن أن يحدث. وذهبت الملكة لتقول للملك إن خوان دي ديوس قال إنه قادر على إيجاد خاتم كان قد ضاع من أجداد أجداده. ناداه الملك مرة أخرى، ومرة أخرى حدث نفس الشيء، بحيث إن خوان كان في الحقل وقال:

- ليت أبي الروحي يظهر لي..

وظهر له الأب الروحي وقال له:

- خُذْ قطع الخبز هذه، واذهب إلى شاطئ البحر. ستظهر سمكة كبيرة جدا. ضع لها قطع الخبز في يد، وضع الأخرى في حلقها وأحضر الخاتم الموجود فيه.

وفعل هذا بالضبط. وفي تمام الساعة الثانية عشر ظهرا، وصل خوان إلى القصر، ومعه الخاتم، وفقد الملك عقله من السعادة. ولكن الملكة لم تهتم على الإطلاق. وبعد بضعة أيام، عادت إليه في الحديقة بنفس الكلام، لكن خوان أجابها بأن هذا ليس في الإمكان. فذهبت الملكة إلى الملك، وقالت له إن خوان قال إنه يستطيع أن يعيد له الأميرة البكماء، التي خطفوها منهم عندما كانت طفلة.

- هل قلت هذا؟ سأل الملك.

- لم أقل هذا، لكنْ إذا أمرتَ جلالتك، سأفعله.

وخرج إلى الحقل وعندما ظهر له الأب الروحي قال له:

- لا تحزن؛ خذْ حفنة الرمل هذه، وألقها في البحر. وبهذا ستكون قد بنيت ممرا. وستلمح من بعيد قلعة يحرسها أسدان. إذا كانت عيونهما مغمضة، فهما مستيقظان، وإذا كانت عيونهما مفتوحة، فهما نائمان. على اليد اليمني، في صالة، توجد أميرة. ركز في الثلاث كلمات التي ستقولها، لأنها ستنفعك.

وفعل خوان دي ديوس كل هذا. وصل إلي القلعة، ورأى أن عيون الأسدين مفتوحة. مر من جانبهما وأخذ الأميرة، التي كانت تقول هذه الأشياء الثلاثة:

- الوداع، أيها الفرن؛ هما ذهبتا إلى هناك؛ وداعا، أراجون. ولم تتفوه بالمزيد.

عندما وصل خوان دي ديوس إلى القصر مع الأميرة، لم يكن الملك يعرف ماذا يفعل له، من شدة ما كان سعيدا بابنته. ولم تهتم الملكة على الإطلاق. ذهب خوان دي ديوس مرة أخرى إلى الحديقة، وجاءت الملكة مرة أخرى بنفس الكلام؛ وقال لا.

ذهبت الملكة إلى غرفتها، وأثارت الفوضى في كل أنحائها، وشدت شعرها. جاء الخدم، وأخبروا الملك.

- ماذا بك يا امرأة؟ سألها الملك.

- أراد خوان دي ديوس أن يعتدي عليّ.

فذهبوا إلى خوان دي ديوس، ووضعوه في زنزانة. وكان يقول حينما كان في الزنزانة، وقد حكموا بشنقه في اليوم التالي:

- يا ليت أبي يظهر لي!

وظهر له وسأله:

- ماذا بك؟

- سيشنقونني غدا.

- إذن قل إن رغبتك الأخيرة هي أن تكون الأميرة البكماء موجودة وقت شنقك.

وكان الكل في الميدان. وعندما كانوا يوشكون على أن يشنقوه، توجَّه إلى الأميرة البكماء وقال:

- لماذا قلت: "وداعا، أيها الفرن؟"

- لأنك أخرجتني من سحر المغاربة.

- لماذا قلت: "إلى هناك هما ستذهبان؟"

- لأننا كنا قادمتين.

- لماذا قلت: "وداعا، أراجون"؟

- لأنك لو كنتِ ذكرا وليس أنثى لجعلتِ الملك بقرنين مرات ومرات.

عندما سمعت الملكة هذا الكلام، ألقت بنفسها من الشباك، وانتحرت.

حينئذ أمر الملك بإحضار طبيب، تعرف على خوان دي ديوس، وعرف أنها امرأة. وتزوَّجها وجعلها ملكة. وذهبتُ أنا وأتيتُ، ولم يعطوني حتى ثمن حذاء.

(١٩)
صخرة المرمر

حسنا يا سيدي، كان هناك ذات مرة، أم أرملة، وكان عندها ابن. كان شابا، ولم تكن له مهنة ولا فائدة.

- يا إلهي، يا بني، قالت الأم. أنت أصبحت رجلا، ولا تريد أن تتعلم حرفة. لماذا لا تصبح خياطا؟

- لا أريد، أجاب الابن.

- لتكن حدادا.

- لا أحب.

وهكذا ظلت الأم تعدد له الحرف، لكنه كان لا يريد أن يعمل، وكان ينتظر ليكوّن ثروته بطريقة مختلفة. ولم يكن أحد يحسب له حسابا، إلى أن قال لأمه ذات يوم بإلحاح، إنه يريد أن يصبح رساما. بحثت له الأم عن معلم، وكان الصبي، رغم أنه لم يكن يحب العمل، موهوبا جدا، ونبغ كثيرا في الرسم، وعندما لم يكن يراه المعلم، كان ينسخ ما كان يرسمه المعلم، وتعلم في وقت قصير جدا.

حسنا، وذات يوم، أمر ابن الملك بإحضار المعلم، وهكذا وصل إلى القصر، وقال له إنه حلم بزهرة الجمال، وإنه أحضره ليرسم لوحة لها مع تعديل بعض

المواصفات التي سيعطيها له. أعطى له مواصفات ما رآه في الأحلام، وذهب المعلم إلى بيته وهو حزين جدا، حتى أن زوجته سألته عما به.

- ماذا عساه أن يكون! أجاب الزوج. فقد حلم ابن الملك بامرأة مثالية اسمها زهرة الجمال، ويريدني أن أرسم لها بورتريهًا. كيف سأرسم أنا لوحة لامرأة لم أرها من قبل؟

قال له تلميذه، الذي كان يسمعه:

- لا تتضايق يا سيدي المعلم. كيف كانت هذه المرأة، كما يقول ابن الملك، شقراء أم سمراء؟

- شقراء؛ ولها تلك المواصفات.

- إذن اترك لي هذا الأمر يا سيدي. أعطني كيسا من الجوز، ورغيفين من الخبز، وزجاجة نبيذ؛ وسأحبس نفسي في الورشة، وعندما أفتح، سأكون قد انتهيت.

لم يكن المعلم يريد أن يعطيه جوزا، لكن طلبت منه زوجته أن يتركه، ففي كل الأحوال لن يخسر شيئا، حتى إنْ لم يفعل. واقتنع المعلم في النهاية: أعطاه الجوز، والخبز، والنبيذ، وأخذ الصبي كل شيء، وحبس نفسه في الورشة.

أما المعلم والمعلمة، اللذان كان عليهما أن يناما!، فلم يغمض لهما جفن طول الليل، منتظرين ما سيفعله التلميذ. وفي تلك الأثناء، كان التلميذ قد قضى الليلة، يكسر الجوز ويأكله، بسرعة، بسرعة! وعندما كان النهار يقترب، كان المعلم مرتابا جدا، حتى أنه قال لزوجته:

- هذا ولد مشاغب، إنه يسخر منًا، وكل ما كان يريده، هو أن يلتهم الجوز والخبز على حسابنا. أريد أن أركله خارج الباب، وأن أضربه علقة تجعله يتذكرني طوال عمره.

– اتركه يا رجل، قالت المعلمة، ولنرى ماذا سيفعل. هيا ننام، فأنا نعسانة جدا.

وناما.

التهم الفتى الجوز والخبز وشرب زجاجة النبيذ. وبرأس ساخنة، أخذ فُرَش الرسم، ورسم امرأة شقراء، أجمل من... لست أدري ممَّنْ.. أجمل مما كان ابن الملك يمكنه أن يحلم. وهكذا انتهى من رسمها، وذهب لينام، وعندما استيقظ، فتح الباب، وأخذ اللوحة، وذهب ليبحث عن معلمه وقال له:

– من فضلك خذ هذه، أيها المعلم.

كان المعلم يائسا، وخاف من أن يكون قد أحضر له كارثة، واستعد ليركله؛ وعندما رأى اللوحة، ظل فاغرًا فاه، وأخذ يفرك عينيه كما لو كان لا يصدق ما يراه.

– ولكن، قال، كيف فعلت هذا يا بني؟

– بالجوز والنبيذ؛ دَعكَ من الأسئلة واحملْها إلى ابن الملك، الذي سيكون في انتظارها.

خرج المعلم في غاية السعادة، وذهب إلى القصر ومعه اللوحة.

ظل ابن الملك مندهشا جدا عندما رآها، وقال:

– تلك هي المرأة التي حلمت بها. والآن، لا بد أن نبحث عنها وأحتاج أن تأتي معي.

وبما أن طلبات الملك كانت أوامر، ذهب الرسام إلى بيته وهو متضايق جدا، حتى أن زوجته سألته عما به، وما إذا كانت اللوحة لم تعجب ابن الملك.

– ليتها لم تعجبه، في تلك الحالة ما كنت لأصير في هذا المأزق! الآن يريدني أن أذهب معه لأبحث عن نزوته. كيف سنجد امرأة لا توجد إلا في خياله؟

- أيها المعلم، قال الفتى، اذهبْ وقلْ له إن لديك ابنا يريد أن يذهب معه، وإذا تركني أذهب، سنرى كيف سنجد طريقة لأبقى أنا وتعود أنت.

وصل المعلم إلى القصر، وقال لابن الملك إنه مستعد ليذهب معه للبحث عن زهرة الجمال، ولكنه يريد أن يطلب منه طلبا. وعندئذ سأله ابن الملك ما عساه أن يكون هذا الطلب، وإذا كان ممكنا، سينفذه له.

سيدي، قال، يجب أن تعرف عظمتك أن عندي ابنًا، وعندما عرف أنني سأذهب مع جلالتك بحثًا عن زهرة الجمال، قال لي: إنه يريد أن يأتي معي، ولأنه شقي جدا، يمكنه أن يساعدنا، أردتُ أن تسمح له جلالتك بالمجيئ.

- حسنا، قال ابن الملك، ليأتي معنا.

إذن، في فجر اليوم التالي، خرج ابن الملك، والمعلم والتلميذ، ومشوا، ثم مشوا، ومر يوم، ومر آخر، وعندما جاء الثالث، تعب المعلم كثيرا ولم يستطع المتابعة. عندئذ قال الفتى لابن الملك:

- إذا أردت جلالتك، فليذهب أبي المتعب، وأكون أنا المرشد.

- هل تعتقد أنه يمكنك أن تكون مرشدا؟ سأله الأمير.

- نعم سموك.

- حسنا، ليذهب إلى بيته، ونكمل نحن طريقنا.

ذهب المعلم إلى بيته، وتابع ابن الملك والفتى طريقهما، ومشيا، ثم مشيا، حتى وصلا إلى غابة كثيفة جدا، وعندما كانا متعبين، رأيا بيتا محاطا بأشجار كثيرة. دخلا البيت ولم يريا أحدا، ولكنهما وجدا مائدة معدة جيدا جدا، ولأنهما كانا جائعين، بدآ يأكلان، وعندما انتهيا، بحثا عن مكان ينامان فيه، ووجدا غرفة بها سريران نظيفان جدا، بمرتبتين جيدتين، حتى أنه بدا لهما أنهما كانتا في انتظارهما.

وبالطبع أراد ابن الملك أن ينام، لكن الفتى، كان مرتابا، لأنه لم ير أحدا، وقال للأمير:

- من الضروري هنا عندما يكون أحدنا نائما، أن يحرسه الآخر، فمن الممكن أن يكون هذا البيت كهفا للصوص، ويمكن أن يفاجئونا.

- حسنا، قال ابن الملك، ومن سينام أولاً؟

- سأنام أنا حتى الحادية عشرة، وبعد ذلك سموك.

وافقه ابن الملك على ذلك، وعندما جاءت الساعة الحادية عشرة، أيقظ الفتى.

- هل رأيت جلالتك أي شيء؟ سأل.

- لا، لم أر شيئا.

- حسنا، اذهبْ للنوم، وسأحرسك أنا.

ذهب ابن الملك للنوم، ولأنه كان نعسان، لم يأخذ وقتا لينام.

وعند الساعة الثانية عشرة، شعر بضجة، وكأن شخصين يدخلان، وبعد ذلك، ورغم أنه لم ير أحدًا، سمع صوت شخصين يقولان:

- الوداع يا خوان.

- معك الرب يا بدرو.

- ألا تعرف بمَنْ يريد الملك أن يتزوج؟

- بمَنْ؟

- زهرة الجمال.

-هذا مستحيل، لأن من الصعب جدًا العثور عليها.

صمتت الأصوات، وظل الفتى، الذي كانت آذانه صاغية، وكانت لديه رغبة في أن يعرف أين يمكن أن يجد زهرة الجمال.

"من الممكن أن يقولان غدًا في الليل، قال لنفسه، سنظل حتى الغد لنرى".

عندما طلع النهار، استيقظ ابن الملك.

– هل سمعت شيئا أيها الفتى؟

– لم أسمع شيئا.

– هيا بنا؟

– لا، سموك، اليوم سنبقى هنا، أريد أن أستكشف ما يوجد في هذا البيت.

قضيا اليوم هناك، أكلا، وشربا، وتنزها، دون أن يريا شخصًا طول اليوم، مما لفت نظرهما. جاء الليل، نام الفتى، وتولى ابن الملك مهمة إيقاظه في الساعة الحادية عشرة. أيقظه الأمير في الحادية عشرة، ونام هو. ظل الفتى يراقب، وعندما جاءت الساعة الثانية عشرة، سمع نفس صوت وقع أقدام الليلة الماضية، وبعدها سمع كلاما.

– الوداع يا خوان.

– معك الرب يا بدرو.

– أرأيت كيف بدأ ابن الملك البحث عن زهرة الجمال؟

– نعم، ولكن من الصعب جدا أن يجدها، لأنها هناك، في الماء.

– نعم، ولكن سيكون من السهل عليه عبوره. يوجد "قرن المفاتيح"، مُعلقًا هناك، وعند إلقائه في البحر، سيتحول إلى جسر فضي، وسيمرُّ، كأنه في بيته.

وسكتت الأصوات، ولأن الفتى لم يعرف كل ما كان يريده، قرر مع ابن الملك أن يقضيا اليوم التالي هناك، وهذا ما فعلاه. مُكلفًا الآخر أن يوقظه في الحادية عشرة. وبعدها ذهب ابن الملك للنوم، وجلس هو ليراقب. وفي تمام الساعة الثانية عشرة، سمع وقع أقدام، وبعدها بدأت الأصوات تتكلم:

- وداعا يا خوان.

- معك الرب يا بدرو.

- أتعرف أن ابن الملك قد حسم أمره، ولا بد أنه قريب جدًا؟

- من الممكن أن يتوقف هنا.

- لا، من الجائز أن يمرّ دون أن يتوقف.

- لكنْ، أعتقد أنه حتى لو استطاع أن يعبر البحر لن ينجح في إحضار زهرة الجمال، لأن هناك عملاقًا وأسدين شرسين جدًا.

- أليست هناك أي طريقة لأخذها دون أن يرونه؟

- نعم، إذا أخذها وهم نيام، وعبر البحر قبل أن يستيقظوا، ولكن، آه لو نجحوا في الوصول إليهما!

صمتت الأصوات، وهكذا عندما جاء الصباح، أفاق ابن الملك، وأخذ قرن المفاتيح، وذهبا مباشرة إلى البحر. عندما وصلا، ألقى قرن المفاتيح في الماء، الذي تحول إلى جسر من الفضة، وعبرا إلى الضفة الأخرى.

ودخلا جزيرة، ووجدا قصرا ضخما، رأيا فيه عملاقا معه صولجان كبير جدا، وأسدين، ولكن ثلاثتهم كانوا نائمين. وبين العملاق والأسدين، كانت توجد امرأة في غاية الجمال، كانت بهجة الدنيا. ورأتهما هي، وقالت لهما:

- مَنْ الذي جاء بكما إلى هنا؟

- أتينا من أجلك.

- آه لو استيقظ العملاق، يا لبؤسكما، سيقتلكما، وإن استيقظ الأسدان، سيجعلان أكبر جزء فيكما في حجم النملة.

- اششش! اصمتي، ودعينا نحملك.

أخذاها بحذر شديد، وذهبوا في اتجاه البحر ليهربوا. وبعد قليل، استيقظ العملاق، وعندما لم يجد زهرة الجمال، غضب كثيرا وخرج ليبحث عنها. نظر في اتجاه البحر، ورأى أنهما قد أخذاها إلى الجسر الفضي. بدأ يجري بخطوات واسعة وكأن قدميه كبيرتان جدا، ووصل إلى البحر دون أن يستغرق منه ذلك أي وقت، في نفس اللحظة التي مروا فيها، ورفعوا الجسر. إذن، وبما أن العملاق لم يستطع اللحاق بهم، رفع قبضة يده وهو يهددهم ويقول لهم:

- الوداع أيتها الزهرة الجميلة، لقد وصلت لأخذك متأخرًا، لكن، ليجعلك الرب في أول ليلة في زواجك طعاما للذئاب، وإذا لم تصبك تلك اللعنة، ليحولك الرب، عند أول ابن لك، إلى صخرة مرمر.

وبينما كان العملاق يتحدث غاضبا، واصل ابن الملك، والفتى، وزهرة الجمال، طريقهم، وذهبوا ليناموا في بيت في الغابة. نام الفتى أولاً، وفي الساعة الحادية عشرة، أفاق ونام الآخران. وفي الساعة الثانية عشرة، شعر بالخطوات مرة أخرى، وأنصت وكأنهما كانا يقولان.

- الوداع يا خوانْ.

- معك الرب يا بدرو.

- ألا تعرف كيف أحضر ابن الملك زهرة الجمال؟

- كيف؟

- حسنا، ترك الحراس نياما، وأخذها، ولكنه لا يعرف أنه جلب معه اللعنة التي ألقاها عليه العملاق.

- وما هي اللعنة التي ألقاها عليه؟

- أن تكون طعاما للذئاب في ليلة زفافها.

- خسارة، وبكل جمالها هذا! ولا يمكنها أن تحرر نفسها؟

- بلى، إذا وضع الملك يوم الزفاف، جيشا حول المدينة، ليحارب الذئاب التي ستظهر.

صمتت الأصوات ونام الفتى. وعندما جاء النهار، خرج الجميع في اتجاه بيته. وهكذا وصلوا، واستقبلوهم بجلجلة الأجراس والنيران، وأغرم الجميع بزهرة الجمال، وقالوا إنه لا يوجد أجمل منها في كل الدنيا.

- ثم تزوجا، وفي يوم الزفاف، أمر ابن الملك جميع الجنود بأن يحيطوا بالقرية؛ وهذا ما فعلوا، وعندما كان الكل مستعد، رأوا عددا لا نهائيا من الذئاب آتية من جميع الأنحاء، بعوائها الذي كان سماعه مخيفا. بدأ الجنود يطلقون الرصاص حتى قتلوها كلها، رغم أنه بدا مستحيلا أن ينتهوا منها من فرط كثرتها.

انتهت الاحتفالات، وكان الجميع سعداء بجنون بالأميرة، وخاصة ابن الملك. مر الوقت، وأنجبت زهرة الجمال طفلاً جميلاً جدًا، تَسُرّ رؤيته الناظرين. أخذه الأب في الحال، وحمله إلى الملكة، التي فرحت جدًا برؤية حفيدها. عاد ابن الملك إلى غرفة نوم زوجته، ويئس عندما وجدها قد تحولت إلى صخرة من المرمر، وهكذا تحولت كل سعادته بابنه إلى ألم لا عزاء له، بسبب الحالة التي أصبحت فيها زوجته. وعندئذ أمر بتجهيز غرفة ليجعلها قبرًا يضع فيه زوجته؛ وأمر بتزيينها بأفضل الأشياء، ووضع التمثال في وسطها ليستمتع بهذا الجمال الميت، الذي لا يمكنه أن يراه حيًا.

أما عن تلميذ الرسم، الذي ظل مقيما في القصر، فعندما رأى حزن ابن الملك، قرر أن يرى ما إذا كان من الممكن أن يخففه، ففكر في أن يقوم بعمل رحلة إلى بيت الغابة ليرى ما إذا كانت المصادفة ستجعله يكتشف شيئا.

- من فضلك أعطني حصانا، قال للأمير.

أمر بأن يأخذ الحصان الذي يعجبه، وصعد فوقه وبدأ طريقه؛ ومشى، ثم مشى، حتى وصل إلى الغابة. دخل البيت، أكل، ولم يُرِدْ أن يستلقى خوفا من أن ينام ولا يستمع إلى ما ستقوله الأصوات إذا كانت ستقول شيئا.

وهكذا جاءت الساعة الثانية عشرة، وشعر بنفس وقع الأقدام مثل المرات السابقة، وبعد قليل، سمع الأصوات تقول:

- الوداع يا خوان.

- معك الرب يا بدرو.

- ألا تعرف ماذا حدث؟

- ماذا؟

- رغم أن ابن الملك قد انتصر على الذئاب بالجنود في ليلة الزفاف، لم يستطع أن يتحرر من اللعنة الثانية التي ألقاها العملاق على زهرة الجمال.

- وماذا كانت؟

- أنْ تتحول إلى مرمر، عندما تلد أول طفل لها.

- وماذا حدث؟

- ما حدث هو أن زهرة الجمال رزقت بابن في منتهى الجمال، ولكنها تحولت إلى صخرة من المرمر.

- يا خسارة! أليس من الممكن أن تعود إلى الحياة مرة أخرى؟

- نعم، هناك طريقة، ولكنها محزنة جدا، لأنه لكي تعود الحياة للأم، لا بد أن يموت الابن.

- وكيف ذلك؟

- إذا قتلوا الطفل ووضعوا الدم في قارورة، وتم دَعك عروق الأم بها، ستعود لها الحياة.

كفت الأصوات عن الكلام، وكان الرسام، الذي لم يستطع أن ينام، يتمنى أن يأتي النهار ليبدأ طريقه. وأخيرا طلع الفجر، وأخذ الحصان، ولم يتوقف حتى وصل إلى القصر. وعندما وصل، قال للأمير ما عليه أن يفعله ليعيد الحياة لزهرة الجمال. عارضت الملكة، لأنها لم تكن تريد أن يقتلوا حفيدها، ولأنها كانت تقول إنهم بهذا سيفقدون الاثنين.

كان ابن الملك يثق في الرسام، وآمن بأن زوجته ستستعيد حياتها، ولكن، لأنه كان يحب ابنه كثيرًا، لم يكن يريد أن يقتلوا ابنه أيضا؛ لكن لأنه رأى أن هذا هو الحل الوحيد، قال إن التضحية ضرورية، لأنه في كل الأحوال، الأم قبل الابن.

فقتلوا الطفل المسكين، وأخذوا دمه في قارورة، وأخذوا يدعكون به كل عروق صخرة المرمر. وكلما كانوا يدعكون عروقها، كانت تتحرك، حتى انتهوا، وعادت الحياة إلى زهرة الجمال وهي سعيدة جدًا بكل الناس الذين كانت تعرفهم.

أما ابن الملك، الذي حزن كثيرا على ابنه، فكان قد بدأ ينساه تدريجيا، عندما كان يرى زوجته على قيد الحياة. وبعد ذلك رزقوا بأطفال من جديد، وعاشوا سعداء لسنين طويلة، أما الرسام، فلم يمسك فرش الرسم مجددا، ومات عجوزا في القصر.

وتوتة توتة فرغت الحدوتة.

(٢٠)

الشيطان العريس

كان يا ما كان، كان هناك كونت عنده ابنة جميلة جدًا في سن الزواج. لكن الفتاة كانت هوائية، وكانت تختلق عيوبا في جميع العرسان. وذات يوم قالت:

- لن أتزوج حتى أجد مركيزا بشفتين فضيتين، وأسنان ذهبية.

عرف الشيطان بالأمر، وقال لنفسه: "إذن سأذهب أنا، وسأتنكَّر في زي ماركيز وسأتزوجها". وهذا ما فعل. وذات يوم، تقدم إلى القصر، وعندما رأى الملك أنه تماما كما قالت ابنته، ناداها وقال لها:

- ها هو ما كنت تبحثين عنه.

وقالت هي:

- لم أفكر أبدًا في أنني كنت سأجده، ولكن ها هي يدي.

ورتبوا للزفاف يوما آخر.

وكان عند الفتاة طائر سنونو حذرها وقال لها:

- إذا كنت تظنين أنه ماركيز،

لا تتزوجيه، فهو الشيطان.

ولكنها لم تهتم بكلامه. قال لها السنونو ذلك مرة أخرى، وأخرى. وأخيرا أجابته الفتاة:

– هذا لأنك تعتقد أنني لن أصطحبك إلى قصر زوجي. ولكني سأخذك معي. هيا، اتركْني في سلام.

جاء يوم الزفاف، وجاء الشيطان من السماء بمزلجة، وبملابس رسمية، وبشفتيه الفضيتين وأسنانه الذهبية، يصحبه مجموعة من الشياطين والشيطانات، متنكرين أيضا في شكل شخصيات مهمة.

تزوجت الكونتيسة بالشيطان، وبعد الاحتفالات، رحلوا بالمزلجة في الهواء. ورغم أن الفتاة نسيت الوعد الذي وعدته للسنونو، فقد أخذ يطير أيضا، وذهب وراء ذلك الموكب.

– إلى أين تأخذني؟، سألت الكونتيسة زوجها. ذلك الطريق لا يبدو مألوفا لي إطلاقا.

– لا تنزعجي يا امرأة، سترين قصري.

وبمجرد أن وصلا إلى القصر، حبس الشيطان الفتاة في غرفة فوق غلاية بها سمك يغلي. وقال الشيطان وهو مستغرق في الضحك:

– يا ابنة الكونت، التي فوق الغلاية، إذا لم يحدث في الأولى، ولا الثانية، ستقعين في الثالثة، وضرب السقف لكمتين قويتين، حتى ينهار وتسقط الفتاة في الغلاية.

عندئذ دخل طائر السنونو من الشرفة وقالت له الكونتيسة:

– آه أيها السنونو، صدقت عندما قلت إن هذا الماركيز هو الشيطان! هيا، اذهبْ لتبلغ أبي.

خرج السنونو طائرا ليبلغ عما كان يحدث، وفي أثناء ذلك، أكمل الشيطان قائلا:

- يا ابنة الكونت، التي فوق الغلاية، إذا لم يحدث في الأولى، ولا الثانية، ستقعين في الثالثة! ولكم السقف مرة أخرى لكمات قوية، حتى تسقط الفتاة.

أبلغ السنونو الكونت، الذي جهز جيشا ضخما ليذهب لإنقاذ ابنته. وعندما كان السقف على وشك الوقوع، وصلوا إلى القصر، وكسروا الباب، وكان لا يزال أمامهم وقت ليفكُّوا الفتاة ويضعوا مكانها دمية. وعندما تحطم السقف أخيرا، بضربة قوية جدا من الشيطان، وقعت الدمية داخل غلاية السمك.

أخذ الشيطان مغرفة، وظل يحرك، ويحرك، وكان يقول:

- يا ابنة الكونت، إذا اعتقدت أن من أتيت معه ماركيز، فأنت مخطئة، إنه الشيطان!

كرر هذا ثلاث مرات، وأخرجها ليرى ما إذا كانت الفتاة قد احترقت، ورغم أن الدمية كانت سوداء جدا، انتبه للخدعة. ركب بمزلجته مع بعض الشياطين الأخرى، وخرج طائرا في اتجاه قصر الكونت. ولكنْ هناك، ولأن الجيش كان مجهزا بشكل جيد، حاربوها وانتصروا عليها، وكان عليها أن تعود مرة أخرى إلى جهنم وذيولها بين أرجلها.

(٢١)

المركب الذهبى والمركب الفضى والمركب الحريرى

ذات مرة، كان هناك أب له ثلاثة أطفال. كان واحد منهم، وهو أكبرهم، يريد أن يذهب بحثًا عن الثروة؛ لكن والده سأله، لماذا يريد أن يرحل مع أنه غني.

لكن الابن طلب منه بركته، وطلب منه أن يأمر بعمل قارب من الذهب، لأنه راحل؛ وفي الحال استأجروا له قاربا، ورحل به. وصل إلى مدينة وجعل الصبية يُخْرِجُونَ القارب من الماء، ويضعونه في القاعة المجاورة لغرفته. وطلب سلة من صاحبة النُّزُل، وذهب إلى الميدان لإحضار اللحم.

عندما مر على قصر الملك، رأى لافتة على الباب تقول إن ابنة الملك مختبئة داخل القصر، وإذا وجدها أحد، سيتزوجها. ودخل ليبحث عنها؛ لكن الملك قال له إنه إذا لم يجدها خلال ثلاثة أيام، سيسجنه. وقرر أن يبحث عنها، وعندما مرت الأيام الثلاثة، سجنوه لأنه لم يجدها.

رأى الأب والأخوان أن الابن الأكبر لم يَعُدْ. وعندئذ قرر الثاني أن يذهب ليبحث عن الأول، وطلب من أبيه أن يصنع له قاربا من الفضة؛ وكان جاهزا في الحال، ركب الثاني في القارب وذهب ليبحث عن أخيه الأكبر. وذهب إلى نفس النُّزُل الذي توقَّف عنده أخوه. ولأنه رأى القارب في القاعة، عرف أن أخاه كان

هناك. وطلب سلة ليحضر اللحم، ورأى نفس اللافتة مثل أخيه. أراد أن يدخل، وحذره الملك من أن هناك شابا يشبهه جدا، مسجونا لأنه راهن على البحث عن الأميرة، ولم يجدها، وأنه ينتظر له نفس المصير؛ ولكنه قرر أن يبحث عنها، ولم يجدها أيضا، وهكذا سجنوه أيضا. حينئذ قال الأخ الأصغر إنه يريد أن يذهب ليبحث عن أخويْه. لكن الأب لم يكن يريد، لأنه رأى أن ولديْه قد اختفيا. أصرَّ الصبي على أن يذهب وطلب من أبيه أن يصنع له قاربا من الحرير: ركب المركب، وتوقف عند نفس النُزُل الذي توقف عنده أخواه ورأى القاربين.

مشى إلى الميدان ليُحضِر الطعام الذي ستطبخه له صاحبة النُزُل، ورأى نفس اللافتة في قصر الملك، وكانت أمامه صخرة، جلس عليها، يفكر في هل ينبغي أن يدخل أم لا. في أثناء ذلك، جاءته امرأة عجوز، وسألته عن السبب في أنه متضايق: سألها ما شأنكِ أنتِ بهذا؟ فأجابته طالبةً منه أن يحكي لها عما به، فمن الممكن أن تستطيع معالجته. حكى لها كل ما حدث له، وسألته العجوز ما إذا كان ثريا. وأجاب هو أنه يستطيع أن يوفر قاربين: قاربا من الذهب، والآخر من الفضة؛ عندئذ طلبت منه العجوز أن يأمر بعمل ببغاء من الذهب وقاعدة للتمثال من الفضة؛ وأن يكون الببغاء في حجم رجل، وأن يتركوا فقط مكانا للفتحتين، دون عينين. وفي الحال أمروا بعمله في ورشة الصائغ، ووضع ابن الملك نفسه في الداخل، ومعه كوب من الماء وقرص شمع العسل، ووضعوا القفص أمام القصر. لفت انتباه الملك ذلك الطائر الجميل، وجعلهم يحملونه ليراه عن قرب. وبالكاد استطاع ستة رجال حمله، إلى القصر، ودخل الصبي وهو يلاحظ كل ما كانوا يفعلونه في الداخل. لاحظ أنهم أداروا سريرا، ورفعوا بلاطة، وأخرجوا من هناك مزلاجا حديديا، ونزلوا على السلالم، ووجدوا أنفسهم في فناء كبير جدا، به نافورة كانت تبدو وكأنها بئر مغطاة من أعلى. فتحوها، ونزلوا مرة أخرى؛ وهناك أيضا كانت توجد بئر جميلة جدا بباب آخر. فتحوا ذلك الباب، وهناك كانت الأميرة ومعها شابتان أخريان. وكُنَّ كلهن يلبسن نفس الملابس، حتى إذا عرفوا مكانهن

ذات يوم، يحتارون، فلا يعرفون مَنْ منهن الأميرة. أعجبها الببغاء كثيرا، إلى حد أنها أمرت بأن يضعوه في غرفتها. وهناك، كانوا يتركون لها قرصا من شمع العسل، وكوبا من الماء كل ليلة؛ شعر الشاب بالعطش، فخرج من الببغاء، وذهب ليشرب الماء؛ ولكن عندما ذهب ليأخذ الكوب، مدت الأميرة يدها نحو الكوب في نفس الوقت. ففزعت لأنها لمست يدًا أخرى، وأخذت تصرخ، لكنه قال لها إنه أتى ليحرّرها من سجنها. هدأت هي، وحذرته من أنهن جميعا يلبسن نفس الملابس، وليتعرّف عليها، ستضع شريطا قرمزيا في واحد من أصابعها، في حين ستضع الأُخريان شرائط بلون سماوي.

في ذلك النهار، عادوا من أجل الببغاء، وحملوه. ثم تقدم هو إلى القصر في زي فارس، وقال إنه سيبحث عن الأميرة. قال له الملك إن هناك شابين مسجونين لا شك في أنهما أخواه، لأنهما يشبهانه كثيرًا؛ ولا يريد أن يحدث له ما حدث لأخويه. أصرّ على الدخول وبدأ يبحث، كأنه لا يعرف. في أول يوم، تصرّف كأنه لا يعرف شيئا، وحدث نفس الشيء في اليوم الثاني، وفي اليوم الثالث، أدار السرير، ورفع البلاطة، كأنه يفعل هذا لأول مرة؛ وطلب المفتاح، فتح المزلاج، ونزل مع الخادم والملك. عندئذ، طلب مرة أخرى مفتاح الباب، ونزل إلى حيث كانت الأميرة؛ ولكنه كان لا يزال عند الملك أمل في ألّا يتعرّف عليها من بين زميلتيها، ثم ظهرن كلهن في صف. أمرهن الملك بأن يستدرن مرتين ثم يتوقفن. واختار هو الأميرة، دون أن يخطئ. وقال الملك:

– ليس أمامي إلا أن أزوّجها لك؛ ولكنْ، ليستدرْن مرة أخرى.

ولكنه تعرّف عليها جيدا جدا، فهو كان يعرفها من قبل، وبما أنه وجد نفسه هناك، طلب أن يسلّموه أخويه المسجونين، وأن يرسلوا لإحضار والده؛ جاء والده، وأخرجوا الآخرين، وتم الزفاف، وأنا أعطوني حذاء من الزبد، ساح مني في الطريق.

(٢٢)

الطفلة التى لا تستطيع الخياطة

ذات مرة، كانت هناك امرأة عجوز لم يكن لديها في العالم سوى حفيدة صغيرة، ربّتها بكثير من الدلال، إلى حدّ أنها علّمتها أشياء قليلة جدًا، دون أن تفكر في أنها ستكبر ذات يومٍ وسيكون عليها أن تتزوج. كانت الفتاة تقريبا في عمر الأمير، وعندما فكرت الملكة في أن على ابنها أن يبحث عن زوجة، أمرت بنشر إعلان رسمي يقول إن الفتاة التي تستطيع أن تغزل الكتان الذي يملأ غرفة في القصر في ثلاثة أيام ستتزوج الأمير.

عندما علمت المرأة العجوز، ذهبت راكضة إلى القصر، وقالت إن لديها حفيدة جميلة جدا وقادرة على فعل ذلك.

- هل أنت متأكدة؟

- ليس من الضروري أن أكون متأكدة، فهي كانت تغزل كرات الصوف وكأنها تشرب كوبا من الماء.

هكذا أرسلوا في طلب الفتاة، ووضعوها في غرفة مليئة بالكتان. عندما رأت الفتاة نفسها محبوسة، هناك، بدأت تبكي، لأنها لم تغزل ولا مرة في حياتها، ولم تكن قد توقفت عن البكاء عندما ظهرت لها ثلاث ساحرات ظريفات جدا، وقلن لها:

- دعينا نرى، ماذا بك؟

- حسنا، لا شيء.. عليَّ أن أغزل كل هذا الكتان، مع أنني لم أمسك بمغزل في حياتي، قالت، وبدأت تبكي مرة أخرى.

- ألهذا أنت متضايقة؟ انظري، سنفعل شيئا، سنساعدك في هذا العمل الصغير، ولكنْ بشرط واحد.

- نعم، نعم، لَكُنَّ ما تُرِدْنَ، قالت الطفلة.

- عليكِ أن تَدْعِينا إلى الزفاف، وأن تَدَعينا نجلس إلى جانب الأمير.

وافقت الفتاة على الشرط بكل سرور، وفجأة، بدأنَ ثلاثتهن يغزلن غُرَزًا دقيقةً جدا، واحدة تفرغت لعجلة المغزل، والأخرى لبلِّ الفتلة، والثالثة كانت تحرك بدّال المغزل، وفي نفس الوقت كُنَّ يغنِّين، وهنَّ سعيدات بالتحدث عن كم سيقضين وقتا رائعا في الزفاف، وكم سيحسدهن كل الناس على جلوسهن بالقرب من الأمير، فقط كُنَّ يصمُتْنَ ويختبئن بين لفافات الكتان، عندما يحضرون الطعام للفتاة، ولكنهن أخذن يَخِطْنَ، ودون أن يأكلن، ولا يفعلن شيئا، يواصلن الغزل، واحدة بعجلة المغزل، والأخرى تبلّ الخيط، والأخرى تحرك بدَّال المغزل. ولكنهن غزلن كثيرا جدا وبسرعة كبيرة، حتى كلف ذلك واحدة منهن ذراعها، وأصبحت كتعاء، والأخرى انتفخت شفتها وأصبحت سمينة، سمينة جدا لدرجة أنها كادت تصل إلى السقف، والأخرى شعرت بوخز شديد في قدمها، حتى إنها بذلت جهدا لتخرج من الغرفة.

عندما مرت ثلاثة أيام، أتت الملكة إلى الغرفة، ورأت كل الكتان مغزولا بأناقة وقالت:

- إذن، ستتزوجين ابني.

جاء يوم الزفاف، وقالت الفتاة إن عليها أن تدعو بنات عمّ جدتها الثلاثة، وأنهن غريبات قليلا، ولكن ليس أمامها إلا أن تدعُوهن، وأيضا عليها أن تجعلهن يجلسن إلى جانب الأمير. اعترض الملك والملكة للوهلة الأولى، قائلَيْن إن هذا لا يمكنه أن يحدث، وإنهما، وحاشية البلاط هم اللذين سيكونون إلى جانبه، لكن الفتاة أصرت، وتدخّل الأمير قائلا إن الأمر سيكون كما تقول هي.

أرسلوا في طلب المدعوات الثلاث، وعندما دخلن إلى القاعة فوجئ الأمير ومَنْ كانوا هناك. أتتْ العجائز، واحدة كتعاء، والأخرى شفتها سمينة جدا لدرجة أنها كادت تصل إلى السقف، وأخيرا الثالثة تعرج بقدمها المتورمة، وهي تتعثر في كل المدعوين. وذهبن ليجلسن إلى جانب الأمير، الذي ظل مذهولا، وسأل الأولى:

– كيف فقدتِ ذراعك؟

– من كثرة ما حملتُ المغزل يا بني.

والثانية:

– وهذه الشفة الضخمة؟

– من كثرة بَلّ الخيط يا بني.

والثالثة:

– وقدمك؟

– حسنا، ذلك لأنني أحرك بدّال المغزل كثيرا، إننا مولعات بالغزل، تماما مثل زوجتك الجميلة.

عند سماع هذا، ارتعب الأمير، ونادى على الخدم وقال لهم:

– الآن اذهبوا إلى غرفة زوجتي، وخذُوا المغزل وألقوا به في البئر، أو أحرقوه، المهم ألاّ أراه مرة أخرى!

هـ- الأميرة والراعى

(٢٣)

لغز الراعى

كان يا ما كان، كان هناك إذن يا سيدي ملك عنده ابنة، وكانت تشعر بالملل دائما، ولم يكن هناك شيء ولا أحد يستطيع تسليتها. قرر الملك أنْ يزوّجها، ونشر إعلانا يقول فيه إن مَنْ يطرح على الأميرة لغزا لا تستطيع تخمينه، سيتزوجها. ولكنه سيقتل كل مَنْ ستحل الأميرة لغزه.

جاء الأمراء والنبلاء من كل مكان ليطرحوا على الأميرة ألغازا، ولكنها حلّتْ ألغازهم كلهم، وقُتِلوا جميعا.

علم راعٍ كان يعيش قريبا من القصر بما كان يحدث وذهب وقال لأمه:

- أمي، حضّري لي الغداء لآكله في الطريق، فأنا ذاهب لأقول لغزا للأميرة، لنرى ما إذا كنت سأتزوجها.

- لكنْ يا بنى، هل أنت أحمق! قالت الأم، كيف ستقوم أنت بفعل ما فشل في فعله كبار السادة الذين جاءوا من كل مكان؟

- لا يهم يا أمي، رد الراعي، حَضّري لي الطعام، بينما أجهّز أنا الحمارة.

حزنت الأم كثيرا، ولأنها كانت تفضل أن يموت ابنها في الطريق على أن يشنقه الملك، سمّمَتْ له ثلاثة أرغفة من الخبز ووضعتْها في كيس. أخذ الراعي بندقية صيده، وركب حمارته وذهب.

وبينما هو ذاهب في طريقه، ظهر له أرنب بريّ. صوَّب بندقية الصيد نحوه، ولكنه لم يصبه. غير أنه أصاب، بدلا منه، أرنبا بريا آخر كان يمر من هناك وقتله. وعندئذ قال: "الآن لديّ جزء من اللغز: قذفت ما رأيت وقتلت ما لم أرَ". اكتشف لاحقا أن الأرنبة كانت حاملا. فتح بطنها، وأخرج الأرانب الصغيرة وسوّاها وأكلها. "إذن لديَّ جزء آخر من اللغز، فكَّر: أكلتُ المولود، الذي لم يولد ولم يكبر".

وبينما كان يأكل الأرانب الصغيرة، أكلت الحمارة كل الأرغفة الثلاثة المسمَّمة وفطست وماتت. بعد ذلك، جاءت ثلاثة غربان، وأكلت أحشاء الحمارة الميتة، مما أدى إلى موتها أيضا. وقال الراعي: "وانتهى اللغز "قتلت أمي الحمارة والحمارة قتلت ثلاثة".

وواصل مشيه وعندما وصل إلى القصر، طلب إذنا ليتحدث إلى الأميرة، ويقول إن لديه لغزا ليطرحه عليها. ومنحوه ما أراد، وعندما كان أمام الأميرة قال لها:

- قذفتُ ما رأيتُ

فقتلتُ ما لم أرَ.

أكلت المولود،

الذي لم يولد ولم يكبر.

قتلتْ أمي الحمارة

والحمارة قتلت ثلاثة.

خمِّني سعادتك ما هو حلّ اللغز.

ظلت الأميرة تفكّر وقتا طويلا، ومهما فكرت، لم تحزر ما هو. منحها والدها مهلة ثلاثة أيام، وخلال ذلك، سيعيش الراعي في غرفة من غرف القصر.

أرسلت الأميرة في أول ليلة إحدى وصيفاتها إلى غرفة الراعي، لترى ما إذا كانت ستتمكن من جعله يكشف لها حلّ اللغز. وصلت الوصيفة إلى السرير وقالت:

- أيها السينيور لتقول لي حلّ اللغز.

لم يُجِبْها الراعي لا بنعم ولا بلا، لكنه نام معها، وفي الصباح، لم يكن قد كشف سره بعد.

وفي الليلة التالية، أرسلت الأميرة واحدة أخرى من وصيفاتها، وحدث معها نفس ما حدث مع السابقة. في النهاية، حاولت الأميرة بنفسها، وقال لها الراعي إنه سيكشف لها اللغز في الصباح. لكن، عندما استيقظا، كانت الأيام الثلاثة قد مرت، وقال لها إنه ليس هناك سبب يجعله يكشف لغزه. بعد ذلك، قال الملك للأميرة:

- حسنا، لقد كسب الراعي، وبما أنني ملك، وعليَّ أن أنفذ كلمتي، ستتزوجينه في الحال.

لكن الأميرة اعترضت وقالت إنها ليست مستعدة للزواج من الراعي، إلا إذا استطاع أن يقوم بثلاث أشياء، إذا لم يفعلها، سأقتله. سأل الراعي ما هي الأشياء الثلاثة، وأجابت الأميرة:

- أولا عليك أن تأخذ مائة أرنب برى إلى الحقل وترعاها وتعود بها بعد الظهر دون أن يضيع واحد منها لمدة ثلاثة أيام. بعد ذلك سيكون عليك أن تُحبَس في غرفة بها مائة رغيف عيش وتأكلها كلها في يوم واحد. والشيء الثالث، عليك أن تفصل حبوب مائة فانيجا[1] من القمح مخلوطة بحبوب مائة فانيجا من الشعير في ليلة.

---

(١) فانيجا fanega: وحدة مكاييل للحبوب تساوى 22.5 لتر، وفى بعض المناطق 55.5، ووحدة لقياس المساحة، وتساوى0.66 هيكتار - المترجمة.

وأضافت الأميرة شيئا آخر أيضا:

- وأخيرا، عليك أن تحضر كيسا كبيرًا جدًا، مليئا بالحكايات الغير معقولة، إلى درجة أنه لا أحد سيقول إن هذا يمكن أن يكون حقيقيا.

خرج الراعي من القصر حزينا جدا، يفكّر في أن اللغز لم ينفعه في شيء، وعندما ظهرت له ساحرة، قالت له:

- لماذا أنت حزين هكذا يا رجل؟

روى لها الراعي كل ما حدث له، والأشياء التي طلبوا منه الآن أن ينفّذها، وقالت له:

- لا تتضايق من هذا، فأنا سأساعدك، خذ هذا الناي، واخرج في الصباح مع الأرانب البرية المائة، ولا تقلق من أن تركض أينما شاءت، وعندما يحلّ الليل، لن يكون عليك إلا أن تعزف على الناي، وستأتي كل الأرانب ركضا أينما كنت.

وهكذا فعل الراعي. وفي الساعة الثامنة صباحًا، ذهب مع أرانبه المائة، ولم يقلق عليها طوال اليوم، وعندما كان الليل يحل، عزف على الناي، وفي التو حضرت جميعا، ومشت وراءه إلى القصر.

وأصبحت الأميرة والجميع مذهولين وقالوا: "كيف رتبت الأمر بحيث لا تضيع ولا أرنبا بريا في الحقل؟"

في اليوم التالي، أرسل الملك واحدا من خدمه، ليأخذ منه ولو أرنبا واحدا. بدأ الخادم يقول للراعي إنه سيشتري أرنبا بمقابل سخي، وعندما قال الراعي إنه ليس لديه أي نية للبيع، وإنه لن يبيع مقابل أي شيء في العالم، قرر الملك عندئذ أن يذهب بنفسه، متنكرا في زي قروي. ولكن الراعي تعرّف عليه ولم يقل شيئا. سأله الملك كم يريد في أرنب بري، فقال له الراعي:

- لا أريد نقودا، ولكنني أريد من حضرتك أن تعطيني قبلة في مؤخرتي.

شعر الملك على الفور بإهانة، ولكن بعد ذلك فكر في أن عدم زواج ابنته من راعي غنم يستحق العناء. وحدث ما حدث، وأعطاه قبلة في مؤخرته، وأعطاه الراعي أرنبا بريا.

ولكنْ، عندما كان الملك عائدا إلى القصر ومعه الأرنب بين ذراعيه، عزف الراعي على الناي، وقفز الأرنب وخرج راكضا حيث كان الفتى.

وعندئذ قال الملك:

- حسنا، لقد اجتزتَ أول اختبار، الآن سنحبسك في غرفة بها مائة رغيف من الخبز لتأكلها في يوم واحد.

ومرة أخرى أصبح الراعي حزينا جدا، حتى ظهرت له الساحرة، وقالت له:

- لا تقلق يا رجل، فقط عليك أن تعزف على الناي، وستأتي الطيور وتأكل المائة رغيف.

وهكذا فعل الراعي، عزف على الناي، وفي التو واللحظة، دخلت من الشباك طيور كثيرة من كل الأنواع، وأكلت كل الخبز، دون أن تترك حتى أي فتات.

ثم أمر الملك بأن يحبسوا الراعي مرة أخرى مع مائة فانيجا من القمح ومائة فانيجا من الشعير، وسنرى ما إذا كان سيستطيع فصل الحبوب في ليلة واحدة. ظل الراعي حزينا مرة أخرى، لكنْ ظهرت له الساحرة وقالت له:

- اعزف على الناي ونَمْ، ولاحقا سيأتي النمل ليفصل حبوب القمح عن حبوب الشعير.

وبالفعل، عندما استيقظ الراعي في الصباح، رأى جبليْن على جانبي الغرفة، كل منهما مكون من شيء مختلف.

وهكذا حضر أمام الملك وكل البلاط الملكي، وقال إنه اجتاز الاختبارات الثلاثة.

- نعم، قال الملك، لكن يتبقى لك أن تملأ كيسا من الحكايات لا يمكن لأحد أن يصدق أنها حقيقية.

- حسنا، أجاب الراعي، إذن هذه وهذه، مشيرا إلى الوصيفتين اللتين نامتا معه، ستدخلان في الكيس، لأنني نمت معهما بدون مقابل. والأميرة أيضا، لأنني نمت معها أيضا دون أن أنفذ وعدي. وجلالتك أيضا، لأنني أعطيتك أرنبا بريا في مقابل أن تُقَبِّل...

- كفى! كفى! صاح الملك، لقد امتلأ، لقد امتلأ!

(٢٤)

الأميرة التى لا تضحك أبدًا

كان يا مكان، كان هناك ملك له ابنة لم تكن تضحك أبدًا، أمر الملك بإعلان أن مَنْ يجعل الأميرة تضحك، سيتزوجها، ولا يهمّ مَنْ يكون. جاء الراغبون في زواج الأميرة من كل مكان، إلى القصر، ليحاولوا إضحاكها. ولكنْ لم يستطع أحد أن يفعل ذلك، وتمّ وضعهم كلهم في السجن المظلم.

كان يعيش في هذه المملكة راعي أغنام له ثلاثة أطفال، كان أصغرهم اسمه خوانيُّو، وكان نصف أبله. وعندما عرفوا أن مَنْ يجعل الأميرة تضحك سيتزوجها، أراد الثلاثة أن يجربوا حظهم. ضحك الأخوان الكبيران على خوانيُّو وقالا له:

- هيا أيها الأبله، أنت الذي ستجعل الأميرة تضحك؟ أنت ستبقى هنا.

في البداية، خرج الأكبر، وعندما وصل إلى القصر، طلب إذنا ليتحدث مع الأميرة، سمحوا له، وعندما أصبح أمام الأميرة قال لها:

- أنت الجوهرة الغالية

التي لا يُضْحِكها شيء؟

وبقيت الأميرة مقطّبة، وأكمل هو قائلا:

- هل تعرفين ماذا أكلتُ أمس؟

أكلتُ حمص وحساء

في الغداء والعشاء

وقالت له الأميرة وهي جادة جدا:

- أول شيء عليك أن تفعله هو أن تكتشف نفسك.

عندئذ أجاب الراعي:

- أكتشف نفسي، نعم أنا أكتشف نفسي

لكني لا أحبك

حتى لو رفعتُ القبعة ألف مرة

ظلت الأميرة لا تضحك، وعلاوة على هذا، أزعجها آخر ما قاله. حتى إنها أرسلته إلى السجن المظلم.

عندما رأى الأخ الثاني أن أخاه لم يَعُدْ قال:

- الآن جاء دوري.

- لا يا بني، لا تذهبْ، يمكن أن يحدث لك ما حدث لأخيك الكبير، قال الأب. لكن الآخر أصر ورحل.

عندما وصل إلى القصر، طلب أن يرى الأميرة.

وعندما أصبح أمامها، قال لها:

- أنتِ الجوهرة الغالية،

التي لا يُضحِكها شيء؟

وكانت الأميرة جادة جدا، أكثر من أي وقت مضى، وأكمل الآخر قائلا:

- هل تعرفين ماذا أكلتُ أمس؟

بقضمة واحدة من فمي

أكلتُ أكبر خروف في غنمي.

قالت له الأميرة نفس الذي قالته للآخر، وحتى لم تبتسم:

- أول ما عليك أن تفعله هو أن تكتشف نفسك.

لاحظ الراعي أنه لم يرفع قبعته، فأجاب:

- أكتشف نفسي، نعم أنا أكتشف نفسي

لكني لا أحبك

لأنك تشبهين وعاء الأسمنت

وليس فقط لم تضحك، بل شعرت بالاستياء مما قاله وأرسلته إلى السجن المظلم مع أخيه وباقي الناس.

وعندما رأى خوانيُو أن أخويه لم يعودا، قال لأبيه:

- أبي، دعني أجرب حظي.

- لا يا بني، أنت نصف أبله، ويمكن أن يحدث لك أسوأ من ذلك.

لكن خوانيُو قرر أن يذهب دون علم أبيه، وخرج من البيت ذات صباح، دون أن يلاحظ.

كان خوانيُو مغرما بالجيتار، وكان يتوقف في الطريق عند أي نُزُل موجود على الطريق، ويعزف ليكسب عيشه.

وعندما كانوا يسألونه إلى أين هو ذاهب، كان يجيب:

- سأجعل الأميرة تضحك لأتزوجها.

عندئذ كانوا يضحكون ويدعونه إلى الطعام ويقولون له:

- هيا يا رجل، هذه لا يمكن لأحد أن يضحكها حتى الربّ.

وفي نُزُل، ضحكوا وابتهجوا معه، حتى إن إحدى الخادمات قالت له بعد ما قضت الليلة معه:

- ليس معي شيء أعطيه لك سوى فوطة السفرة هذه. لكنْ عندما تقول: "أيتها الفوطة، اجهزي"، وتفردها هكذا في الهواء، ستظهر على الفور مائدة مليئة بألذ وأغنى طعام في العالم.

وحدث نفس الشيء في نُزُل آخر. وبعد أن عزف على الجيتار وضحك كل الناس، وهو يقول إنه سيتزوج الأميرة، قالت له خادمة أخرى بعد أن قضت الليلة معه:

- انظرْ، ليس لدي شيء أعطيه لك، لكنْ خُذْ هذا الكوب، وعندما تقول "أيها الكوب، اجهز"، ستظهر في الحال مائدة مليئة بأفضل خمور العالم.

أكمل خوانيُو طريقه وفي نُزُل آخر بدأ يرقص، وعندما قال إنه يريد أن يتزوج الأميرة، حذروه:

- انتبه، يمكن أن ينتهي الأمر بك أنت الآخر إلى السجن المظلم، فهذه الأميرة لا يستطيع حتى الربّ إضحاكها.

وفي هذا النُزُل، قالت له خادمة أخرى:

- انظرْ يا خوانيُو. الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أعطيه لك هو هذا الجيتار، الذي عندما تعزف عليه، سيبدأ كل الناس في الرقص دون توقف، حتى تتوقف أنت.

وهكذا وصل خوانيُو إلى القصر، وطلب التحدث إلى الأميرة. وعندما كان أمامها، كان أول ما فعله هو أنه رفع قبعته، وبعد ذلك قال لها:

- أنتِ الجوهرة الغالية،

التي لا يُضحِكها شيء؟

سترين الآن كيف أنكِ مع هذه الطلقة

ستتخلصين من سحرك.

وأطلق غازات قوية جدا، إلى درجة أنها مزقت لباسه، وأظهرت مؤخرته. في هذه اللحظة، بدأت الأميرة تضحك قليلا، لكن الأب الذي كان موجودا اغتاظ وقال:

- هذا شخص مبتذل، وأنا لا أستطيع أن أزوجه لابنتي! إلى السجن المظلم!

ووضعوه في السجن، وهناك التقى خوانيُو بأخويه، وبعدد كبير من الناس غارقين في بحر من الحزن، وهزيلين جدا من قلة الطعام والشراب. عندئذ قال خوانيُو:

- ألا يحضرون لكم طعاما؟ لا تتضايقوا، سأدبر الأمر في دقيقة.

أخرج فوطته وقال لها: "أيتها الفوطة، اجهزي". وفردها فقط في الهواء، وظهرت مائدة ضخمة مليئة بأطعمة لذيذة جدا. ارتمى السجناء عليها وبدأوا يأكلون حتى شعروا بالامتلاء، وبعد ذلك بدأوا يغنون ويرقصون.

وصلت كل هذه الضجة إلى مسامع الأميرة التي سألت:

- ماذا يحدث في السجن؟

وأرسلت وصيفة لتتحقق من الأمر. دخلت هذه وقالت:

- أوه يا سيدتي، لو ترين سموّك الفوطة التي مع الأبله، وشرحت لها أنه بمجرد أن يقول "أيتها الفوطة، اجهزي"، تظهر مائدة عليها كل الطعام اللذيذ الموجود في العالم. غير معقول أن سموّك ملكة وليس لديك مثل هذه الفوطة.

- حسنا، اذهبي واسأليه كم يريد مقابلها.

ذهبت الوصيفة إلى السجن وسألت خوانيُو لكنه قال لها:

- لا أريد نقودا، قولي لسيدتك أنني سأعطيها لها إذا سمحت لي بأن أرى إصبع قدمها الكبير.

عندما قالت الوصيفة ذلك للأميرة قالت:

- أوه، يا له من فظ، كيف يتجرأ! اجعليهم يقتلونه!

لكن الوصيفة قالت لها:

- انظري سموّك يا سيدتي. يمكنكِ أن تقومي بعمل فتحة في الحذاء، ماذا يهم سموّك إذا رأى أبله إصبع قدمك الكبير؟ وستأخذين أنت الفوطة!

لم تكن الأميرة تريد هذا في البداية، لكنها فكرت في الأمر جيدا وقالت إنه لا بأس. قامت بعمل فتحة في الحذاء وجاء خوانيُو، ورأى إصبعها الكبير وأعطاها الفوطة. عندما عاد إلى السجن مرة أخرى، كان زملاؤه حزينين جدا، وقال:

- سأتدبر أمر ذلك في دقيقة.

أخرج كوبه وقال له: "أيها الكوب، اجهز". وفي التوّ واللحظة، ظهرت مائدة مليئة بالمشروبات الخمرية. هجم السجناء عليها وبدأوا يشربون حتى سقطوا سكارى، وكانوا يغنون ويرقصون حتى أن كل من في القصر استطاع سماعهم. حينئذ سألت الأميرة:

- والآن، ماذا يحدث في السجن؟

أرسلت الوصيفة مرة أخرى، وقال لها خوانيُو:

- لا أريد نقوذا، لكنْ قولي لسيدتك إنني سأهديها لها إذا تركتني أرى ركبتها.

- أوه، كم هو وقح! قالت الأميرة عندما عرفت، فليقتلوه في الحال!

- انظري يا مولاتي، ماذا سيحدث إذا رأى أبله ركبتك؟، افتحي ثقبا في الفستان وانتهى الأمر.

رفضت الأميرة ما كانت تقوله الوصيفة، لكنها وافقت في النهاية. وهكذا جاء خوانيُو، وأخرجت الأميرة ركبتها من الفتحة وسلمها الأبله الكوب. وعندما عاد إلى السجن، رأى أن السجناء كانوا حزينين جدا مرة أخرى، وقال:

- سأهتم بهذا في دقيقة.

وبدأ يعزف على الجيتار، وبطريقة ما جعل كل الناس يرقصون، حتى الحراس كانوا يرقصون ويثيرون الضجة. وصلت هذه الجلبة إلى مسامع الملك، الذي أرسل أحدا ليتقصى ويعرف ماذا كان يحدث. شرحوا له حينئذ أن لدى خوانيُو جيتارا لا يقاوم، وأن كل من يسمعه لا بد أن يبدأ في الرقص. أدرك الملك أن هذا قد يشكل خطرًا على مملكته، فأرسل ليسألوه كم يريد مقابل جيتاره. أجاب خوانيُو هذه المرة:

- قولوا للملك إنني سأعطيه الجيتار بشرط أن تجيب ابنته بلا على كل الأسئلة التي سيوجّهها إليها.

لم يكن الملك مرتاحا وذهب وحكى الأمر لابنته. ظلت الأميرة أيضا تفكر، دون أن تعرف ما إذا كان هذا في صالحها أم لا. وعندئذ قالت الوصيفة:

- أكثر شيء يمكن أن يحدث هو أن يسأل هذا الأبله سموك ما إذا كنت تريدين أن تتزوجيه وستقولين أنت لا.

حسنا، وافقت الأميرة، وجاء خوانيُو ومعه جيتاره وأعطاه لها. كان لا يزال خوانيُو في غرفة الأميرة عندما سألها:

- هل سموك تريدين أن أخرج؟

- لا، قالت الأميرة، لأنها تعهدت أن تردّ بلا على كل الأسئلة، وقال خوانيُو:

- حسنا سأبقى هنا.

بعد ذلك سألها:

- هل ستخرجين سموك من الغرفة؟

- لا.

وبقيت الأميرة مع الأبله في الغرفة. وسألها هو سؤالا آخر:

- هل ستبقى الوصيفة معنا؟

- لا

وخرجت الوصيفة، وبذلك بقي خوان والأميرة وحدهما، وظلا هناك حتى جاء الليل، وجلست الأميرة على الكرسي.

- هل ستجلسين طوال الليل على الكرسي؟

- لا

وكان على الأميرة أن تأوي إلى الفراش.

- وأنا، هل سأبقى بدون نوم طوال الوقت؟ سأل خوانيُو.

- لا، أجابت الأميرة، ودخل خوانيُو معها في السرير. وناما طوال الليل سويا.

وفي الصباح، كانت الأميرة تموت من الضحك. ولم يجد الملك حلا غير أن يوافق على العرس. وتزوج خوانيُو والأميرة وعاشا سعيدين.

(٢٥)

الناى الذى يجعل الجميع يرقصون

كان يا ما كان، كان هناك زوجان، فلاحان، وكان لهما طفلان كبيران، وطفل صغير. وعندما كان الأب يعمل في الحقل، كان الولدان الكبيران يبيعان المنتجات ويبقى الصغير مع أمه في البيت. ولهذا كان الأخوان الكبيران يحسدانه كثيرًا. وذات يوم، عندما كانت الأم ذاهبة لتقدم الطعام لزوجها الذي كان يرعى الخرفان والماعز في الجبل، ظهر لها ذئب وأكلها، ولم يترك منها إلا العظام.

وأصبح الرجل حزينًا جدًا، وكان يفكر أيضًا في كيف سيربي الابن الأصغر. قرَّر أن يتزوج للمرة الثانية. تزوج، وفي البداية، كانت زوجة الأب تعامل الولد جيدًا، ولكن بعد ذلك بوقت قليل، بدأت تسيئ معاملته، وتدعوه بالكسلان. وذات يوم، قالت لزوجها:

- على ابنك أن يصطحب الخرفان والماعز إلى الحقل، فأنت أصبحت كبيرا جدًا في السن.

بعد مرور بعض الوقت على حراسته للغنم، قابل امرأة عجوزا طلبت منه شيئا تأكله. أعطاها الصبي نصف ما كان يحمل في الكيس. وسألته العجوز:

- حسنا يا رجل وماذا تفعل أنت في مكان الذئاب؟

أجابها الصبي:

– حسنا سأقول لك، السبب أن زوجة أبي وأخواي لا يحبونني، وجعلني أبي راعي أغنام.

– وكيف حالك؟

– حزين قليلا.

– هيا يا رجل!، قالت العجوز، انظرْ، سأعطيك هذا الناي المصنوع من العظام، صنعتُه من عظمة ساق والدتك لتتسلي قليلا وحتى لا يصيبك أي مكروه. وبالإضافة إلى هذا، عندما تعزف عليه، ستبدأ كل الناس، والحيوانات، والأشياء، في الرقص، دون توقف، حتى تتوقف عن العزف عليه. الآن، أطلب مني شيئا آخر وأنا سأمنحك إياه.

وبعد أن فكر الصبي قليلا، طلب منها أن تجعل زوجة أبيه تخرج غازات كلما سعل هو.

– يا لها من خاطرة!، ضحكت العجوز، حسنا، حسنا، لك ما تريد، أريد أن أكون موجودة لرؤية ذلك.

بدأ راعي الغنم يعزف فور رحيل العجوز، وبدأت الخرفان والماعز ترقص وتقفز عاليا.

وكلما عزف أكثر، كانت الحيوانات ترقص بمزاج أكثر. وهكذا قضى كل اليوم، واليوم التالي، والذي بعده، ولم يصبح الغنم نحيفا من الرقص، ولكن على العكس، كان يصبح أسمن كل يوم.

ذهب رعاة البقر الآخرون، الذين رأوه، ليحكوا لعائلته. وعندئذ فكر الأخوان، اللذان أصبحا حقودين أكثر من ذي قبل، في حيلة. ولأنهما يعرفان كل بائعي تلك المناطق. اتفقا مع شخص يبيع خزفا وبلورا لكل أهل القرية، وجعلاه

يمر من حيث كان أخوهم يرعى غنمه، واقترب منه وقال له إنه لا يصدق حكاية الناي الذي يجعل الجميع يرقصون. وقال له الصبي:

- إذن سترى الآن.

وبدأ الصبي يعزف، وفي الحال بدأت البغال التي كانت تحمل الخزف والبلور ترقص، وهكذا لم يتبق ولا طبق ولا كوب واحد سليم. وذلك ما جعل الرجل يقدم الصبي إلى القاضي، ولكنْ عندما انعقدت الجلسة، بدأ الراعي يعزف أيضا، وبدأ كل من القاضي وحراس الباب والمحابر يرقصون في القاعة. وحتى زوجة القاضي، التي كانت مريضة وتلازم الفراش، قامت وأخذت ترقص. كان كل الناس سعداء للغاية، وعندما توقف الراعي عن العزف، كان على القاضي أن يبذل جهدا كبيرًا ليعود جادا مرة أخرى، وقال لوالده:

- سيكون من الأفضل أن تأخذه من هنا، وألا ترسله إلى الحقل مرة أخرى، لأنه إذا حدث هذا مجددا، سيقع في ورطة.

جعله أبوه يبيع هو الآخر أيضًا مثل أخويه.

وذات يوم، أصدر الملك إعلانا رسميا يقول: إن ابنته ستتزوج، وستفعل هذا مع مَنْ يسعد حياتها، ويجعلها تأكل وتضحك، فهي دائما حزينة ولا تريد أن تأكل.

قال الابن الأكبر للفلاح إنه سيجرب حظه، وتقدَّم إلى القصر ومعه كيس به تفاح.. أجمل تفاح في المنطقة، ليرى ما إذا كان سيعجب الأميرة، كما أنه سيحاول إضحاكها بالمرة. وعندما كان يمشي في طريقه، قابل امرأة عجوزا سألته:

- إلى أين أنت ذاهب بهذا الكيس وماذا تحمل بداخله؟

- أنا ذاهب إلى مكانٍ لا شأنَ لك به، وأحمل فئران.

- إذن سيتحول إلى فئران - قالت المرأة العجوز.

عندما وصل الأخ الأكبر إلى القصر قال إنه أحضر أجمل تفاح، لكنه، عندما فتح الكيس، بدأت الفئران تخرج وتجري في كل أنحاء القصر، حتى أن الملك أمر بالقبض عليه وضربه علقة لا بأس بها قبل أن يعيدوه إلى بيته.

في اليوم التالي، أرسل الأب ابنه الثاني إلى قصر الملك، ومعه كيس به برتقال كبير جدا. وفي الطريق، قابل المرأة العجوز التي سألته:

- إلى أين أنت ذاهب بهذا الكيس وماذا تحمل بداخله؟

- أنا ذاهب إلى مكانٍ لا شأنَ لكِ به، وأحمل عصافير.

- إذن سيتحول إلى عصافير.

وعلى هذا فعندما فتح الصبي الكيس الذي معه، ولم يخرج سوى عصافير، أعتقد الملك أنها سخرية أخرى وأرسله ليُجلّد قبل أن يعيدوه إلى والده.

وهكذا ذهب الابن الأصغر، ومعه كيس به كمثرى. وفي الطريق، قابل المرأة العجوز، وبما أنهما قد تعارفا من قبل، تحادثا لبرهة من الوقت. وأيضا سألته ماذا يحمل وإلى أين هو ذاهب، وقال لها الصبي الحقيقة:

- أنا ذاهب ومعي كيس به كمثرى رائعة لأرى ما إذا كانت ستعجب الأميرة وتُسعد لها حياتها.

- إذن ستتضاعف كميتها، قالت العجوز.

وعندما وصل الصبي إلى القصر، أراد أن يفتح الكيس أمام الملك وابنته، لكنه رغم رغبته الشديدة في فتحه، لم يستطع إخراج الكمثرى، لأنها كانت محشورة جدّا لأن كميتها تضاعفت. كان الملك قد بدأ يفكر في أنها مزحة أخرى، وعندما تذكّر الفتى نايه، بدأ يعزف عليه وبدأت الكمثرى تخرج وهي تتقافز وترقص أمام

كل الناس، وبدأ الجميع، بما فيهم الملك وابنته، يرقصون ويضحكون في سعادة، وهم يقفزون بين الكمثرى ثم توقف الصبي عن العزف وقال الملك:

- أنتَ جعلت ابنتي تضحك، ستتزوجها.

جاء وقت الاحتفال بالزفاف، ودعوا الأب وزوجته أيضًا إلى الوليمة، وعندما كان الجميع يأكلون، بدأ الصبي يسعل وزوجة الأب تخرج الغازات أمام الجميع. أحمرّ وجه الأب خجلا وكلما كان يلفت انتباه زوجته كانت تقول له:

- لا أستطيع أن أمنع نفسي، لا يمكنني التوقف.

غضب الملك من كثرة الغازات، وأرسل زوجة الأب إلى السجن مؤقتا. أما الأميرة والراعي، فقد عاشا العديد من السنين يضحكان ويرقصان كما يشاءان.

و- عجائب الدنيا الثلاث

(٢٦)

عجائب الدنيا الثلاث

كان هناك ملك عنده ثلاثة أطفال. عندما أصبح عجوزا، مرض جدا، وقال له الأطباء إنه لكي يشفي، يجب أن يُحضروا له عجائب الدنيا الثلاث.

قال له الابن الأكبر:

- أبي، دعني أذهب بحثا عن عجائب الدنيا الثلاث.

فأجابه الأب:

- لا يا بني، لا يمكن، فأنت مَنْ سيرث التاج.

ولكنه أصر كثيرًا، حتى وافق الأب على أن يذهب للبحث عن عجائب الدنيا الثلاث.

ذهب الابن الأكبر ليبحث عن عجائب الدنيا الثلاث، وفيما كان يسير في طريقه وجد كهف لصوص، أخذوه ووضعوه في كهفهم ولم يستطع الخروج من هناك.

وهكذا عندما مر الكثير من الوقت، ولم يعد الابن الأكبر، قال الابن الأوسط:

- أبي، بما أن أخي لم يعد، أعطني الإذن بالذهاب للبحث عنه؛ ولأرى ما إذا كان قد وجد عجائب الدنيا الثلاث.

قال له الأب:

- لا يا بني، لا يمكن، بما أن أخاك لم يَعُدْ، فعليك أنت أن ترث تاجي.

ولكنه توسل إليه حتى سمح له بأن يذهب ليبحث عن أخيه، وعن عجائب الدنيا الثلاث.

وذهب، ولكنْ حدث له نفس ما حدث لأخيه الكبير. مر بنفس كهف اللصوص، وأخذوه ووضعوه في الكهف مع أخيه.

قضيا سنينا وسنينا، وعندما وجدوا أن الأخوين الكبيرين لا يعودان، قال الأصغر لأبيه:

أبي، أخواي الكبيران لم يعودا. من فضلك اسمحْ لي بأن أذهب لأبحث عنهما وعن عجائب الدنيا الثلاث.

وأجابه الأب:

- لا يا بني، مستحيل، فإن لم يَعُدْ أخواك، فأنت مَنْ سيرث التاج. لا يمكنني أن أسمح بهذا.

بدأ الابن الأصغر يبكي ويقول: لماذا سيرغب إذن في أن يرث التاج إذا لم يَعُدْ أخواه، ولم يشف أبوه من مرضه.

وافق الأب فذهب ليبحث عن أخويه وعن عجائب الدنيا الثلاث.

مشى ثم مشى، حتى وصل إلى كهف، كان هذا كهف الهواء. خرجت امرأة عجوز، وهي أمّ الهواء، وقالت له:

- كم من الشر يتمنى لك مَنْ أرسلك إلى هنا!

وأجابها هو:

- أنا أسير هنا بحثا عن عجائب الدنيا الثلاث.

فقالت له العجوز:

- إذن ادخلْ واختبئ هنا، فإذا جاء الهواء، ابني، سيلتهمك.

كان بالكاد قد اختبأ حيث قالت له العجوز، حين وصل الهواء وقال:

- أشمّ رائحة لحم بشري! أين هو لأبتلعه؟

أجابته العجوز:

- يا بني، هذا شاب جاء ليبحث عن عجائب الدنيا الثلاث لمعالجة أبيه.

قال الهواء:

- لاَ يمكنني أنا أن أفعل ذلك، ليذهب! فقط يمكن لأختي الشمس، التي تنتشر في جميع الأنحاء، أن تعطيها له. ليذهبْ وليقلْ لأختي الشمس: إنني أنا الذي أرسلتُه لتساعده في البحث عن عجائب الدنيا الثلاث.

وفي اليوم التالي، رحل الصبي باحثًا عن كهف الشمس. وبعد أن مشى أيامًا عديدة بلياليها، وصل إلى كهف الشمس وطلب استضافته. خرجت له نفس المرأة العجوز وقالت له:

- مَنْ أرسلك إلى هنا يريد بك السوء.

وأجابها هو:

- جئتُ إلى هنا بحثا عن عجائب الدنيا الثلاث لأعيد لأبي صحته.

فوضعته العجوز في ركن وقالت له:

- ابقَ هنا، لأنه عندما تصل ابنتي الشمس، ستحرقك.

ووصلت الشمس وقالت:

- أشمّ رائحة لحم بشرى! أين هو لأحرقه؟

- يا ابنتي، قالت العجوز، هذا صبي مسكين، أرسله إلى هنا أخوكِ الهواء ليبحث عن عجائب الدنيا الثلاث لمعالجة أبيه.

حينئذ قالت الشمس:

- إذن ليخرجْ ويرحلْ، لأنني لا أستطيع مساعدته. أخي القمر هو الوحيد الذي يمكنه إعطاءها له. ليذهبْ وليقلْ له: إنه آتٍ من طرفي.

وهكذا رحل الفتى في اليوم التالي ليبحث عن كهف القمر. عبر الكثير من الممالك دون أن يستطيع الوصول، إلى أن وصل، بعد السير أياما كثيرة بلياليها، إلى كهف، وسأل ما إذا كان هذا كهف القمر.

وخرجت نفس المرأة العجوز التي ظهرت من قبل وقالت له:

- مَنْ أرسلك إلى هنا يريد بك السوء.

- جئتُ إلى هنا لأبحث عن عجائب الدنيا الثلاث لأعالج أبي.

قالت له العجوز:

- حسنا، اختبئ في هذا الركن، فإذا جاء ابني القمر ورآك هنا سيلتهمك.

وصل القمر ساطعًا في السماء وقال:

- أشمّ رائحة لحم بشري! أين هو لألتهمه؟

فقالت له العجوز:

- لا يا بني؛ هذا مجرد صبي آتٍ من طرف أختك الشمس.

حينئذ قال القمر:

- إذا كان آتيا للبحث عن عجائب الدنيا الثلاث ليعالج والده، فليخرج، فقط أخي ملك الطيور هو مَنْ يستطيع إعطاءها له. فهو ينتشر في أرجاء كل العوالم. ليذهبْ وليقلْ له إنه آتٍ من طرفي.

رحل في اليوم التالي مرة أخرى، وبعد المشي، وصل إلى كهف، يسكن فيه ملك الطيور.

وخرجت العجوز التي تخرج دائما وقالت له:

- مَنْ أرسلك إلى هنا يريد بك السوء.

قال لها:

- جئتُ أبحث عن عجائب الدنيا الثلاث لأعالج أبي.

وقالت العجوز:

- سأضعك في هذا الركن، لأنه إذا وصل ابني ملك الطيور، ورآك، سيلتهمك على العشاء.

جاء ملك الطيور وهو يقول:

- أشمّ رائحة لحم بشري! أين هو، لألتهمه على العشاء؟

- لا، لا، يا بني، قالت له العجوز؛ انظرْ، إنه صبي مسكين آتٍ من طرف أخيك القمر، بحثا عن عجائب الدنيا الثلاث ليعالج والده.

-.إذن فليرحلْ، لأنني لن أستطيع إعطاءها له. طيوري، التي تنتشر في كل أنحاء العالم، هي الوحيدة التي تعرف هذا.

ذهب الجميع للنوم، وأعطوا الصبي سريرا ليقضي الليلة عليه.

وفي اليوم التالي، ذهبوا مبكرا جدا، ليوقظوا الصبي وناداه ملك الطيور وقال له:

– انظرْ، سأنادي على زوج من كل نوع من الطيور، وستقف أنت وسطها وتسألها ما إذا كانت تعرف أين توجد عجائب الدنيا الثلاث. يجب أن تقول لها "أيتها الطيور التي تسافر حول العالم، هل يمكن أن تعطيني معلومات عن عجائب الدنيا الثلاث؟" وإذا لم تُجِبْ بعد ثلاث مرات، فهي لا تعرف.

ووصلت كل طيور الدنيا التي ناداها ملك الطيور. وكان الصبي يقف بين كل زوج يصل ويسأله:

– أيتها الطيور التي تسافر حول العالم، هل يمكن أن تعطيني معلومات عن عجائب الدنيا الثلاث؟

ولكن لم يستطع أحد الإجابة لأنها لا تعرف. وكان ينقصها نسر أعرج لم يصل بعد. عندما وصل، قال له ملك الطيور.

– يا نسري الصغير، لماذا تأخرت هكذا؟

فقال:

– لأنني كنتُ آكل من عجائب الدنيا الثلاث.

حينئذ قال ملك الطيور للصبي:

– ها هو من سيُريك أين تجد عجائب الدنيا الثلاث.

وقال للنسر الأعرج:

– هل تجرؤ على أخذ هذا الشاب حيث توجد عجائب الدنيا الثلاث؟

– نعم يا سيدي، قال له النسر الصغير؛ ولكنّ عليه أن يعطيني لحما في الطريق.

فاشترى الصبي لحما كثيرا وقتل حصانه، وصعد على ظهر النسر ومعه كل هذا اللحم، وخرج النسر طائرا إلى الأرض التي توجد بها عجائب الدنيا الثلاث، ومن حين لآخر كان النسر يقول:

- لحمًا، لحمًا، أريد لحمًا!

وفي كل مرة يقول فيها هذا، كان الصبي يعطيه قطعة لحم. وعندما كانوا على وشك الوصول إلى البحر، أعطاه آخر قطعة لحم. وعندما وصلوا إلى البحر، قال النسر:

- لحمًا، لحمًا، أريد لحمًا!

قال لها الصبي:

- لقد انتهى اللحم. انتظر قليلا سأقطع لك جزءا من مؤخرتي.

قال له النسر:

- لا أريد لحمًا بشريًا. انتزع ريشة من جناحي الأيمن وألقها في البحر.

أخرج الصبي الريشة ورماها في البحر. وعبرا البحر، ووضعه النسر على ممر وقال له:

- في هذه القلعة التي تراها هناك توجد عجائب الدنيا الثلاث.

ثم مشى هو وحده في اتجاه القلعة ووصل إلى بيت. طرق الباب وخرجت سيدة سألته عما يبحث. عندما قال لها الصبي: إنه كان يبحث عن نُزُل لقضاء الليلة لأنه كان يمشي باحثًا عن عجائب الدنيا الثلاث، قالت له المرأة:

- أوه يا إلهي! أنا عندي نُزُل جميل!

- ماذا بك؟ سألها.

عندئذ قالت المرأة:

- انظرْ يا سيدي، جثة زوجي موجودة تحت السلم لأنني ليس لدي خمس عملات لدفنه.

حينئذ قال لها الصبي:

- أنا عندي مئتا ريال لتدفني زوجك.

ودفنوا المتوفى، وذهب الصبي في اليوم التالي إلى طريق القلعة.

عندما وصل إلى باب القلعة، خرجت ثعلبة لاستقباله وقالت له:

- انظرْ، ادخلْ في الصالة. يوجد هناك عصفور، وقفص، وسيدة، وسرير، وحصان في إسطبل، بعيدًا. ومن كل هذا، اخترْ شيئًا واحدًا فقط.

وهكذا دخل وكان سعيدا جدا ورأى ما قالته له الثعلبة. ذهب ليأخذ العصفور فقال له القفص:

- هل ستأخذ العصفور بدون القفص؟

كان سيخرج ومعه شيئين حينما خرج لملاقاته العملاق الذي يحرس القلعة وصرخ:

- خيانة في القلعة، إن عجائب الدنيا الثلاث تسرق.

خرجت عساكر العملاق، أخذوه، ووضعوه في الزنزانة، وضربوه علقة قوية، ووضعوا معه بعض الأسود لتلتهمه. وعندما أصبح في الزنزانة، خرجت له الثعلبة مرة أخرى وقالت له:

- ألمْ أقل لك اخترْ شيئا واحدا فقط؟ انظرْ، يمكنني أن أساعدك ثلاث مرات فقط ليس أكثر.

أخرجته من الزنزانة وقالت له أن يدخل مرة ثانية ويفعل كما قالت له، دخل وأخذ السيدة. وعندئذ قالت له السيدة:

- هل ستأخذني دون فساتيني؟

أخذ هو الفساتين أيضا؛ لكن، عندما جاء ليخرج من الباب، خرج له العملاق مرة أخرى وصرخ مثل المرة السابقة:

- خيانة في القلعة، إن عجائب الدنيا الثلاث تُسرق!

وأخذوه مرة أخرى وضربوه علقة قوية ووضعوه في الزنزانة مع الأسود. وظهرت له الثعلبة مرة أخرى. أخرجته من الزنزانة وقالت له:

- يمكنني أن أساعدك مرة واحدة أخرى. ادخلْ الآن في الإسطبل وخذ الحصان؛ لكن لا تركبْه.

دخل الصبي الإسطبل، وأخذ الحصان، وقال له السرج:

- ستأخذ الحصان وتتركني؟

وقال هو:

-لا، لن آخذ أكثر من شيء واحد.

خرج بالحصان فقط، وهو خارج من الإسطبل، كان السرج على الحصان، وكان العصفور في القفص، وكانت السيدة مرتدية فستانا. ركب حصانه، أخذ السيدة والعصفور ومشى بحصان، وسيدة، وعصفور، وهي عجائب الدنيا الثلاث.

في الطريق الذي كان ماشيًا فيه، قابل أخويه الاثنين. عندما رأياه ومعه عجائب الدنيا الثلاث، أخذاها منه وتركاه وحيدا في الدنيا. ذهبا هما، وسلما الثلاث عجائب لوالدهما، الذي شفي من مرضه. سألهما الأب إنْ كانا يعلمان شيئا عن

أخيهما الأصغر. قالا له: إنه وفقا للأخبار التي لديهما يمشي في الدنيا يسرق ويقتل. حينئذ أرسل الملك كتائب لإحضاره حيا أو ميتا. ووجدوه ووضعوه في الزنزانة. ولأن أخويه قالا: إنه كانَ لصا وقاتلا، كانوا سيشنقونه. ولكنْ حينئذ ظهرت الثعلبة في شكل رجل، وصرحوا لها بالكلام وقالت: إن الصغير هو مَنْ بحث عن عجائب الدنيا الثلاث.

ثم حكى الابن الأصغر لأبيه كل الذي حدث، وكيف قابله أخواه الكبيران في الطريق، وأخذا منه عجائب الدنيا الثلاث. وقال المتوفى: إن الابن الأصغر أعطى المال لزوجته لتدفنه، ولهذا ساعده، وجاء الآن مرة أخرى ليساعده، لكنه لا يستطيع أن يبقى وقت أطول في الأرض واختفى.

حينئذ قال الأب لابنه الأصغر: إنه سيحرم أخويه من العرش، لأنهما سيئان وكاذبان، وأنه هو الذي سيرث التاج. وتزوج الابن بالسيدة وأصبحا ملكا وملكة.

(٢٧)

زهرة الليليلا

حسنا يا سيدي، كان هناك ملك عنده ثلاثة أطفال. وذات يوم، عندما كان الكل سعداء، أصيب الملك بمرض في عينيه وبدأ يُصاب بالعمى. قال الأطباء إن هناك شيئا واحدا فقط يمكنه أن يشفيه، وهذا الشيء هو زهرة الليليلا. ولكن لم يكن أحد يعرف أين توجد هذه الزهرة. أرسل الملك أولاده الثلاثة للبحث عن الزهرة في كل مكان، وقال لهم: إن مَنْ يأتي له بالزهرة سيرث تاجه.

خرج الأول، وهو الابن الأكبر، على حصانه، وقابل في الطريق، عجوزا فقيرة طلبت منه خبزا، وقال لها هو بطريقة سيئة:

– ابتعدي عن طريقي، أيتها المشعوذة العجوز.

وواصل طريقه، ولكنْ سرعان ما أصابه سوء الحظ. فقد تعب كثيرا من المشي من ناحية إلى أخرى دون الوصول إلى أي مكان، وعندما أراد الرجوع عائدا، كان الوقت قد تأخر كثيرا.

وعندما وجدوا أن الأخ الكبير قد تأخر في العودة. خرج الأوسط على حصانه بحثا عن الزهرة. قابل أيضا الفقيرة العجوز التي طلبت منه خبزا وأجابها بنفس طريقة أخيه الأكبر:

- ابتعدي عن طريقي أيتها المشعوذة العجوز.

وواصل متقدمًا، لكنه تاه أيضًا.

وعندما رأى الأخ الأصغر أن أخويه لم يصلا، أخذ حصانه وخرج ليجرّب حظه. وقابل الفقيرة العجوز التي طلبت منه خبزا فأعطاها الصبي رغيفا كاملا من الخبز، ثم سألته العجوز:

- عمَّ تبحث يا بني؟

- أبحث عن زهرة الليليلا لعلاج أبي المريض.

وقالت له السيدة العجوز:

- إذن خذ هذه البيضة واكسرها على صخرةٍ سوداء ستجدها في طريقك. ستُفتح الصخرة وستظهر حديقة جميلة جدا يحرسها أسد. إذا كانت عينا الأسد مفتوحتين، فسيكون نائما، ويمكنك المرور؛ وإذا كانتا مغمضتين، فهو مستيقظ.

بعد مسافة قصيرة، وجد الأمير الصخرة السوداء. تهشمت البيضة وفُتحت الصخرة، وظهرت حديقة جميلة جدا، كانت توجد فيها زهرة الليليلا، وكانت بيضاء ومشرقة ورائحتها رائعة. تأكد الأمير من أن عيني الأسد مفتوحتين. مر من جانبه وأخذ الزهرة بهدوء.

وفي طريق عودته، قابل أخويه الاثنين، جالسين على جانب الطريق، متعبين من اللفّ دون الوصول إلى أي مكان. في البداية، سعدا جدًا لمعرفة أن الصغير معه زهرة الليليلا، وبدآ يركبان الخيل معه. ولكنْ بعد ذلك، فكرا في أنهم إذا قتلوه وأخذوا منه الزهرة، سيتقاسمان المملكة. وهكذا قتلاه، وأخذا الزهرة منه ودفناه. ولكنهما لم ينتبها إلى أنهما تركا إصبعا خارجا. وتحول هذا الإصبع إلى قصب

سكر وتصادف مرور راعي غنم من هناك، قطع القصبة وصنع نايا. وعندما عزف عليه، رنت أغنية كانت تقول:

أيها الراعي، لا تعزف عليّ،

ولا تتوقف عن العزف عليّ،

فقد قتلني أخواي

من أجل زهرة الليليلا.

واصل الراعي العزف حتى وصل إلى القرية. ثم وصلت الأغنية إلى مسامع الملك، الذي استعاد نظره بالزهرة، وأرسل في طلب الراعي. وطلب منه الناي ليعزف عليه، وكانت الأغنية تقول:

أبي، لا تعزف عليّ،

سيكون عليَّ أن أعلن،

أن أخوي قتلاني

من أجل زهرة الليليلا.

حينئذ فهم الملك ما حدث. وذهب راكضا إلى المكان الذي وجد الراعي فيه القصب، وأخرج ابنه المدفون، الذي بُعِثَ إلى الحياة. أرسل الملك ابنيه الكبيرين إلى المنفى وعيّن الأصغر وريثا وحيدا له.

(٢٨)

المِهَن الأربع

يُحكَى أنه كان هناك زوجان عندهما أربعة أطفال، وكانوا جميعا فاسدين للغاية. لم يكونوا يفعلون شيئا غير إهدار المال، إلى حد أنهم تسببوا في إفلاس عائلتهم. وكان آخر ما تبقى لهم مكيال من القمح. طحنه الأب وصنع من العجينة أربعة أرغفة عيش. وأعطى رغيفا لكل واحد من أبنائه. وقال لهم:

- هذا آخر شيء تبقّى لي. عليكم أن تبحثوا عن حياتكم، وأن تتعلموا مهنة خلال سنة.

خرج الأربعة وفي نهاية الطريق وجدوا أربعة ممرات. سار كل واحد منهم في ممر.

تعثّر الأخ الأكبر في عصابة من اللصوص قالوا له:

- هل تعجبك المهنة؟

أجاب:

- ليست سيئة.

وهكذا بقى معهم وتعلم أن يكون لصا محترفا.

قابل الثاني مجموعة من الصيادين. وحدث معه نفس الذي حدث للأول، وتعلم أن يكون قوّاسا بارعا.

مر الثالث على ضيعة ورأى سمكريا يعمل في كوخ. بقى معه وتعلم كيف يكون سمكريا جيدا.

جاء الليل، وكان الأصغر لا يزال لم يجدْ عملا. وفجأة رأى ضوءا آتيا من بعيد، وكان هذا بيتا. نادى ففتحت له امرأة عجوز قالت له:

- مَنْ الذي يتمنى لك كل هذا الشر ليرسلك إلى هنا.

أجاب:

- حظي الجيد أو السيِّئ.

- آه يا بني! يوجد هنا عملاق يحرسني ويأكل كل مَنْ يأتي إلى هنا.

- حسنا يا جدتي، قال الفتى، في كل الأحوال سأموت هنا من البرد والجوع.

حينئذ قالت العجوز:

- حسنا، اُدخلْ. سأخبِّئك في مكان لن يراك فيه.

ولكن خلال هذا دخل العملاق وقال:

- أشمّ رائحة لحم بشرى! إذا لم تعطيني إياه، سأقتلك!

خرج الفتى حتى لا يتسبب في الأذى للعجوز المسكينة، وقال له العملاق:

- ماذا تفعل هنا؟

فحكى الصبي حكايته كلها فتعاطف العملاق معه وقال له:

- كُلْ واذهبْ إلى السرير، وغدا سنتحدث.

عندما جاء الصباح، أعطى العملاق الفتى كتابا وقال له:

- خذ هذا الكتاب وذاكرْ. خلال سنة ستذاكر أكثر وتصبح حكيما عظيما.

وقد كان.

حان وقت العودة إلى البيت، وتقابل كل الإخوة هناك مرة أخرى. وعندما كانوا كلهم مجتمعين، قال الأب للابن الأكبر:

- أي حرفة تعلمت؟

- أنا، لص.

- وأنت؟ سأل الثاني..

- أنا، قوّاس.

- وأنت؟ سأل الثالث.

- أنا، سمكري.

- وأنت؟ سأل الأصغر

- أنا، حكيم.

حينئذ سأل الأب الحكيم:

- ما هو الشيء الموجود في الركن، الذي لم يكن موجودا عندما رحلتم؟

أجاب الصبي:

- عش طائر السنونو وأربع بيضات.

- رائع، قال الأب. والآن جاء دورك، قال للص

- اذهبْ وخذ بيضة دون أن يشعر السنونو.

ذهب الأكبر وأخذ البيضة دون أن يشعر السنونو وسلمها لأبيه. فقال للقوّاس:

- اِرمِ هذه البيضة رمية تقسّمها عشرة أجزاء.

وهذا ما فعله للقوّاس. ثم قال للأخير:

- إذا كنتَ سمكريا جيدا، أصلحْ هذه البيضة دون أن يبدو عليها شيء.

وترك السمكري البيضة في حالة رائعة ووضعها في العش مرة أخرى. وعاد الأب مرة أخرى للحكيم، وقال له:

- لنرَ ما إذا كنت تعرف أين ابنة الملك، التي فُقِدَتْ ولم يجدها أحد.

- أنا أعرف، قال الأصغر. هي في البحر تأسرها حشرة طائرة.

في اليوم التالي، ذهب الإخوة الأربعة في سفينة لإنقاذ الأميرة. قال الحكيم:

- هل ترون هذه الكتلة الكبيرة؟

- نعم نراها، أجابوا.

- ابنة الملك موجودة هناك.

ذهب اللص لإنقاذها، عندما كانت الحشرة نائمة، وكان عائدا إلى السفينة عندما استيقظت الحشرة وطارت نحوهم لتلتهمهم. فأعطاها القوّاس ضربة وقتلها، ولكنْ سقطت الحشرة على السفينة وحولتها إلى حطام. فأصلحها السمكري، وبعدما انتهوا، ذهب الأربعة إلى قلعة الملك ليسلموا له البنت. وعندما رأى الملك ابنته بصحة جيدة وآمنة، قال:

- مَنْ الذي سيتزوجها؟

أجاب اللص:

- أنا، الذي أنقذها.

وقال القوّاس:

- أنا، فلولاي، لكانت الحشرة قد أكلتنا كلنا.

وقال السمكري:

- أنا، فإذا لم أصلح السفينة، لغرقنا.

ثم قال الحكيم:

- أنا، فبدوني لما كنتم استطعتم فعل ما فعلتموه.

ثم تدخل الملك:

- إذا فلتَختَرْ ابنتي مَنْ تَريد.

فقالت الابنة:

- سأتزوج الحكيم.

بدأ الآخرون يتذمرون وقال الملك:

- سأعطيكم الكثير من المال وسأعيّنكم في مناصب مرموقة في القلعة. أتوافقون؟

وبعد الكثير من التفكير قالوا نعم. وأخذوا أبويهم إلى القلعة ومنذ تلك اللحظة أصبحوا سعداء جدًا.

(٢٩)

أشياء پـدرو الثلاثة

كان ياما كان، كان هناك أخوان، پدرو وخوان، رحلا ذات يوم، هائمين في الدنيا، ليكسبا قوتهما. ووصلا إلى مكان ينقسم فيه الطريق إلى اثنين، وقال پدرو لأخيه:

– الآن سنفترق؛ أنت تذهب من هذا الطريق، وأنا من ذاك. وسنجتمع مرة أخرى يوم الأحد لنرى ما إذا كنا وجدنا سيدًا.

افترقا. وعندما عبر پدرو جبلا، قابل سينيورا سأله ما إذا كان يريد أن يصير خادمه؛ وأنه سيخدمه لثلاثة أيام فقط وسيجعله غنيا إلى الأبد.

وافق پدرو وأخذه السينيور إلى كهف؛ وأشار إلى شمعة كانت تحترق فوق صخرة وقال له:

– عندما تنتهي الشمعة وتتجه نحو الفراش، اتبعها واذهب للنوم.

واختفى السينيور.

عندما اتجهت الشمعة نحو الفراش، اتبعها پدرو وذهب لينام. بعد وقت قليل بدأ يسمع ضوضاء قوية جدا وشعر بالخوف. وقال پدرو:

– عندما تشرق الشمس سأرحل من هنا؛ لا يمكن لأحد احتمال هذا.

عندما جاء النهار، ظهر أمامه السينيور وأعطاه عجة بيض وزجاجة نبيذ، وقال بدرو:

- أنا راحل؛ لا يمكن احتمال هذه الأصوات التي حدثت الليلة الماضية.

- كما تريد، قال السينيور؛ ولكن إذا مشيت لن أدفع لك أي شيء مقابل الليلة التي قضيتها.

أكل بدرو العجة، وشرب النبيذ وقال:

- ياه! بما أن الأكل هكذا والهدوء موجود مثل الآن، فيمكنني البقاء في هذا الكهف.

جاء الليل، وترك السينيور الشمعة مشتعلة لبدرو مثل المرة السابقة. وبمجرد أن ذهب لينام، بدأت الضوضاء وقال:

- أنا سأرحل من هنا بمجرد شروق الشمس؛ لا يمكن لأحد احتمال هذا.

جاء الصباح وأعطى السينيور لبدرو عجة بيض وزجاجة نبيذ. وقال له بدرو:

- أنا راحل؛ هذا غير محتمل.

- إذا رحلت، لن أدفع لك شيئا مقابل الليلتين اللتين قضيتهما هنا. تتبقى ليلة واحدة تقضيها لتصبح غنيا.

بدأ بدرو يأكل العجة ويشرب النبيذ، وقال:

- بما أنني آكل جيدا ويوجد هدوء، يمكنني أن أبقى هنا.

وعندما حلّ الظلام، حدث له نفس ما حدث في الليلتين الماضيتين، تابع الشمعة وذهب لينام. وسمع أصوات سلاسل وصوتا يقول:

- آي، أنا أسقط!

وظل يقول هذا مرات عديدة "آي، أنا اسقط!"، حتى أن پدرو قال له:

- أُسقُطْ عليك اللعنة!

وسقطت رِجْلان لرَجُل.

- آي، أنا أسقط! - عاد الصوت يكرر.

- فلتسقط من أجل سان خوان.

وسقط الجسم!

- وليسقط ما تبقى، اسقطْ، اسقطْ.

وسقطت الرأس. تجمعت أجزاء الجسم البشري تلك وكونت سينيورا. وهو نفس السينيور الذي أتى بدرو إلى هنا. وقال السينيور:

- ولأنك كانت لديك الجرأة على قضاء ثلاث ليال هنا فقد فككتَ سحري؛ والآن سأعطيك ثلاثة أشياء ليس لها مثيل في الدنيا. خذ هذا الحزام! به تستطيع أن تجني قدر ما شئت من الأموال، ومهما أخذت، لن ينفد أبدا. خذ هذا السيف! معه ستنتصر على كل من يحاربك مهما كان عددهم. خذ هذا اللحاف! ولن يكون عليك إلا أن تقول "أيها اللحاف خذني إلى ذلك المكان"، وستجد نفسك في المكان الذي تريد.

غادر پدرو وهو مسرورا جدا بأشيائه الثلاثة وذهب ليجتمع مع أخيه في المكان المتفق عليه، وسأله:

- هل أصبح لديك سيد يا خوان؟

- نعم وأنت؟

- كان عندي وتركته.

وأراه الحزام وبه المال، وسأله خوان:

- مَنْ سرقت؟

- لم أسرق أحدا؛ لقد حصلت عليه مقابل خدمتي لشخص لا أعرف مَنْ هو.

وبدأ بدرو يُخرج عملات معدنية ويعطي أخاه. وأعطاه كثيرا، لدرجة أن خوان قام ببناء قصر واشترى أراضي وغنما كثيرا.

مشى بدرو بلحافه من قرية إلى أخرى، يصرف المال ببذخ. وصل إلى مسامع الملك أن بدرو لديه حزام، وسيف، ولحاف، وأمر باستدعائه إلى القصر. ذهب إلى هناك وقال له الملك:

- إذا أعطيتني أشياءك الثلاثة، سأعطيك ابنتي كزوجة.

- يمكنني أن أعطيك هذه الأشياء، لأن ابنتك هي التي سترثك، وهكذا ستعود إليَّ مرة أخرى، وكل شيء سيظل في بيته.

سلمه الأشياء الثلاثة، لكن الملك لم يسلِّمه ابنته. وعندما وجد نفسه موضع سخرية، رحل إلى حيث لا يعرفه أحد، ودخل إلى بيت سينيور ليعمل بستانيا. كان بدرو يعمل جيدًا جدًا في وظيفته. جاء موسم الحصاد وقال له سيده:

- لا تأكل من هذه الكمثرى ولا من هذا التين: وكُلْ كما يحلو لك من الثمار الأخرى.

وقال بدرو:

- لماذا لا يريد سيدي أن آكل من هذه الكمثرى؟ أنا سآكل واحدة.

أكلها وأصبح له قرن. وعندما رأى نفسه بالقرن، قال:

– أنا بالفعل عندي قرنان؛ ماذا يمكن أن يحدث لي أسوأ من هذا؟ لأرى ما هي نتيجة كل هذا، سآكل ثمرة من التين.

أكلها، واختفى القرن. حينئذ قال:

– هذه ملكي!

كان لبدرو حبيبة تعمل خياطة، طلب منها أن تصنع له كيسين صغيرين. وضع في واحد منهما دستة كمثرى وفي الثانية دستة تين وطلب الحساب من سيده. واشترى بالمال الذي أعطاه له بذلة طبيب وحفظها في الحقيبة.

وذهب إلى قصر الملك ليرى ما إذا كانوا سيشترون دستة الكمثرى. ولأنها كانت جيدة جدا، اشتروها ووضعوها على السفرة في ذلك اليوم. وأكل الملوك منها وظهرت لهم قرون مُريعة.

وعندما جاء الخدم لينزعوا غطاء المائدة، وجدوا الملك، والملكة، والأميرة وقد أصبحت لهم قرون.

بدأ الأطباء يصلون من كل صوب وحدب ولم يستطع أحدٌ منهم أن ينزع تلك الأشياء من رؤوس أسرة الملك.

زارهم بدرو مرتديا بذلة الطبيب، ذهب إلى القصر وقال إنه يتعهد بأن يشفي كل المرضى الموجودين هناك. أخذوه أمام الملك، فحص رأسه جيدا وقال:

– كيف لم ينزع لك الأطباء هذين القرنين يوم وُلدت؟ فهي الآن صلبة وليس من السهل نزعها. ومع ذلك، أنا أتعهد بأن أنزعها لك إذا أعطيتني حزاما عندك.

– اطلب قدر ما تريد، قال الملك؛ ولكن لن أعطيك الحزام.

– فلتبق إذا بالحزام والقرنين.

حينئذ قالت الملكة للملك:

- أنتَ متعلق جدا بالمال. أتُفَضّل أن تبقى أيّلا على أن تبقى بدون الحزام؟

سلمه الملك الحزام. وطلب بدرو كوبا من الماء وألقى التين فيها. وغطس القرنين في الماء، وأعطوا الملك ثمرة التين مقطعة إلى أجزاء صغيرة أخذ يأكلها واختفى القرنان.

ثم فحص قرني الملكة وقال لها:

- سأنزعهما لك إذا أعطاني الملك السيف الموجود عنده.

رفض الملك إعطاءه السيف، لأنه وسيلة دفاعه. وقالت الملكة:

- لأنك لم يَعُدْ لديك قرنان، تريد أن أبقى أنا بالقرنين؟

أعطاه الملك السيف وقام بدرو بنفس الإجراء الذي اتبعه مع الملك ونزعها لها. وفي هذه الأثناء جاءت الأميرة تبكي وتتوسل لبدرو أن ينزع لها قرنيْها.

- سأنزعهما لك، قال بدرو؛ ولكن لأنزعهما لا بد أن تضعي نفسك في الفناء على اللحاف الذي يملكه والدك.

فرشت الأميرة اللحاف في الفناء وجلست فوقه. وجلس بدرو بجانبها وقال:

- أيها اللحاف، اذهب إلى روما!

وفي الحال كانا يتوقفان في روما. وهناك قال بدرو للأميرة:

- إذا تزوجتِني سأنزع لك القرنين.

وافقت، وقبْل أن يتزوجا بقليل، أعطاها بدرو ثمرة تين لتأكلها، حتى لا يكون لها قرنان عندما تصبح زوجته. بعد ذلك ذهبا ليعيشا في قصر أخيه، وعاشا سعيدين، وأكلا طيور الحجل، وأنا ضرباني بعظم الطيور على أنفي.

(٣٠)
الحمار الذي يُخْرِج نقودًا

كان هناك أب عنده ثلاثة أطفال. وكانوا فقراء جدًا. وذات يوم، قال الأكبر إنه سيذهب ليكسب قوته. وصل إلى قرية، بعيدة جدا، وقابل سينيورًا، واتفق معه على أنه سيعطيه، خلال ثلاثة أعوام، حمارا يُخْرِج نقودا. ليس عليه إلا أن يقول له: "أيها الحمار، أخْرِجْ نقودا"، وسيُخرج بقدر ما يُطلَب منه.

ثم مرت الأعوام الثلاثة، وأعطاه سيده الحمار. ورحل الصبي ومعه الحمار إلى قريته. وصل إلى نُزُل وطلب العشاء، وأعطى الحمار عشاءه. وفي صباح اليوم التالي، سأل صاحبة النُّزُل عن الحساب. وبعد أن أخبرته، ذهب إلى الحظيرة:

– أيها الحمار، أخرجْ نقودا.

أخرج الحمار ثلاث عملات. لكن صاحبة النُّزُل كانت تشاهده. أخذها، وعندما كان يعطي الحساب للسيدة، بدلت له الحمار بآخر يشبهه تماما. ووصل الابن الأكبر إلى بيت أبيه وقال له:

– الآن سنصبح أغنياء! لقد أحضرتُ حمارا يُخْرِج نقودا.

وبدأوا يتناولون العشاء. ثم قال له الأب بعد ذلك:

– هيا، لنرى هذا الحمار الجميل الذي أحضرتُه!

خرجوا إلى الحظيرة، وبدأ يقول:

- أيها الحمار أخرجْ نقودا.

وبما أنه لم يكن نفس الحمار الذي كان عنده، فإنه لم يُخْرِجْ شيئا. وأغضب هذا إخوته كثيرا.

- اللعنة على ما أحضرت لنا! قال الأخ الأوسط، هذا حمار سيئ جدا! يا إلهي، بعد قضاء ثلاث سنوات هناك، أحضرتَ ما يكفي! إذن أنا سأذهب الآن.

وذهب ووجد مائدة صغيرة، ولم يكن عليه إلا أن يقول: "أيتها المائدة، اجهزي"، فتتألف المائدة من كل ما يشتهى أكله. مضت سنة، وأعطاه سينيوره المائدة. وعاد إلى بيت أبيه. ولكنه في الطريق وصل إلى نفس النُزُل الذي ذهب إليه أخوه. طلب غرفة له وحده. وضع المائدة وجلس يتعشى وحده. كانوا يراقبونه من فتحة الباب وقالوا:

- لديه كل الأصناف على هذه المائدة.

- وقال السيد للسيدة:

- أنتِ أعطيتِه هذا الطعام؟

قالت السيدة:

- أنا، لا.

- إذن فإنه يتناول عشاءه.

- لا بد أنه هو الذي أحضره.

في صباح اليوم التالي، طلب الصبي حساب الغرفة. لكن ذهب السيد وأخذ منه تلك المائدة ووضع بدلا منها أخرى تشبهها. عندما وصل إلى أبيه قال له:

- أنا كنت أفضل من أخي، فأنا أحضرتُ مائدة تعطيني كل ما أطلبه.

- هيا هيا لنرى.

فتح المائدة وحدث معه نفس الذي حدث للحمار: ولم تعطه شيئا. وقال له أخوه:

- هل أقمت في ذلك النُزُل؟

- نعم، لقد أقمت هناك.

- إذن فلا بد أنهم فعلوا بك ما فعلوه بي.

وقال الأخ الأصغر:

- أنتم لا تُحضرون شيئا وتقولون إنكم أحضرتم الكثير! الآن سأذهب أنا وسنرى ما إذا كنتُ سأحضر أكثر أم أقلّ منكم.

رحل ووصل إلى قرية. وبقي في بيت سينيور من أجل شيء واحد: عصا تقول لها: "أيتها العصا، اُخرجي من الجعبة" وعندما تَخرُج العصا تضرب كل من حولها. وقضى ثلاثة أشهر. وبعد ثلاثة أشهر أعطاه سيده العصا.

وفي طريق العودة إلى بيت والده، قضى ليلة في نفس النُزُل الذي أقام فيه أخواه. وفي صباح اليوم التالي، طلب الحساب، وقال:

- أنا لن أدفع لكم. ما تطلبونه كثير. أنا لم أستهلك كل هذا.

- عليك أن تدفع لنا.

أخذ صاحب النُزُل عصا وكان سيضربه. وقال هو:

- "أيتها العصا، اُخرجي من الجعبة" وإذا لم تعطوني "الحمار الذي يُخرج نقودا" وهو حمار أخي، و"المائدة الجاهزة"، سأدمر كل شيء.

وكان عليهم أن يعطوه كل شيء، بعد أن ضربتهم العصا علقة. ومشى في الطريق وهو يقول:

لقد كان لي حظ أفضل من أخويَّ. الآن أستطيع أن أقول إنني جنيتُ في ثلاثة أشهر أكثر مما جنيا هما في أربعة أعوام.

وصل إلى بيت أبيه ونادى على أخويه:

- هل هذان هما الشيئان اللذان سرقوهما منكما؟

أجاب أخواه بأنهما هما الشيئان المسروقان. وأصبح الأب سعيدا جدا وقال:

لنرَ ما إذا كنت قد أفلحت.

وبدأوا:

- أيها الحمار، أخرج نقودا!

وبدأ الحمار يُلقي نقودا.

- أيتها المائدة، اجهزي!

وأصبحت هناك مائدة كبيرة يمكن أن يأكل منها الجميع.

- وأحضرتُ أيضا شيئا آخر، ليس عليك إلا أن تقول: "أيتها العصا، اُخرجي من الجعبة"، وإذا لم تضعها في الداخل مرة أخرى، يمكنها أن تضرب كل الحي.

- فلنرَ، قال أحد أخويه، فأنا لا أصدق، وقال: "أيتها العصا، اُخرجي من الجعبة"، وأول واحد ضربته كان مَنْ قال هذا نفسه، وإذا لم يطلب منها الأصغر أن تتوقف، لكانت اشتبكت مع الأخ الآخر أيضا وحتى مع الأب نفسه.

وهنا تنتهي الحكاية بالخبز والفلفل، وأنا أدخل من ثقب وأخرج من آخر.

(٣١)

الفتاة ذات الأزواج الثلاثة

كان هناك أب عنده ابنة في منتهى الجمال، ولكنها كانت حازمة جدًا وعنيدة. تقدم ثلاثة عرسان من الشبان الأكثر وسامة ليطلبوا منه يد ابنته؛ وأجاب بالموافقة على أي من ثلاثتهم، وقال: إنه سيسأل ابنته أيهم تفضّل.

وهكذا فعل، وأجابته الفتاة بأنها توافق على الثلاثة.

- لكن، يا ابنتي، هذا ليس ممكنا.

- أختار الثلاثة، أجابت الفتاة.

- تحدثي بعقل، يا ابنتي، قال لها الأب مرة أخرى، لمَنْ فيهم أعطى الموافقة؟

- للثلاثة، أجابت الفتاة مرة أخرى؛ ولم يستطع أحد إقناعها بغير ذلك.

ذهب الأب المسكين محبطا، وقال للمتقدمين الثلاثة إن ابنته تحب الثلاثة؛ ولكنْ، لأن هذا لم يكن ممكنا، قرر هو أن يذهبوا في كل أنحاء الدنيا ليبحثوا ويُحْضروا شيئا فريدا من نوعه، ومن يُحْضر أفضل وأندر شيء سيتزوج ابنته.

بدأوا الطريق، كل على حدة، وبعد مرور الكثير من الوقت، تجمعوا من جديد، فيما وراء البحار، في بلاد بعيدة، دون أن يجد أحد منهم شيئا جميلا وفريدا

من نوعه. وفيما كانوا يعانون هذه المحنة، ودون أن يتوقفوا عن محاولة الحصول على ما يبحثون عنه، قابل أول مَنْ وصل منهم عجوزا سأله ما إذا كان يريد أن يشترى مرآة.

أجابه بالرفض، فهذه المرآة الضئيلة والقبيحة جدا لن تفيده بشيء.

حينئذ قال له البائع إن لهذه المرآة ميزة كبيرة، وهي أنه يُرَى فيها الأشخاص الذين يرغب صاحبها في رؤيتهم؛ وبعد أن تأكد من صدق ما قاله، اشترى المرآة ودفع له ما طلبه.

أما ثاني شاب وصل، فقد مر من طريق وقابل نفس العجوز، الذي سأله ما إذا كان يريد شراء قارورة من البلسم.

- فيمَ سينفعني هذا البلسم؟ سأل الشاب العجوز.

- الرب يعلم، أجاب هو، فلهذا البلسم ميزة عظيمة، فهو يبعث الموتى إلى الحياة.

في هذه اللحظة، تأكد من صحة هذا الكلام عندما مرت من هناك جنازة، فذهب إلى التابوت، وألقى نقطة من البلسم في فم المتوفى، فأفاق وهو في حالة جيدة جدًا، وخرج مستعدًا من تابوبته وذهب إلى البيت، وعندما رأى المتقدم الثاني هذا، اشترى البلسم من العجوز مقابل ما طلبه.

بينما كان المتقدم الثالث يتمشى على شاطئ البحر غارقا في مشاكله، رأى سفينة كبيرة جدا آتية على الأمواج، وعندما اقتربت من الشاطئ انفتحت وخرج عدد لا يُحصى من الركاب يقفزون منها إلى البرّ.

آخرهم، كان عجوزا، واقترب منه وسأله ما إذا كان يريد شراء هذه السفينة.

- لماذا يمكن أن أريدها؟ أجاب المتقدم، فلا يمكنها أن تنفعني إلا في عمل محرقة كبيرة.

- لا يا سيدي، أجاب العجوز، فهذه السفينة لها ميزة رائعة، حيث يمكنها في ساعات قليلة أن تأخذ صاحبها وكل من معه وتبحر بهم أينما أرادوا؛ هذا

حقيقي، ويمكنك أن تتأكد من هؤلاء الركاب، الذين كانوا في شواطئ إسپانيا منذ ساعات قليلة.

تأكد الشاب واشترى السفينة ودفع لصاحبها ما طلبه.

في اليوم التالي، تجمَّع الثلاثة وحكى كل منهم، راضيًا جدًا، أنه وجد ما أراد، وأنه سيعود إلى إسپانيا.

حكى الأول كيف اشترى مرآة يرى فيها، بمجرد الرغبة، الشخص الغائب الذي يريد رؤيته؛ وليثبت ما قاله أتى بمرآته ورغب في رؤية الفتاة التي تقدم لها ثلاثتهم.

ولكن كم كان مُفْزِعا أن يروا الفتاة ترقد في تابوتها ميتة!

– أنا لديَّ، صاح الذي اشترى القارورة، بلسم سيبعثها إلى الحياة؛ ولكن من هنا حتى نصل إلى هناك ستكون دُفِنَتْ وأصبحت طعاما للدود.

– إذن فأنا لديَّ، قال بدوره من اشترى السفينة، سفينة ستوصلنا إلى إسپانيا في ساعات معدودة.

حينئذ ركضوا للإبحار بالسفينة وفي خلال ساعات قليلة قفزوا إلى البرّ ومشوا إلى القرية التي يوجد فيها والد الفتاة.

ووجدوه في حالة لا عزاء له فيها بسبب موت ابنته، التي كان لا يزال جثمانها حاضرا.

وطلبوا منه أن يأخذهم لرؤيتها، وعندما كانوا في الغرفة التي يوجد فيها التابوت، اقترب منها الشاب الذي معه البلسم، وألقى بعض القطرات على شفتي المتوفاة، التي قامت من تابوتها في حالة جيدة جدا ومبتسمة، وعادت إلى أبيها وقالت له:

– أرأيتَ يا أبي كيف كنتُ أحتاج إلى الثلاثة؟

ز- الفتاة المطاردة

(٣٢)
الفتاة التي بدون ذراعيْن

كان هناك حطاب، وكان عليه أن يذهب كل يوم إلى الجبل ليُحضر الحطب لينفق على زوجته وعلى ابنتهما الجميلة جدا. وذات يوم، خرج له رجل من وراء شجرة بلوط وقال له:

- إذا أعطيتني ابنتك، سأجعلك أغنى رجل في الدنيا.

وليُثبت له هذا، أعطاه كيسا مليئا بالعملات الذهبية. عاد الرجل إلى بيته وحكى لزوجته ما حدث له. ففرحت جدا عندما رأت النقود الكثيرة، وقالت إنه حتى إذا كان هو الشيطان نفسه، ستسلِّمه ابنتها.

في اليوم التالي، ذهب الحطاب ليتحدث مع رجل الجبل، الذي كان الشيطان، واتفقا على أنه سيأتي ليأخذ الفتاة ساعة القيلولة. وهذا ما حدث. استغلَّ الشيطان أن الفتاة كانت نائمة، وحملها على حصانه وأعطى الأبوين كيسا آخر من العملات الذهبية. ثم غادر راكضا. وعندما استيقظت الفتاة، ورأت أنها مع رجل غريب، رسمت علامة الصليب. حينئذ غضب الشيطان كثيرا، وأوقف حصانه، وقطع بسكينه ذراعي الفتاة حتى لا تستطيع أن ترسم علامة الصليب مرة أخرى. وبعد ذلك، جردها من ملابسها، وعلقها على شجرة البلوط وتركها هناك.

قريبا جدا من هذا المكان، كان يوجد قصر الملك. وذات يوم، نُظِّمت رحلة صيد، ووجد كلاب الملك الفتاة التي بدون ذراعين. منذ ذلك الحين، كانت الكلاب

تحمل إليها الطعام الذي يقدمونه لها في القصر، حتى أنها أخذت تزداد نحافة. وقال ابن الملك:

– لماذا تزداد كلابي نحافة باستمرار؟ هل الخدم لا يعطونها طعامًا؟

ولكن الخدم قالوا إنهم يعطونها، حينئذ قال الملك، إنه يجب مراقبة هذه الحيوانات. وذهب بنفسه وراءها، وهكذا اكتشف الفتاة الجميلة المعلقة على الشجرة. وأمر بإنزالها على الفور وأخذها إلى القصر.

وبعد قليل، قال ابن الملك لأبويه إنه يريد الزواج بالفتاة التي بدون ذراعين. قال الأبوان إنه سيكون من العار أن يتزوج بامرأة ليس بإمكانها أن تربِّي أطفاله. ولكن الفتى قال إن هذا لا يهمه، فلديهم خدم. وتزوج الفتاة التي بدون ذراعين.

وبعد فترة قصيرة، مات الملك. ورث الأمير التاج، وأصبحت زوجته ملكة. ولكن سرعان ما أُعلِنَتْ الحرب، وكان على الملك الجديد أن يذهب إلى القتال. وأثناء وجوده في الحرب، أنجبت زوجته توأمين مثل نجمين ساطعين وأرسلوا إلى الملك رسالة لإبلاغه. ولكنْ حصل عليها الشيطان في منتصف الطريق، ووضع رسالة أخرى تقول إن الملكة أنجبت وحشيْن. وكتب الملك رسالة أخرى قال فيها: "ربُّوهما حتى أعود". ولكن الشيطان أخذ الرسالة مرة أخرى وكتب رسالة تقول: "خذي التوأمين واذبحيهما في الحال".

عندما قرأت الملكة الجواب، أخذت تبكي، وفكرت في أنها لن تقتل طفليها مقابل أي شيء في الدنيا. حكت لحماتها ما حدث، وساعدتها هي على الهرب. وضعت لها جرابين على كتفيها، ووضعت التوأمين فيهما، كل واحد منهما في جانب.

بدأت الفتاة تمشي في طريقها، ومشت، ثم مشت، حتى شعرت بالجوع والعطش، تماما مثلما شعر بهما طفلاها. اقتربت من راع وراعية كانا هناك قريبين

منها، وطلبت منهما أن يضعا طفليها لترضعهما، كل واحد منهما في ناحية من ثدييها. وهكذا فعلا. ثم وضعاهما مرة أخرى في الجرابين. وسألتهما أين يمكنها أن تشرب، وقال لها الراعيان إن هناك جدول مياه قريبا جدا، ويوجد بعده بقليل بيت يمكن أن تبقى فيه.

وصلت الفتاة إلى جدول المياه وانحنت لتشرب. ورغم أنها كانت حذرة قدر ما استطاعت، سقط منها الطفلان في الماء، وعندما أرادت أن تأخذهما حتى لا يغرقا، ظهر لها ذراعان و بيهما استطاعت أن تنقذ طفليها.

وواصلت طريقها مرة أخرى، وعندما كان الليل على وشك أن يخيم، ظهر ضوءٌ خافت، ومشت وراءه. وصلت إلى بيت لم تجد فيه أحدا، وبقيت لتعيش هناك هي وولداها.

بعد بضع سنوات، كان الملك قد عاد من الحرب، وكان يصطاد في تلك الأنحاء، وعندما جاء الليل. رأى ضوء البيت واتجه نحوه. وبمجرد أن فتحت له الفتاة، شعر أنه كان يعرفها من قبل، ولكنه لم يقل شيئا. جلس ليأكل معهم، وفي أثناء ذلك كانت المرأة تحكي له حكايتها، لكنه هو لم يقل شيئا. لم يفعل الطفلان شيئا غير النظر إليه وهو أيضا، وعندما أمعن النظر فيهما وفي أمهما. قال أخيرا:

- لو لم يكن لديك ذراعان...

وواصل تناوُل طعامه. وبعد قليل، قال لها مرة ثانية:

- لو لم يكن لديك ذراعان..

كانت المرأة قد أعدت كعكة للحلوى، وفي داخلها، وضعت خاتم الزواج، وعندما وجده هو، فهم في الحال أن هذه كانت زوجته وأن هذين كانا طفليه. احتضنهم، وعاد الجميع سعداء إلى القصر، حيث عاشوا سعداء لسنين طويلة جدا.

(٣٣)
الفساتين الثلاثة

كان هناك زوجان، وكان قد مر عليهما العديد من السنين دون أن ينجبا. وأخيرًا، رُزِقا بابنة، لكن الأم ماتت أثناء الولادة. طلبت الزوجة من زوجها قبل أن تموت، ألَّا يتزوج مرة أخرى، إلا إذا تزوج بواحدة مثلها.

مر الوقت، وظلت الطفلة تكبر أكثر، وتصبح أكثر جمالا وأكثر شبها بأمها. حتى وقع أبوها في حبها، وبما أن زوجته طلبت منه ألا يتزوج إلا من واحدة تشبهها، ذهب وقال لابنته إنها لا بد أن تتزوجه.

ذهبت الفتاة، وحكت لجارتها ما قاله لها أبوها، وقالت لها جارتها:

– قولي لأبيك إنك ستتزوجينه إذا أحضر لكِ ثلاثة فساتين؛ واحد منها مصنوع من الشمس، والثاني من القمر، والثالث من النجوم.

وهذا ما فعلته الفتاة. وافق الأب وخرج في رحلة البحث عن الثلاثة فساتين. ذهب إلى كل مكان، دون أن يستطيع العثور عليها كما طلبت ابنته. وذات يوم، قابل الشيطان في طريقه، وحكى له حكايته. وحينئذ قال الشيطان:

– أنا سأعطيك هذه الفساتين، بشرط أن تكون روحك ملكي عندما تموت.

قبل الرجل الاتفاق. استلم الفساتين الثلاثة وحملها إلى ابنته. وبما أنه نفَّذ ما طلبته منه، كانا على وشك أن يرتِّبا للعُرس. ولكن الفتاة ذهبت لتستشير جارتها فنصحتها بأن تهرب إلى الجبل، وقالت لها إنها ستصحبها. وهكذا، دون أن يراهما أحد، هربتا من البيت، وذهبتا إلى الجبل. ولكن الجارة تركت الفتاة وحدها وعادت إلى البيت.

وبعد أن مشت كثيرا، وصلت الفتاة إلى كهف بعض الرعاة. طلبت منهم ملابس راعية، وواصلت طريقها، وهي تحكّ صدرها وذراعيها. وذات يوم، وصلت إلى قصر، طرقتْ الباب، وطلبت منهم معروفا أن يأخذوها عندهم كخادمة. ولأنهم أشفقوا على حالتها المُزْرية وافقوا، وسألوها عن اسمها وقالت هي خوانا. وهكذا دخلت القصر كخادمة.

ذات مرة، كانوا سيقيمون حفلا كبيرا جدا، يدوم لمدة ثلاث أيام، ليستطيع الأمير أن يختار عروسا. طلبت خوانا إذن أن تذهب إلى الحفل الراقص. وعندما جاءت الليلة الأولى، ذهبت إلى غرفتها، وخلعت ملابس الراعية وارتدت فستان الشمس الذي أهداه لها والدها. وعندما دخلت الحفل، أطال ابن الملك النظر إليها، واختارها للرقص. ظلّ يرقص معها طول الليل دون أن ينتبه للأخريات، اللاتي كن يَمُتْنَ من الحقد. أُغرم ابن الملك بخوانا، أخذها إلى المائدة ليأكلا، وأهداها خاتما ذهبيا. ولكنْ في الساعة الثالثة فجرا، قالت هي إن عليها أن تغادر، وطلبت منه أن ينتظرها للحظة عند باب القصر. ثم، لأنها كانت تعيش في نفس القصر، ذهبت إلى الداخل حتى وصلت إلى المطبخ دون أن يراها أحد. وارتدت ثيابها الرثة مرة أخرى، وفي اليوم التالي، قالت للملكة في المطبخ:

– ألا تعرفين يا سيدتي ما حدث ليلة أمس في الحفلة؟

– ماذا حدث؟ سألت الملكة.

- كان الأمير يرقص طول الليل مع أميرة جميلة جدا، وكانت ترتدي فستانا من الشمس، أكل معها، وأهداها خاتما.

- ومن أين أتت هذه الأميرة؟

- لا أحد يعلم، أجابت خوانا. ذهبت تركض في الفجر من الحفل دون أن يراها أحد أو يعرف أي شيء عنها.

ذهبت الملكة وسألت ابنها ما إذا كان ما قالته خوانا حقيقيا وأجاب بنعم.

في الليلة الثانية من الحفل، تمنّى الأمير أن يرى هذه الشابة مرة أخرى. وأخيرا ظهرت خوانا، التي ارتدت هذه المرة فستان القمر. وبدت للأمير أجمل حتى من الليلة السابقة، ووقع في حبها أكثر. وظلا يرقصان معا طول الليل مرة أخرى، ولكنْ في الساعة الثالثة فجرا، اختفت خوانا مثل الليلة السابقة.

وفي اليوم التالي، حكت للملكة ما حدث وسألت الملكة ابنها مجددا. وقال لها إن هذا حقيقي، لكنه كان حزينا جدا.

وفي الليلة الثالثة ارتدت خوانا فستان النجوم لتذهب إلى الحفل، وحدث مثل ما حدث في المرتين السابقتين مجددا. ولكنْ رآها الأمير جميلة جدا وكان متيما بها، لدرجة أنه سقط مريضا في الفراش في اليوم التالي. لم يكن يريد أن يرى أحدا ولم يأكل ولم يفعل أي شيء. وأخيرا، بعد أن ألحت عليه أمه كثيرًا، قال إنه يشتهي أكل كعكة. نزلت الملكة ركضا إلى المطبخ لتصنعها له، ولكن خوانا قالت لها:

- إن أردتِ سعادتك، يمكنني أن أصنعها أنا، فأنا أعرف كيف أصنعها جيدا جدا.

- أنت، أيتها البائسة؟ أجابت الملكة. كيف ستقومين أنتِ بعمل كعكة للأمير؟

- مولاتي، دعيني أصنعها من فضلك، ولن تندمي.

قبلت الملكة وبدأت خوانا تُعِدُّ الكعكة. ودون أن تنتبه الملكة وضعت خوانا الخاتم الذي أهداه لها الأمير أول ليلة في العجينة. وضعت العجينة في الفرن، وعندما استوت الكعكة، كانت الملكة نفسها مسرورة. لكن، بينما كانت تصعد السلالم إلى غرفة الأمير، فكرت في أنه من الأفضل أن تقول له إنها هي التي صنعتها، حتى لا يشمئز من خوانا.

وبمجرد أن قطع الكعكة، وجد الأمير الخاتم الذهبي وقال:

- أمي، قولي لي الحقيقة. مَنْ صنع هذه الكعكة؟

ولم يكن أمام الأم إلا أن تقول له:

- خوانا هي التي قامت بذلك، يا بني، خادمة المطبخ.

أمر الأمير بأن يُحضروها في الحال، لكن خوانا كانت قد ارتدت فستان النجوم وكانت موجودة في الغرفة. عرفها الأمير، وأصبح بصحة جيدة فورا. وطلب منها أن تتزوجه، وتزوجا وعاشا في سعادة.

وتوتة توتة... فرغت الحدوتة!

(٣٤)
النجمة الذهبية

كان هناك أرمل، عنده ابنة كانت قد أصبحت شابة صغيرة وجميلة جدا. وكانت تسكن، أمامهما، أرملة لديها ابنة أيضا، ولكنها كانت قبيحة جدا. وكانت الأرملة تقول دائما لابنة الأرمل:

- اسمعي يا ماريا، لماذا لا تذهبين وتطلبين من أبيك أن يتزوجني؟ وهكذا ستصبحين أنت وابنتي صديقتين جيدتين وسأعطيك أنا شوربة العسل.

ذهبت ماريا وقالت لأبيها:

- أبي، تزوجْ جارتنا، لكي تعطيني شوربة العسل.

- لا يا ابنتي، أجاب الأب... ستعطيك في البداية شوربة عسل وبعد ذلك شوربة نكد.

لم تقتنع الفتاة كثيرًا، وألحَّت كثيرا، حتى وافق أبوها في النهاية على أن يتزوج الأرملة.

وبعد أن عاشوا معًا قليلاً، بدأت زوجة الأب تسيئ معاملة ماريا. أجبرتها على أن تقوم بعمل كل شيء: الذهاب لجلب الماء، والغسيل، والتنظيف، وكانت تتركها دائما عند كومة الرماد، في حين أنها لم تكن تدع ابنتها تفعل شيئا. قالت ماريا ذلك لأبيها فأجابها:

– لقد قلت لك، في البداية ستعطيك شوربة عسل ثم بعد ذلك شوربة نكد.

ذات يوم، أمرتها زوجة أبيها أن تغسل جبلا من الثياب المليئة بالقذارة، بقطعة صغيرة فقط من الصابون. وأعطتها أيضا وعاء شوربة لتأكله وقالت لها:

– عندما تعودين، عليك أن تُحضري كل الثياب في منتهى النظافة، ورطلين من الصابون، والوعاء مليئا بالشوربة.

ذهبت ماريا إلى النهر وهي حزينة جدا، لكنها قابلت، في الطريق، امرأة عجوزا سألتها:

– لماذا تبدين حزينة جدا هكذا يا ابنتي؟

بدأت ماريا تبكي وحكت لها ما كان يحدث معها. عندئذ قالت لها العجوز:

– لا تغضبي. خذي هذا السلة وضعي فيها الثياب والصابون. ثم كلي الشوربة وبعد ذلك انظري إلى السماء. عندئذ سأمنحك ثلاث هبات: عندما تمشطين شعرك، سيسقط لؤلؤ؛ وعندما تضحكين، ستسقط ورود، وعندما تضعين يدك في جيبك، ستجدين دائما نقودا.

فعلت الفتاة كل ما قالته لها العجوز. وعندما رفعت رأسها لتنظر إلى السماء، وضعت لها نجمة من الذهب على جبينها، وعندما نظرت إلى السلة مرة أخرى، كانت الثياب ناصعة البياض، بالإضافة إلى رطلين من الصابون. وعندما شربت وعاء الشوربة، امتلأ مرة أخرى في الحال.

أخذت الفتاة الأشياء وذهبت إلى البيت. وعندما رأتها زوجة الأب قادمة وقد فعلت كل ما طلبته منها وعندها نجمة ذهبية على جبينها، سألتها كيف حصلت على هذا. وحكت لها ماريا كل شيء: بداية من لقائها بالعجوز، إلى أن عادت إلى البيت. نادت الأم، وكانت حسودة جدا، على ابنتها وقالت لها:

- غدا ستذهبين إلى النهر ومعك الثياب لتعودي بنجمة ذهبية على جبينك.

في اليوم التالي، أعطت زوجة الأب لابنتها كوما من الثياب، لكن ليست قذرة، إنما نظيفة، ولذا انتبهت العجوز لما كان يحدث. قابلت ابنة زوجة الأب العجوز، وقالت لها العجوز كل الأشياء بشكل خاطئ؛ عليها أولا أن تنظر إلى السماء، ثم تشرب وعاء الشوربة، ثم تضع الثياب والصابون في السلة. وهكذا فعلت ابنة زوجة الأب، وبمجرد أن نظرت إلى السماء، سقط ذيل حمار على جبينها وظل هكذا. وعندما ذهبت لتأكل، كان الوعاء فارغا؛ ثم كانت الثياب سوداء ولم يكن هناك صابون في أي مكان. ولهذا كان عليها أن تذهب إلى بيتها تبكي، وظلت تبكي، وأخذت تزداد قبحا، بذيل الحمار هذا على جبينها.

عندما رأتها أمها قادمة، اغتاظت جدا، ومنذ تلك اللحظة قررت أن تعامل ماريا أسوأ فأسوأ وأن تُبقيها دائما عند كومة الرماد كي لا يراها أحد. ولكن الناس صاروا ينادونها "النجمة الذهبية"؛ والثانية "ذيل الحمار"، ويضحكون عليها.

وذات يوم، كان على الأب أن يذهب في رحلة طويلة جدا، وسأل بنتيه ماذا تريدان أن يُحْضر لهما. طلبت منه ذيل الحمار أن يحضر لها فستانا، وحذاءً، وقبعة من الريش. قالت النجمة الذهبية إنها تريد فقط أن يُحْضر لها غصنا من أول شجرة تقابله في الطريق.

رحل الأب، وعند أول شجرة رآها، ذهب وقطع غصنا واحتفظ به. في المدينة، اشترى كل الأشياء التي طلبتها منه ابنة زوجته. وهكذا عندما عاد، أعطى كل واحدة من ابنتيه ما طلبت.

بعد ذلك بقليل، في قصر الملك، بدأت إقامة حفل راقص يستمر ثلاث ليال، حتى يستطيع الأمير أن يختار عروسا يتزوجها. عندئذ زينت زوجة الأب ذيل الحمار جيدا جدا، بالفستان، والحذاء وقبعة الريش، بينما ألقت للنجمة الذهبية العدس في الرماد، وقالت لها إنها لن تخرج من هناك حتى تنظفه، إضافة إلى أنها تركتها

محبوسة. لكن النجمة الذهبية أخذت غصن الشجرة، الذي أحضره لها أبوها، والتي كانت عصا الفضائل السبع، وقالت:

- يا عصا الفضيلة، بالقوة التي تملكينها، اجعلي العصافير تأتي لمساعدتي.

وفي الحال ظهرت عصافير كثيرة ونظفوا لها العدس في لحظة. بعد ذلك، طلبت من عصا الفضائل السبع فستانا من الفضة بدانتيل، وحذاء من الذهب؛ لتذهب إلى الحفل الراقص. وعلى الفور كان كل شيء موجوذا؛ ارتدت ثيابها وخرجت من المدخنة.

عندما وصلت إلى القصر، حدق الأمير فيها وطلب منها أن يرقص معها رقصة. ثم أخرى، وظلوا هكذا طول الوقت، لدرجة أنه ظل يراقصها طول الليل دون أن يعير اهتماما للأخريات. أغرم بالنجمة الذهبية، وطلب منها أن تتزوجه. ولكن النجمة الذهبية قالت له إنها ستجيبه لاحقا، لأن الوقت تأخر جدا ويجب أن تذهب. أراد الأمير أن يصطحب النجمة الذهبية إلى بيتها، لكنها استغلت لحظة سهو منه واختفت.

عندما وصلت إلى البيت، قالت لعصا الفضائل السبع:

- يا عصا الفضيلة، بقوتك، أعيديني إلى حالتي السابقة.

وفي اللحظة والتو عادت بثيابها القذرة وكل شيء كالسابق.

وصلت ذيل الحمار وأمها من الحفل بعد قليل وجاءتا تقولان:

- أوه، يا لها من فتاة جميلة تلك التي كانت في الحفل! مَنْ تكون يا ترى؟

ولم تقل النجمة الذهبية شيئا.

جاءت الليلة الثانية وحدث كل شيء مثل الليلة السابقة، وجاءت الليلة الثالثة وأصبح الأمير لا يريد أن يُصيبه سهو حتى لا تهرب منه النجمة الذهبية. ولكنْ عندما حانت الساعة، أخذت تركض بسرعة كبيرة، حتى أن فردة من حذائها

سقطت. انحنى الأمير ليأخذها، وعندما قام، لم يرَ الفتاة. أصبح حزينا جدا وأعلن مرسوما يقول إنه سيتزوج صاحبة الحذاء.

ذهب خدمه في كل مكان، يجربون الحذاء على كل الفتيات، لكنه لم يناسب أيًا منهن، رغم أن بعضهن قطعن إصبعا وأخريات قطعن حتى إصبعين. وأخيرا وصلوا إلى بيت ذيل الحمار، التي قطعت نصف قدمها، لكنْ وحتى مع كل هذا، لم يناسبها الحذاء. سأل الأمير إذا كانت هناك فتاة أخرى في البيت، وأجابته زوجة الأب بلا، وبأنه يحتفظ فقط بالفتاة التي تبقى دائما عند كومة الرماد، وهي قبيحة جدا وقذرة جدا.

أمر الأمير بأن ينادوا عليها، وعندما ظهرت النجمة الذهبية، كانت آتية بالفستان الفضي الدانتيل، وبقى الكل مبهورا. جربت الحذاء وكان على مقاسها. وحينئذ قال الأمير: إنه سيتزوجها، لكنه طلب منها أن تنتظره، لأن عليه أن يعود ليأخذها بموكب إلى القصر.

بمجرد أن غادر الأمير، قالت زوجة الأب وابنتها:

- سنقتلها.

أخذتاها وحملتاها جرًا، وهناك، ضربتاها على صخرة حتى سقطت ميتة. ثم أخرجتا عينيها ولسانها وتركتاها.

وبعد ذلك بقليل، مرّ راعي غنم، ولأنه رأى الفتاة ودمها يسيل، ولكنها لا تزال حية، أخذها إلى كوخه، مع زوجته. واعتنى كلاهما بها ونظفاها جيدا جدا، وبعد قليل، أصبحت الفتاة بخير، رغم أنها لم تكن ترى ولم يمكنها أن تتكلم. ذات يوم، وضعت يدها في جيبها وأخرجتها مليئة بالنقود، وأعطتها للراعي. وبما أنها خمنت تعبير الذهول الذي رسم على وجه الرجل، أخذت تضحك، وأخذت ورودٌ كثيرة تتساقط. طلبت منه بلغة الإشارة أن يذهب ليبيعها، لكن ليس مقابل المال، ولكن مقابل لسان.

نزل الراعي إلى القرية وأخذ ينادي:

- ورود، ورود للبيع!

سمعته ذيل الحمار من بيتها وقالت:

- ورود في هذا الوقت؟ أمي، اشتريها لي، فلا أحد لديه ورود الآن.

نادتا على الراعي وسألاه بكم هذه الورود. لكن الراعي قال لهما إنه لا يريد نقودا، بل يريد فقط لسانا. قالت ذيل الحمار لأمها:

- لماذا لا نعطيه لسان النجمة الذهبية، الذي نحتفظ به عندنا؟

وأجابت الأم:

- لا يا ابنتي. فقد يكون لهذا نتيجة.

لكن الابنة ألحت كثيرا، حتى وافقت الأم في النهاية. عاد الراعي إلى الكوخ سعيدًا جدًا، وأعطى اللسان للفتاة. وضعت الفتاة اللسان بمساعدة عصا الفضيلة التي تملكها، وفي الحال بدأت تتكلم. وفي يوم آخر، كانت زوجة الراعي تمشط للفتاة شعرها وسقطت لآلئ. طلبت النجمة الذهبية من الرجل أن يذهب ليبيعها، لكن بشرط أن يسلمها فقط مقابل عينين.

نزل الراعي مرة أخرى إلى القرية، بدأ ينادي على لآلئه، ومرة أخرى استطاعت ذيل الحمار أن تقنع أمها أن تشتري لها اللآلئ مقابل عيني النجمة الذهبية، اللتين كانتا تحتفظان بهما أيضا عندهما.

عندما عاد الراعي إلى كهفه وسلم الفتاة عينيها، قالت هي:

- يا عصا الفضيلة، بحيلتك، أعيدي عيني إلى مكانيهما.

وهذا ما حدث، وعادت النجمة الذهبية ترى مرة أخرى. وحينئذ استطاعت أن تكتب رسالة إلى الأمير تحكي له كل ما حدث، وتطلب منه أن يأتي لها. فرح

الأمير وفوجئ كثيرًا، لأن زوجة الأب وابنتها قالتا له: إنها هربت حتى لا تتزوجه. ذهب إليها يركض، جهزوا الزفاف وتزوجا. سأل الأمير بعد ذلك زوجته أي عقاب تريد أن تُعاقب به زوجة أبيها وذيل الحمار. قالت لا شيء لأنها سامحتْهما. لكن الأمير أمر باحتجازهما، وشنْقهما، وإلقاء جسميهما في مرجل مليء بزيت مغلي. وهكذا فعلوا.

وهنا انتهت الحكاية بالخبز والفلفل والذي يرفع مؤخرته سيجد دورو[١].

---

(١) دورو duro: عملة إسبانية تساوى ٥ بيسيتا – المترجمة.

(٣٥)
كما يُحِبُّ الطعامُ الملح

ذات مرة، كان هناك ملك عنده ثلاثة بنات. وفي يوم من الأيام، نادى ثلاثتهُن وسألهن كم يحبونه. قالت الكبرى:

- أنا، أكثر من قلبي.

والوسطى:

- أنا، أكثر من بؤبؤ عيني.

وأخيرا، أجابت الصغرى:

- أما أنا، فأكثر مما يُحِبُّ الطعامُ الملح.

كره الملك هذه الإجابة جدًا، وأمر الخدم بأن يحملونها إلى الجبل ويقتلوها هناك، وأن يُخرجوا عينيها، وأن يقطعوا إصبعها الخنصر، وأن يُحضروها له. أخذها الخدم، ولكنهم أشفقوا على الفتاة وقطعوا لها إصبعها الخنصر فقط. وقتلوا كلبة، وأخرجوا عينيها، وقدموهما للملك، مع الإصبع، كدليل على أنهم نفذوا أوامره.

عندما وجدت الفتاة نفسها وحيدة في الجبل، أخذت تمشي، وتمشي، دون أن تعرف إلى أين، حتى قابلت في منتصف الطريق راعيًا كان هناك، وكانت الثياب التي يرتديها سيئة جدًا. وعندما أدركت أنها لا يمكنها أن تذهب إلى أي مكان، وهي ترتدي ثياب الأميرة، عرضت الفتاة على الراعي أن تشتري الثياب التي كان يرتديها. وافق الراعي، ثم تنكرت الفتاة في زي الراعي، وحفظت ثيابها في لفة.

واصلت المشي حتى وصلت إلى قصر حيث كانوا يبحثون عن مُرَبٍّ للديوك الرومية. تقدمت هي لهذه الوظيفة وأعطوها لها. سألوها عن اسمها وأجابت هي أن اسمها "خوانون"، ولهذا أطلقوا عليها اسم "خوانون مُرَبِّي الديك الرومي". ومنذ ذلك الحين، أصبحت مسئولة عن إخراج الديوك الرومية إلى الحقل، ولكنْ، لأنها كانت تشعر بالملل من البقاء وحيدة دائما، وصلت إلى بئر كان قريبا من هناك، وخلعت ثياب مُرَبِّي الديك الرومي، وارتدت ثياب الأميرة، وأخذت تستمتع برؤية صورتها في مياه البئر. وعندما رأتها الديوك جميلة للغاية، أخذت تحملق فيها فقالت لها:

– أيتها الديوك الصغيرة، إذا رآني ابن الملك، هل سيغرم بي؟

وأجابت كل الديوك:

– نعم، نعم، نعم. نعم، نعم، نعم.

وبما أن الديوك كانت غبية فقد ظلت تُمْعِنُ النظر في الفتاة حتى نسيت أن تأكل، لدرجة أنه كان يموت كل يوم أكبرها عمرا؛ وكل يوم، آخر النهار، كان مُرَبِّي الديك الرومي يعود إلى القصر ومعه تحت ذراعه ديك ميت، وبسبب هذا كانوا يوبخونه كثيرا. ولكنْ لم يكن يبدو على الملك أنه يهتم أي اهتمام.

خافت الفتاة من أن يتعرَّف عليها أحد إذا ظلت تحت الضوء وقتا طويلا، عندما كانت تعود من الحقل، كانت تجلس قرب المدفأة، وكانت تحك جلدها بقوة ثم

تلقى الملح. ثم، كانت تلقى على الشمعة حفنة من الملح، الذي كان يطقطق كما لو كان قملا، وكان الجميع يصرخون من الاشمئزاز ويقولون:

– إلى الركن، خوانون، إلى الركن!

وكان يذهب إلى الركن، حيث يكون الخطر أقل في اكتشاف أنه امرأة وليس رجلا.

ولكن ابن الملك كان يصدمه كثيرا أن يموت كل يوم ديك، وفكر في أنه ربما كان مُرَبّى الديك الرومي يصيبها بمكروه. وهكذا قرر أن يتجسس، فاختبأ ذات يوم خلف شجرة حتى لا يغيب الراعي عن نظره. لم تشكّ الأميرة في شيء. وصلت إلى البئر، وبدأت تبدّل ثيابها كالعادة، ورأى الأمير كم كانت جميلة وفاتنة. أغرم بها الأمير لدرجة أنه فكر في الزواج منها على الفور. ولكنْ لأنه لم يكن يعرف مَنْ تكون، ولأن على الأمراء أن يتزوجوا من أميرات، عاد إلى بيته قلقًا جدًا.

بَقِيَ الأمير في غرفته، وقرر أن يتظاهر بأنه مريض، ويقول إنه ليس عنده شهية للطعام، وإنه يريد فقط أن يُحضروا له صحنا من الشوربة، ولكنْ يجب أن يُحضره خوانون مُرَبّى الديك الرومي. صُعقت الأم كثيرا عندما علمت بهذا، وقالت للأمير:

– لكن يا بني، كيف يخطر ببالك شيء كهذا؟ ذلك الفتى الأخرق الذي يموت منه كل يوم ديك، ذلك المليء بالقمل، حتى أن المزارعين يُبْعدونه عن نار المدفأة..

– لا، لا، لا بد أن يكون هو، قال الأمير. إذا لم يأت هو لن آكل.

لم يكن أمام الأم إلا أن توافق، معتقدة أن هذه نزوة مفاجئة، وأمرت بمناداة خوانون مُرَبّي الديك الرومي، وبأن يصعد ومعه صحن من الشوربة. طلبت منه الطاهية أن يهندم نفسه قليلا لأنه لا يمكنه أن يدخل بهذا المظهر إلى غرفة الأمير.

وعندما دخل خوانون إلى الغرفة ومعه صحن الشوربة، كانت ساقاه ترتعشان. أمره الأمير بأن يقترب ويجلس على السرير. وفي الحال أمسك بيدها واعترف لها بأنه يعرف مَنْ تكون، لأنه رآها وهي تخلع ثيابها عند البئر. عندئذ لم يكن أمامها إلا أن تحكى له حكايتها، وكيف يعتقد أبوها أنها ميتة، وأنه إذا علم أنها حية من المؤكد أنه سيأمر مرة أخرى بقتلها.

فَرِح الأمير كثيرًا عندما عرف أنها أميرة، لأن هذا سيجعل من الأسهل أن يوافق أبواه على الزواج، رغم أنه لن يمكنها أن تضيف شيئا إلى مملكته، لأنها فقيرة جدا.

بعد أيام قليلة، تم الاحتفال بالزفاف، الذي دعا فيه الأمير كل ملوك الممالك المجاورة، وكان بينهم والد العروس. وصل الأب، ولم يتعرف على ابنته، بسبب الزمن الذي مر.

أما الأميرة، فقد ميزته عن باقي المدعوين، لكنها أمرت أن يتم طبخ جزء من الطعام الذي سيقدم في الوليمة بدون ملح، وسيكون هذا هو الجزء الذي سيقدم لأبيها. ولم يأكل هو شيئا، وعندئذ سأله الأمير عن سبب رفضه أن يأكل أي شيء، وأجاب أبو الأميرة:

- لأنه ليس فيه أي ملح، والآن أفهم كم كانت ابنتي الصغرى تحبُّني.

- وكم تدفع جلالتك لتستعيد ابنتك؟ حينئذ سألته الأميرة.

- مملكتي بأكملها، أجاب الملك والدموع تترقرق من عينيه.

عندئذ اقتربت الأميرة منه ووضعت على كتفه اليد التي تنقصها الإصبع الخنصر. أخذ الملك ينظر إلى اليد ثم إليها، فقالت له:

- إذن سأكون أنا وريثتك، لأنني أنا ابنتك.

أدرك الملك أن هذه هي الحقيقة، وفقد وعيه من فرط الانفعال، وسقط على الأرض. ولكنْ عندما تعافَى، نفَّذ ما وعد به، بعد أن طلب المغفرة، وبكى بكاءً مُرًّا، وعاش الأمير والأميرة سنينا طويلة، يحكمان المملكتين، وذهبتُ أنا وأتيت، ولم يعطوني حتى ثمن الحذاء!

(٣٦)

مُرَبِّي الديك الرومي في القصر الملكي

إذن يا سيدي، كان هناك ذات مرة، أب، وأم، وابنة. وكانت الأم تملك خاتما، وعندما كانت تحتضر، قالت لزوجها:

- خذ هذا الخاتم، وتزوج بمَنْ سيناسبها مقاسه.

أخذت الطفلة تكبر. وذات يوم، وجدت الخاتم في درج التسريحة وقالت لأبيها:

- أبي، لقد وجدت هذا الخاتم، انظرْ كم يناسبني. من المؤكد أنه خاتم أمي. سأحتفظ به.

ظل الأب ينظر إليها وقالت الفتاة:

- ماذا بك يا أبي، لماذا تنظر إليّ؟

أجابها الأب:

- أنت لا تعرفين السبب، يا ابنتي. طلبت مني أمك أن أتزوج بمن يناسبها هذا الخاتم.

حينئذ أخذت الطفلة تبكي وظلت تبكي لوقت طويل. وذات يوم، أطلّت الفتاة من الباب، وكانت هناك امرأة عجوز تمر من هناك، وسألتها:

- لماذا تبكين أيتها الجميلة؟

وحكت لها الفتاة ما حدث. قالت لها العجوز:

- إذن لا تبكي. ستفعلين ما أقوله لك. ستقولين لأبيك إنه لا بد أن يشتري لك ثلاثة فساتين: واحدا بلون السماء، مُرصّعًا بالنجوم الساطعة؛ والثاني عليه كل فصائل الحيوانات، والثالث بلون ظل البئر. ثم تغادرين البيت وأنت ترتدين ثياب صبي، ومعك الفساتين الثلاثة في حقيبة، وتذهبين للبحث عن وظيفة.

فعلت الفتاة كل ما قالته لها العجوز. طلبت من أبيها الثلاثة فساتين وغادرت البيت دون أن يراها أحد. ثم انطلقت واتجهت إلى قصر. وسألت واحدًا من الخدم ما إذا كانوا يحتاجون إلى صبي للعمل. قال لها الخادم نعم، وسألها ما إذا كانت تريد أن تبقى لتعتني بالديوك الرومية، ووافقت، ووافق هو الآخر.

أخذوها إلى حقل قريب من القصر، وفي اليوم التالي، بدأت الفتاة تنادي على كل الديوك الرومية وتقول:

- أيتها الديوك الصغيرة، تعالي جميعا إلي!

ويجيبها أحد الديوك:

- إذا عرف ابن الملك، سيغرم بك، بك!

وتجيب هي:

-اذهب، ليتك تموت!

وفجأة مات الديك الرومي.

بقي ابن الملك، الذي رأى كل شيء من شرفة القصر، مذهولا. وفي اليوم التالي، عندما ذهب مُربّي الديك الرومي ليحمل الديك الميت، قال له أحد الخدم.

– أوه يا خوانييو، لأن هذا كان الاسم الذي أطلقته على نفسها، ديك ميت من اليوم الأول! أعتقد أنك لن تبقى هنا كثيرا.

– ماذا كان بوسعي أن أفعل، أجاب خوانييو، إذا مات مني ديك!

– حسنا، إذن اذهبْ لتتحدث مع الأمير.

دخل خوانييو للتحدث مع الأمير الذي قال له:

– دَعْكَ من هذه الحكايات وقل لي لماذا قلت للديك ما قلته؟

– أنا لا أعلم شيئا، جلالتك، أجاب مُرَبِّي الديك الرومي.

في اليوم التالي كان يعتني بالديوك مرة أخرى ويقول:

– أيتها الديوك الصغيرة، تعالِي جميعا إلي!

وأجابها ديك آخر:

– إذا عرف ابن الملك، سيغرم بك، بك!

– اذهبْ، ليتك تموت!

وفي الحال مات الديك.

رأى ابن الملك كل شيء مرة أخرى، وعندما حضر مُرَبِّي الديوك الرومية في اليوم التالي ليحكي عن موت الديك، سأله مرة أخرى نفس السؤال، وقال خوانييو مرة أخرى: إنه لا يعلم شيئا. وفي اليوم التالي فعل نفس الفعلة، وغضب الأمير وجعله يعمل في زرائب الخنازير.

أعلن الملك عن تنظيم مسابقات وحفلات راقصة، ليرى ما إذا كان ابنه سيجد عروسا. وقال باقي الخدم لخوانييو:

- هيا يا رجل، جهّزْ نفسك أنت أيضا وتعال معنا لترى الحفل.

- أنا؟ أجاب مُرَبّي الديوك. يجب أن أنظّف زرائب الخنازير، إضافة إلى أنني لا أحب هذه الأشياء.

وعندما رحل الجميع، ذهبت إلى غرفتها وارتدت الفستان الذي بلون السماء الذي أهداه لها أبوها وذهبت إلى الحفل. ومنذ أن رآها ابن الملك ذهب إليها وقال لها:

- مَنْ تكونين؟

- وأجابت هي:

- ستعرف.

- وما اسمك؟

- ستعرف.

ظل الأمير يراقبها طوال الليلة وأهداها خاتما. لكنها خرجت تركض قبل أن ينتهي الحفل. وعندما وصل الخدم، قالوا له:

- آه يا خوانييو لو رأيت السينيوريتا الفاتنة التي رقص معها الأمير طول الليل!

وقال خوانييو:

- أعتقد أنني ربما كنتُ أعرفها.

- بالله عليك يا رجل، أنت تتمنى ذلك!

في اليوم التالي، ذهب الجميع إلى الحفل مرة أخرى، ودخلت هي إلى غرفتها، وارتدت الفستان الذي عليه كل فصائل الحيوانات. وصلت إلى الحفل وظل ابن الملك معها طول الوقت، وأهداها أسورة وسألها مرة أخرى:

- ما اسمك؟

- ستعرف، ردت الفتاة.

- ومَنْ أنتِ؟

- ستعرف.

- وأين تعيشين؟

- ستعرف، ستعرف.

ومثل الليلة السابقة، غادرت الفتاة دون أن تقول أي شيء، قبل أن ينتهي الحفل. عندما وصل باقي الخدم، قالوا له:

- آه يا خوانييو، أنت يفوتك الكثير! آه لو رأيتَ جمال السينيوريتا التي كانت ترقص مع ابن الملك طول الليل! كانت في غاية الجمال!

- ربما كنتُ أعرفها، قال خوانييو.

- هيا يا رجل، أنت تتمنى ذلك!

في اليوم التالي، ارتدت الفتاة آخر فستان، فستان ظل البئر، وحدث نفس الشيء. لم يفارقها ابن الملك. قدم لها سلسلة من الذهب وسألها نفس أسئلة الليلتين الماضيتين، وأجابته هي بنفس الإجابة. وعند الجلوس، أمسك بفستانها، ودون أن تنتبه هي، قطع منه قطعة. لكن، عندما كان الأمير غير منتبه، رحلت هي.

ولما مر وقت طويل، ولم ير الأمير تلك السينيوريتا، مرض ولازم الفراش. ولم يستطع أي طبيب، مهما كان عالمًا، أن يعرف كيف يعالج المرض الذي كان يعانيه. كانت الملكة الأم وكل مَنْ في البلاط قلقين جدًا، لأن الأمير كان مرضه خطيرا وفقد شهيته في الأكل. وذات يوم، قال خوانييو للملكة:

- هل تريدين جلالتك أن يشفى؟ سأصنع له كعكة كانت تصنعها لي جدتي. وسترين كيف سيشفى.

وأجابت الملكة:

- آه يا بني، في حالته الحرجة هذه، سيكون حساسا جدا ولن يحتمل أن يجد شعرة أو أي شيء في الطعام.

- اتركي هذا عليَّ، جلالتك، وسترين كيف سيصبح الأمير بحالة جيدة، وإذا أردت، قولي له إنها من صنع خالتك الراهبة.

ألحَّت كثيرًا، حتى وافقت الملكة. وعندئذ لم يصنع خوانييو كعكة واحدة، لكنه صنع ثلاثة، وفي كل واحدة، وضعت واحدة من الهدايا التي أهداها لها الأمير حينما كانا يرقصان: الخاتم، والأسورة، والسلسلة الذهبية.

وبمجرد أن تم تقطيع الكعكة الأولى، رأى الأمير الخاتم وجلس في الفراش يصيح ويقفز. وفي الحال جاءت الأم وسألته عما به.

- أحضري لي الآن الشخص الذي صنع الكعكة!

لم تجرؤ الملكة على أن تقول له لا حقيقة ولا كذبا. لكن قطع ابنها الثانية والثالثة ووجد الهديتين الأُخريين، وكل مرة يصبح أكثر سعادة ويصيح بقوة أكبر طالبًا أن يُحضروا له الشخص الذي صنع الكعكات. صاح كثيرًا، حتى دخل خوانييو. ذهبت سريعا إلى غرفتها وارتدت فستان ظل البئر، الذي، مثله مثل كل الآبار، يعكس نجوم وعصافير السماء. وهكذا حضرت له في غرفة الأمير. الذي بقى مذهولاً في الحال، لكنه تعرَّف على الفستان بسبب القطعة التي تنقصه، والتي كان يضعها تحت وسادته. وحينئذ حكت له الفتاة الحكاية، وطلب منها أن تتزوجه. وتزوَّجا، وعاشا سعيدين، وأكلا طيور الحجل، ولم يعطياني شيئا؛ لأنهما كان لا يريدان.

(٣٧)

ماريا والحية الصغيرة

كان هناك ذات يوم، زوجان فقيران جدا، وكانت لهما ابنة اسمها ماريا. وذات يوم، ماتت الأم، وظل الأب والابنة يمران بآلام كثيرة، دون شيء يأكلانه أو يشربانه. كان الأب يذهب إلى الجبل بحماره الصغير ليُحْضر الحطب لتحويله إلى فحم وبيعه.

وذات يوم، جاءت حية مع الحطب. وجدتها ماريا، وأخذتها ووضعتها في إبريق. كانت تخرجها كل يوم لتطعمها من الطعام القليل الذي يتبقى من نصيبها، ولهذا أخذت تصبح أنحف يوما بعد يوم. لدرجة أن أباها بدأ ينتبه إلى هذا وسألها ماذا بها. قالت هي إنه ليس هناك شيء. ولكنْ في نفس تلك الليلة كلمتها الحية:

– ماريا، قالت لها، وفي الحال فزعت الفتاة: هذه الليلة، ستَهُبُّ عاصفة قوية جدا وسيأتي فيضان. أنتِ ستخرجينني من الإبريق، لأنك ستموتين من قلة الأكل. وفي الفيضان، عليكِ أن تتركيني أذهب مع التيار.

أخذت ماريا تبكي من الحزن، لكن الحية، التي لم يَعُدْ الإبريق يتسع لها، أخذت تقول لها:

– قبل أن تُلقي بي، ضعي يديك في فمي ثم بعد ذلك رأسك. هكذا يمكنني أن أذهب في هدوء. وإذا احتجتني ذات مرة، اذهبي إلى الجبل وابحثي عن مساعدتي،

وأنا سأحضر، ولكنْ لا تنسيْني، لأنه ستحدث لك مصائب كثيرة. وعندما لا أكون موجودة، يمكنك أن تغسلي يديك، وسوف تتساقط منهما عملات فضية، وعندما تمشطين شعرك، ستتساقط منه عملات ذهبية.

أطاعتها ماريا، وعندما وضعت رأسها في فم الحية، لعقت الحية عينيها. وحدث في تلك الليلة كل ما قالته الحية. جاءت عاصفة قوية وتركت الفتاة صديقتها مع الفيضان.

وفي اليوم التالي، قالت ماريا لأبيها:

- لا تحزن يا أبي، فأنت لن تذهب مرة أخرى لإحضار الحطب.

ثم غسلت يديها ومشطت شعرها وأخذت العملات الفضية والذهبية تتساقط منها. أخذ الأب بعض العملات وذهب إلى الحانة سعيدًا. وعندما رآه الناس، ومعه كل هذه النقود، شكّوا فيه، وأبلغوا عنه. واتهموه بأنه لص وأخذوه إلى الحبس.

فاض صبر ماريا وهي تنتظر أباها الذي لا يعود. ذهبت إحدى الجارات، بعد أن علمت بما حدث، إلى ماريا لتحكي لها، ولم يكن أمام ماريا إلا أن تفضح سرها حتى يطلقوا سراح أبيها. وعندما رأى أهل القرية أنها تنزل عملات فضية وذهبية عندما تغسل يديها أو تمشط شعرها، صاروا مذهولين، وفي الحال انتشر الخبر في كل المملكة. حتى إن الأمير أرسل أحد قادته، وكان موجودا في تلك القرية؛ ليتأكد بنفسه ما إذا كان هذا حقيقيا، وإذا كان حقيقيا، فليطلبوا من الفتاة أن تحضر أمامه، ومعها الخادمات التي تحبّ أن تأخذهن معها. وعندما تأكد القائد من أن هذا صحيح، نقل لها رغبة الملك، واختارت جارتها لأنها ساعدتها في مشكلة أبيها، وابنة هذه الجارة، وبدأن طريقهن.

لكن الجارة فكرت في أنه سيكون من الأفضل أن تكون ابنتها هي من تقف أمام الملك، فربما يتزوجها، وعندما كانوا في منتصف الجبل، توقفن للحظة، قيدتا ماريا، وأخرجتا لها عينيها وبعد ذلك تركتاها ترحل. واحتفظتا بعينيها في منديل.

وعندما رأت الفتاة نفسها عمياء، وملقاة في الجبل، لم تفعل إلا إنها بكت. وبعد وقت قليل، مر من هناك أحد الرعاة، وأشفق عليها كثيرا وأخذها إلى كوخه. عندما رأتها زوجة الراعي قادمة، غضبت كثيرا من زوجها، ولكن قالت لها الفتاة:

- لا تقلقي، سأدفع لكم ثمن كل الأشياء الطيبة التي تفعلونها من أجلي.

في اليوم التالي، طلبت ماريا من الراعي أن يصحبها مرة أخرى إلى الجبل، حيث يوجد حطب كثير، وأن لا يفزع مما قد يحدث. وحينئذ نادت على الحية ثلاث مرات، وحضرت الحية، التي أصبحت الآن ضخمة جدا، وقالت لها:

- أنا أعرف ما يحدث لك، لكن كان عليك أن تتذكريني قبل ذلك. حسنا، سأعطيك ثلاث حبات من الفول، سيقوم الراعي بزراعتها بمجرد أن تعودا إلى الكوخ. غدا ستنبثق ثلاث زهور نادرة وجميلة جدا. سيذهب الراعي ليبيعها في المناطق المجاورة للقلعة، وعندما يريدون أن يشتروها، سيطلب في المقابل عيني فتاة.

عندما بدأ الراعي ينادي على الزهور، خرجت الجارة، التي كانت قد تحولت إلى ربة منزل، لأنها جعلت الملك يصدق أن ابنتها كانت هي التي تسقط منها عملات من الذهب والفضة، بالرغم من أنها لم تستطع أن تثبت له هذا حتى الآن.

عندما طلب منها الراعي عيَني طفل، تذكرت عيني الفتاة، التي وضعتها في منديل، وأعطتها له. وعندما أخذت ماريا عينيها إلى الحية، لعقتهما وطلبت من ماريا أن تضعهما في مكانهما. وهكذا فعلت ماريا، وفي الحال رأت بشكل مذهل. ثم قالت لها الحية:

- الآن عليك أن تقتليني.

أصرت ماريا كثيرا على أن هذا لا يمكن أن يحدث، لكنْ أكملت الحية موضحة:

- ليس أمامك حل آخر. عندما تقتلينني، شقّيني، وخذي من السبعة ضلوع التي عندي، الضلع الأوسط. ويمكنك أن تطلبي منه ما شئتِ، لأنه بالنسبة لهذا الضلع، لا يوجد مستحيل.

أطاعتها ماريا، بالرغم من أنه يؤلمها كثيرا قتل الحية: قتلتها، وشقتها، وأخرجت الضلع الأوسط.

وعندما عادا إلى الكوخ، قالت ماريا لزوجة الحطاب:

- من فضلك جهّزي لي الآن وعاءً وأحضري لي مرآة ومشطا.

بدأت ماريا تغسل يديها وتمشط شعرها، حتى أصبحت لديها كومة من العملات الفضية والذهبية.

- هذا لكما، مقابل المعاملة الطيبة التي عاملتموني بها. والآن لا بد أن أرحل.

ورحلت.

عندما وصلت ماريا إلى القلعة، قالت للضلع:

- أيها الضلع الصغير، أريدكِ أن تبني لي قلعة ضخمة جدا كهذه، أمامها بالضبط، وعلى مسافة لا تكفي لأكثر من أن يقف شخص بين الاثنين.

في اليوم التالي، عندما استيقظ أهل القلعة، تخيلوا أنهم يحلمون، عندما رأوا تلك القلعة الضخمة جدا، وبهذا القرب. أمر الأمير أحد الخدم بأن يذهب ليعرف

ماذا عساه أن يكون هذا. وقف الخادم تحت الشرفة التي كانت ماريا جالسة على حافتها، ألقى عليها تحية الصباح وسألها:

– هل يمكنني أن أقضي بعض الوقت مع حضرتك؟

– وقتما شئت، أجابت ماريا.

صعد الخادم في نفس تلك الليلة وقال لها:

– أنا هنا.

– آه، حسنا هيا بنا نذهب للنوم، وبدأت الفتاة تخلع ملابسها، لكنها قالت له: لكنْ قبل ذلك من فضلك أغلق الأبواب، كان هذا ما طلبته من الضلع.

بدأ الخادم يغلق الأبواب، لكن كلما كان يغلق واحدا، كان الآخر يفتح، وهكذا قضى كل الليلة، يصفق الأبواب دون نتيجة.

في صباح اليوم التالي، سأله الأمير عما حدث.

– رائع، قال الخادم.

– إذن سأذهب أنا هذه الليلة.

عندما وصل الأمير، بدأت هي تتجرد من ملابسها، لكنها قالت له:

– من فضلك أحضر لي بعض الماء من البئر، كان هذا ما طلبته من الضلع.

ذهب الأمير لإحضار الماء ومع أنه كان يعتقد أن الوعاء قد امتلأ كان يعود إلى القلعة فيجد أنه لم يُحضر حتى قطرة ماء؛ ويعود ليملأه فيحدث الشيء نفسه مرة أخرى، وهكذا ظل طوال الليل. وفي الصباح قالت له ماريا:

– يبدو أنك اعتدت على المشاكسة مع نساء حمقاوات.

- أنت مخطئة، أجاب الأمير، الذي كان غاضبا إلى حد كبير، فأنا سأتزوج غدا بامرأة تنزل عملات فضية عندما تغسل يديها، وذهبية عندما تمشط شعرها.

- هذا لا يمكن أن يحدث، قالت ماريا.

- سنرى. إنْ أردت، فأنت مدعوة.

أعد الملك وليمة لجميع المدعوين، وأمام الجميع، طلب من ابنة الجارة أن تثبت قدرتها. وبدأت هي تغسل يديها، وكأن شيئا لم يكن، أخذت تمشط شعرها، وكان ذلك أسوأ، لأنها بدأت تسقط كمية كبيرة من القمل، حتى أن جميع المدعوين خرجوا يركضون. ثم بدأت ماريا تغسل يديها وتمشط شعرها، وعندئذ سقطت بالفعل كمية من العملات، وعاد كل المدعوين ليشاهدوا ويحتفلوا. ولكنْ، عندما شرعوا في الأكل، بدأ ببغاء يصرخ ويقول:

- لا أحد يأكل، فأحدهم ينقص! لا أحد يأكل، فأحدهم ينقص!

أراد الملك أن يعرف لماذا قال الببغاء هذا، حتى اعترفوا له بأنهم كانوا يحتجزون رجلا، منذ وقت طويل، بأمر من ربة المنزل. أمروا بفتح الحائط، وظهر والد ماريا، الذي عانق ابنته في الحال. وحكت هي للملك كل ما حدث لها، وعلى الفور أمر الملك بأن يتم احتجاز الجارة وابنتها. وتزوج الأمير وماريا، وعاشا سعيدين. وفي النهاية استطاعوا جميعا أن يأكلوا الحجل.

(٣٨)

الأم الغيورة

ذات يوم، كان هناك زوجان عندهما سبعة أبناء ذكور وليس عندهما ولا ابنة. وأخيرا، ولدت الأم طفلة وسعدت هي والأب والإخوة بها كثيرا. لكن الأب كان متعلقا جدًا بالطفلة، حتى أنه أصبح يسيئ معاملة إخوتها أكثر فأكثر. وعندما رأى الإخوة أنه ليس هناك شيء يفعلونه في البيت، قرروا أن يرحلوا. وقبل ذلك، ودَّعوا أختهم الصغرى وأهدوها خاتما.

مر الوقت، وأخذت الفتاة تزداد جمالا كلما كبرت، وكان أبوها يزداد حبا لها. لدرجة أن الأم بدأت تشعر بالغيرة من ابنتها نفسها. وكانت لديها مرآة سحرية وقالت لها:

– يا مرآتي، هل توجد في الدنيا امرأة أجمل مني؟

وكانت المرآة دائما تجيبها وتقول لها لا، وأنها هي الأكثر جمالا، حتى قالت لها ذات يوم:

– نعم، ابنتك أكثر جمالا منك.

اغتاظت الأم كثيرًا وبدأت تسيئ معاملة ابنتها. وكانت ترسلها كل لحظة إلى النبع لتحضر الماء، وإذا كسرت جرة من الجرار كانت توبخها وتضربها. ذات مرة، حبستها في غرفة، وهي تنوي ألا تتركها تخرج أبدا وسألت مرآتها الصغيرة:

- يا مرآتي، هل توجد في الدنيا امرأة أجمل مني؟

وأجابتها المرآة:

- نعم، المحبوسة في الغرفة أجمل منك.

وبما أن حبسها لم يُفِدْ بشيء، أمرت الأم الخدم بأن يحملوا ابنتها إلى الجبل ويقتلوها. ولكنْ أشفق الخدم على الفتاة وتركوها في الحقل. وبدلاً منها قتلوا كلبة، وأخرجوا عينيها ولسانها وأخذوها إلى الأم، التي اعتقدت أنها كانت عينا ولسان ابنتها.

أخذت الفتاة تمشي في الجبل، إلى أن لمحت بيتا. اقتربت، ولأنها لم تشعر بأحد، دخلت. كانت المدخنة مشتعلة وكان يوجد على الطاولة سبعة أطباق فارغة. فبدأت تطبخ الطعام، وعندما انتهت، رتبت البيت. ثم خرجت وتسلقت شجرة كانت بالقرب من هناك، وانتظرت لترى مَنْ سيصل.

في آخر النهار، وصل سبعة لصوص، وكانوا هم مَنْ يسكنون في البيت. عندما دخلوا، ذهلوا من النظافة ومن الطعام الذي كان جاهزا.

- مَنْ عسى أن يكون هذا الذي جاء ليرتّب وينظف البيت؟

سأل أحدهم.

- مَنْ عسى أن يكون هذا الذي أعدّ لنا الطعام؟ قال آخر.

ولأنه بالقرب جدًا منهم كان يعيش التنين وزوجته، خشوا أن يكونا قد أتيا، وأعدا لهم طعاما مسموما. فقال أحدهم:

- سنعطي الكلبة الصغيرة منه أولا، وإنْ لم يؤذها، فلن يؤذينا نحن أيضا.

وحدث نفس الشيء لعدة أيام أخرى، ودائما كان اللصوص يجرّبون الطعام في الكلبة الصغيرة ثم بعد ذلك يأكلون هم.

ولأنهم لم يصبهم أي مكروه، قرروا أن يفاجئوا الشخص الذي يعد لهم الطعام ويرتب لهم البيت. في الصباح، وبدلاً من أن يخرج السبعة، خرج ستة فقط وبقى قائدهم مختبئا داخل البيت. لكن الفتاة، التي كانت تَعُدّ السبعة كل يوم وهم يخرجون، وعدّت هذه المرة ستة فقط، لم تتحرك من فوق الشجرة طوال اليوم.

وعندما رأوا أنه لا فائدة من ذلك، قرر اللصوص أن يعودوا في منتصف اليوم، بدلاً من آخر النهار، وهكذا فاجأوا الفتاة أثناء قيامها بأعمال البيت. ارتعبت الفتاة عندما رأت اللصوص يندفعون باتجاهها، ولكن انتبه قائدهم إلى الخاتم الذي كانت تلبسه وقال:

- اصمتوا جميعا، فهذه أختنا!

وهكذا تعرّفوا على بعضهم وأصبحوا سعداء جدا. وحكت لهم الفتاة ما حدث لها فقالوا:

- لا بأس إذن، فلتبقي معنا، تُعِدِّين الطعام وترتّبين البيت.

وتركوا معها الكلبة الصغيرة أيضا لتصحبها. قال لها أحد الإخوة:

- يجب أن تحرصي جدّا على إعطاء الكلبة من كل ما تأكلين. إذا لم تفعلي هذا، ستتبول على النار ولن تستطيعي إعداد الطعام لنا.

وقال لها آخر:

- إضافة إلى ذلك، لا يجب أن تخرجي من البيت، لأنه بالقرب يعيش من هنا التنين وزوجته.

حرصت الفتاة حرصا شديدًا على أن تفعل كل ما قالوا لها، ولكنْ ذات يوم، أخذت تأكل بعض البندق الذي أحضره لها إخوتها، ونسيت أن تُطعم الكلبة الصغيرة. حينئذ اقتربت الكلبة الصغيرة من النار، وتبولت عليها وأطفأتها.

انزعجت الفتاة جدا، وظنت أن إخوتها سيغضبون منها كثيرا لأنها لم تجهّز لهم الطعام. وبما أن البيت الوحيد الموجود بالقرب من هناك كان بيت التنين، تسلّحت بالشجاعة وذهبت لترى ما إذا كانوا سيعطونها بعض الجمر.

وعندما وصلت، كانت زوجة التنين موجودة، وقالت لها إنها يمكن أن تعطيها النصف فقط من كل جمرة، فإذا لاحظ زوجها أن الجمرات ناقصة، سيقتلها. فأعطتها نصف كل جمرة ورحلت الفتاة وهي سعيدة جدا. عندما وصل التنين إلى بيته قال:

- أشم رائحة لحم بشري! إذا لم تعطيه لي، سأقتلك!

- لكنْ يا رجل، قالت المرأة، كانت هنا الأخت الصغرى للّصوص، جاءت لتأخذ قليلا من الجمر.

غضب التنين كثيرًا وطلب منها أن تُعيد الجمرات في الحال. أخذت الفتاة تبكي، وتقول كيف إذن ستقوم بإعداد الطعام لإخوتها.

حسنا، قال التنين. سأتركها لك، لكن عليك كل يوم أن تخرجي لي إصبعا من ثقبَ المفتاح لأمصه.

لم يكن أمام الفتاة إلا أن توافق، وكل يوم، كان يأتي التنين ويمص الإصبع الذي تخرجه له هي من ثقب المفتاح. لدرجة أن الفتاة أخذت تصبح أنحف يوما بعد يوم والإصبع الذي يمصه التنين أخذ ينحف أكثر من باقي الأصابع. كان إخوتها يقولون لها:

- ماذا بكِ؟ تأكلين وتشربين وكل يوم تصبحين أنحف من اليوم الذي سبقه؟

وأخيرا حكت لهم ما حدث لها، حينئذ قرر الإخوة أنه يجب قتل التنين. قال أحدهم للفتاة:

- غدا لا تخرجي إصبعك وقولي للتنين أن يصعد السلم ليأخذ الجمر.

حفروا بئرا عميقا جدا تحت السلم، ووضعوا فوقه بعض درجات السلم، وعندما يأتي التنين في اليوم التالي، ويصبح في منتصف السلم، يسقط ويموت. بدأ اللصوص يخبئونه وتركوه هناك مدفونا. بعد فترة، نما بعض البقدونس في قبر التنين وقال الإخوة للفتاة:

- لا تضعي لنا في الطعام من هذا البقدونس أبدا، مهما كان الأمر، فإذا فعلت، سنتحوّل إلى ثيران سوداء.

في البداية، انتبهت الفتاة ألا تأخذ من هذا النبات، لكن مع الوقت، نسيت، وذات يوم، قطفت غصنا ووضعته في الطعام. وصل إخوتها في آخر النهار وبدأوا يأكلون مثل كل يوم. وفجأة تحولوا إلى سبعة ثيران سوداء.

ومنذ ذلك الحين، كان على الفتاة أخذ السبعة ثيران كل يوم إلى الحقل لترعاها. وذات يوم، كانت معها، ومر من هناك ابن الملك. وبمجرد أن رأى الفتاة أغرم بها، وقال لها إنه يريد الزواج منها. أجابت هي بنعم، ولكنها قالت له إنها لا يمكنها ذلك لأن عليها أن تعتني بتلك الثيران، فهي إخوتها.

- لا تقلقي، أجاب الأمير. سنأخذها معنا إلى القصر، وهناك ستعيش مثلنا تماما، ستأكل معنا على نفس الطاولة وكل شيء.

وهذا ما فعلوه. احتفلوا بالزفاف، وتمت معاملة السبعة ثيران مثل الأشخاص من جانب كل الخدم وكانت الفتاة سعيدة جدا. ولكن. كان على الأمير، ذات يوم، أن يذهب إلى حرب، وترك زوجته والثيران في رعاية الخدم.

وذات يوم، ذهبت خادمة زنجية لتملأ الماء من النبع، وعندما توقفت لترى نفسها في الماء ورأت وجه الملكة، التي كانت تطل من شباكها. ظنت الزنجية أن هذا كان وجهها وفرحت جدا لرؤية نفسها بهذا الجمال، وقالت:

كيف آتى أنا لملء الماء من النبع وأنا بيضاء وجميلة جدا هكذا؟ الآن سأكسر الآنية وسأذهب إلى بيتي.

أخذت الملكة، التي كانت تسمعها، تضحك، وحينئذ انتبهت الزنجية إلى ما كان يحدث. نظرت في اتجاه الشباك وقالت للملكة لماذا لا تنزل لتمشط لها شعرها. نزلت الملكة وبدأت الزنجية تمشط شعرها. وفجأة، غرزت لها دبوسا في رأسها وحولتها إلى حمامة. ثم طيرتها. وارتدت ملابسها. دخلت القصر متقمصة شخصية الملكة، وأول ما فعلت كان طرد الثيران، قائلة:

- فلتعمل وتعمل هذه الثيران، فكم هي سمينة! أُخرجي من هنا، أيتها الكائنات المقززة!

وربطت الثيران في بعض العربات لإحضار الأحجار لفناء كانوا يبنونه.

عاد الملك من الحرب، وعندما قابل الملكة قال لها:

- كيف أصبحت سوداء جدا هكذا؟

- هذا من كثرة انتظارك في الحديقة في الشمس، أجابت الزنجية.

لم يكن الملك راضيا وكان حزينا جدا. كانت الحمامة تأتي كل يوم إلى القصر، وتطير فوق الحديقة، وتقف على الشباك وتقول:

- الملك والمغربية يجلسان في الظل،

وإخوتي يجرُّون الأحجار في الطين.

وأنا أمشي هائمة بين هذه الأشجار.

وكانت تسأل الخدم:

- كيف حال الملك مع الملكة المغربية؟

وكانوا يجيبونها:

- يُغنّي أحيانا ويبكي أحيانا.

ثم تسأل:

- والثيران الصغيرة؟

ويجاوبونها:

- تحمل الجير والصخور.

وتبكي الحمامة الصغيرة وتقول:

- مسكينة أنا، كم أعاني!

وذات يوم، دخلت الحمامة في غرفة الأمير، ولأن رقتها أعجبته كثيرا، سمح لها بأن تتجول في القصر كيفما شاءت. وعندما كان الملك والزنجية يجلسان لتناول الطعام، كانت الحمامة تتجول فوق الطاولة، تأكل من طبق الملك، وتتبرز في طبق الزنجية. وكان يقول:

- يا لها من حمامة جميلة ورقيقة!

وفجأة لاحظ الدبوس المغروز في رأسها. نزعه لها وفي الحال تحولت الحمامة إلى الملكة الجميلة. تعرَّف عليها الملك على الفور وعاش معها مرة أخرى سعيدًا جدًا. وقتلوا الزنجية، أما الثيران، فقد نغزها في أعناقها وعندئذ استعادت هيئتها البشرية. وأصبح الكل سعداء في قصر الملك.

(٣٩)

ماريكيبا وإخوتها السبعة[1]

ذات مرة، كان هناك زوجان عندهما سبعة أطفال من الذكور وليس لديهما ولا ابنة. وأخيرا، ولدت الأم طفلة وسعدت هي والأب والإخوة بها كثيرًا. ولكن الأب كان متعلقا جدًا بالطفلة، حتى أنه أصبح يسيئ معاملة إخوتها أكثر فأكثر. وعندما رأى الإخوة أنه ليس هناك شيء يفعلونه في البيت، قرروا أن يرحلوا. وقبل أن يفعلوا ذلك، ودَّعوا أختهم الصغرى وأهدوها خاتما.

مر الوقت، وأخذت الفتاة تغدو أكثر جمالاً كلما كبرت، وكان أبوها يحبها أكثر، لدرجة أن الأم بدأت تشعر بالغيرة من ابنتها نفسها. وكانت تملك مرآة سحرية وقالت لها:

- يا مرآتي، هل توجد في الدنيا امرأة أجمل مني؟

وكانت المرآة دائما تجيبها بلا، وأنها هي الأكثر جمالا، حتى قالت لها ذات يوم:

- نعم، ابنتك أكثر جمالاً منك.

---

(١) هذه الحكاية مطابقة لحكاية "الأم الغيورة" في قسمها الأول؛ ويمكنك أن تقرأها ابتـداءً من "لا بأس إذن، فلتبقى معنا...". - المترجمة.

اغتاظت الأم كثيرا وبدأت تسيئ معاملة ابنتها. وكانت ترسلها كل لحظة إلى النبع لتُحضر الماء، وإذا كسرت جرّة من الجرّار توبّخها وتضربها. ذات مرة، حبستها في غرفة، وهي تنوي ألا تتركها تخرج أبدا وسألت مرآتها الصغيرة:

- يا مرآتي، هل توجد في الدنيا امرأة أجمل مني؟

وأجابتها المرآة:

- نعم، المحبوسة في الغرفة أجمل منك.

وبما أن حبسها لم يفد بشيء، أمرت الأم الخدم بأن يحملوا ابنتها إلى الجبل ويقتلوها. لكن الخدم أشفقوا على الفتاة وتركوها في الحقل. وبدلاً منها قتلوا كلبة، وأخرجوا عينيها ولسانها وأخذوها إلى الأم، التي اعتقدت أنها كانت عيني ولسان ابنتها.

أخذت الفتاة تمشي في الجبل، إلى أن لمحت بيتا. اقتربت، ولأنها لم تشعر بأحد، دخلت. كانت المدخنة مشتعلة، وكان يوجد على الطاولة سبعة أطباق فارغة. فبدأت تطبخ الطعام، وعندما انتهت، رتبت البيت. ثم خرجت وتسلقت شجرة كانت بالقرب من هناك، وانتظرت لترى مَنْ سيصل.

في آخر النهار، وصل سبعة لصوص، وكانوا هم مَنْ يسكنون في البيت. وعندما دخلوا، ذهلوا من النظافة ومن الطعام الذي كان جاهزا.

- مَنْ عساه أن يكون قد جاء ليرتّب وينظف البيت؟

سأل أحدهم.

- مَنْ عساه أن يكون قد أعد لنا الطعام؟ قال آخر.

ولأنه بالقرب جدا منهم كان يعيش التنين وزوجته، خشوا أن يكونا قد أتيا وأعدا لهم طعاما مسموما. فقال أحدهم:

- سنعطي الكلبة الصغيرة منه أولاً، وإنْ لم يؤذها، فلن يؤذينا نحن أيضا.

وحدث نفس الشيء لعدة أيام أخرى، ودائما كان اللصوص يجربون الطعام في الكلبة الصغيرة ثم بعد ذلك يأكلونه هم.

ولأنهم لم يصبهم أي مكروه، قرروا أن يفاجئوا الشخص الذي يُعِدُّ لهم الطعام ويرتب لهم البيت. وفي الصباح، وبدلاً من أن يخرج السبعة، خرج ستة فقط وبقي قائدهم مختبئا داخل البيت. لكن الفتاة، التي كانت تعد السبعة كل يوم وهم يخرجون، وهذه المرة عدت ستة فقط، لم تتحرك من فوق الشجرة طوال اليوم.

وعندما رأوا أن ذلك عديم الفائدة، قرر اللصوص أن يعودوا في منتصف اليوم، بدلاً من آخر النهار، وهكذا فاجأوا الفتاة أثناء قيامها بأعمال البيت. ارتعبتْ الفتاة عندما رأت اللصوص يندفعون تجاهها، لكن قائدهم انتبه إلى الخاتم الذي كانت تلبسه وقال:

- اصمتوا جميعا، فهذه أختنا!

وهكذا تعرَّفوا على بعضهم وأصبحوا سعداء جدًا.

حكت لهم الفتاة ما حدث لها وقالوا هم:

- لا بأس إذن، فلتبقي معنا، تُعِدِّين الطعام وترتِّبين البيت. لكنْ لا تفتحي الباب لأحد.

اعتقدت الأم أن ابنتها ميتة، وسألت مرآتها الصغيرة مرة أخرى:

- يا مرآتي، هل يوجد في الدنيا امرأة أكثر جمالاً مني؟

- وأجابتها المرآة:

- نعم، ابنتك، الموجودة مع اللصوص في الجبل، أجمل منك.

اغتاظت الأم كثيرا وقالت: "سأقتلها مهما كلّف الأمر".

وعندئذ ذهبت الأم لتستشير ساحرة، وقالت لها الأخرى إنها ستذهب لزيارة الفتاة، وتحمل لها معها قميصا مسحورا.

وعندما وصلت إلى البيت الموجود في الغابة، طرقت الباب وسألت الفتاة:

- مَنْ أنتِ؟

وأجابت الساحرة:

- إنها أنا، جدتك، أتيتُ لأحضر لك هدية.

عندئذ فتحت الفتاة الباب وقالت لها الساحرة:

- انظري هذا القميص الجميل الذي طرزته لك.

صدقتها الفتاة؛ وأخذت القميص، وارتدته وفي الحال سقطت على الأرض كالميتة. ورحلت الساحرة.

عندما وصل اللصوص ورأوها ملقاة، ظنوا أنها ميتة، وأخذوا جميعا يبكون. ثم صنعوا لها صندوقا زجاجيا، ووضعوها فيه، حتى يراها الجميع، وألقوها في البحر.

كان ابن الملك يصطاد، ووجد الصندوق. أخذه ورأى أن بداخله تلك الفتاة الجميلة. أمر بأن يأخذوا الصندوق إلى القصر ويضعوه في غرفته. وحظر نهائيا أن يدخل أحد لرؤيتها، فقد أُغرِمَ بها كثيرًا، حتى أنه فكر في أن يتزوجها حتى وهي ميتة. وكان يمشي طوال اليوم حزينًا ثم مرض. سأله والداه عما به، ولكنه لم يرغب في أن يقول لهم شيئا. إلى أن نسي الأمير باب غرفته مفتوحا ذات يوم، ودخلت الأم. وهناك وجدت الصندوق الزجاجي. ذهبت ركضا لتسأل الأمير ماذا

يفعل بذلك الصندوق، ولم يكن أمام الأمير إلا أن يحكي لها الحكاية كلها، وأنه يريد الزواج بها أيضا. تعجبت الأم:

- ولكنْ يا بني، إذا كانت هذه الفتاة ميتة، فليس بوسعنا إلا دفنها.

جاء الملك، وباقي رجال القصر، وقالوا جميعا نفس الشيء. وأخيرًا اقتنع بأنه يجب أن يفعل كما كانوا يقولون، ووافق على أن يجهزوا لدفنها.

ولكنْ في اللحظة التي تركوا فيها الصندوق وحده، دخلت إحدى الخادمات، وعندما رأت القميص الجميل جدا الذي ترتديه الفتاة، فكرت: "فيمَ سيفيدها الآن قميص مثل هذا؟" رفعت الغطاء الزجاجي وبدأت تخلع القميص.

وعندئذ، حين أخذت تنزع عنها القميص، أخذت الفتاة تفيق. وعندما انتهت الخادمة من خلع القميص عنها، أفاقت تمامًا، وهي لا تعرف أين هي. خرجت الخادمة تركض وتصرخ وحضر الأمير. اندهش كثيرا لرؤية الفتاة حية وسألها كيف كان هذا ممكنا. حكى كل منهما ما حدث معه وصارا سعيدين جدا. وسريعا استدعوا الجميع واستعدوا للزفاف. وتزوَّجا وعاشا في سعادة. وألقوا بالأم في قِدْرٍ من الزيت المغلي، وأحرقوا الساحرة في المحرقة. ثم بعد ذلك نثروا الرماد في كل أنحاء القرية.

(٤٠)

الغربان السبعة

كان ياما كان، كان هناك زوجان، عندهما سبعة أطفال ولم تكن عندهما بنت واحدة. وأخيرًا، أنجبت الأم ابنة، وأصبح الكل سعداء. وذات يوم، لم يكن فيه ماء في البيت، أرسلت الأم أبناءها إلى النبع ليملئوا جرة؛ لكنْ لأنهم جميعهم أرادوا أن يحملوا الجرة ويُحضروها، أخذوا يتشاجرون، حتى كسروها. حينئذ ألقى الأب عليهم لعنة قائلا:

- ليتكم تتحولون إلى غربان!

وفي الحال تحول السبعة إخوة إلى غربان، وطاروا. أخذت الأم تمرض أكثر كل يوم، يائسة مما حدث، وماتت بعد فترة قصيرة. وقبل أن تموت بقليل، سلمت ابنتها خاتما. وكانت الفتاة، التي عاشت وحدها مع أبيها، تبكي وتبكي بلا عزاء.

وذات يوم، مر من هناك قزم، أشفق لرؤية الفتاة تبكي. وسألها عما حدث لها، وعندما حكت له الفتاة، قال لها:

- انظري، إذا أردتِ أن تفكّي أسْر إخوتك، عليك أن تذهبي إلى الجبل، حيث يعيش إخوتك في بيت. آه، وخذي معك قرعة!

شقت الفتاة طريقها ومعها القرعة، وبعد قليل قابلت القزم مرة أخرى. وحينئذ لاحظت أنها أضاعت القرعة، لكن القزم سامحها. سألته الفتاة:

- كيف أدخل البيت؟

وقال لها القزم:

- خذي هذه العظمة. وبها ستستطيعين أن تفتحي الباب.

لكن عندما وصلت الفتاة إلى البيت، كانت قد أضاعت العظمة أيضا. "لا يهم، فكرت. سأقطع إصبعي الخنصر وأفتح به الباب". وهكذا فعلت. عندما دخلت البيت قابلت القزم مرة أخرى، وقال لها:

- الآن، إذا كنت تريدين فعلا أن تفكّي سحر إخوتك، عليك أن تخيطي سبعة قمصان لهم. لكنْ لا يجب أن تقولي ولو كلمة واحدة لأي شخص. إذا تكلمت، ضاع كل شيء.

أخذت الفتاة تخيط، وتخيط، منتظرة أن يحضر السبعة غربان.

وبعد قليل وصلت السبعة غربان وهي تصرخ:

- توجد رائحة لحم بشري! توجد رائحة لحم بشري!

وعندما كانوا على وشك أن ينقضُّوا على الفتاة، رأى أحدهم الخاتم الذي ترتديه وصاح:

- توقفوا! فهذه أختنا، التي لا بد أنها جاءت لتفكّ سحرنا.

وهكذا مرت أيام طويلة، والغربان تنتظر أن تنتهي الفتاة من خياطة السبعة قمصان.

وفي ذلك الحين، حدث أن مرَّ من هناك ابن الملك، الذي كان عائدا من الصيد، فطارت السبعة غربان. وأخذ الأمير يسأل الفتاة مَنْ تكون وماذا تفعل في هذا المكان. وعندما رأى أنها لا تجيبه، أصر، وعندئذ أخذت الفتاة تشرح له بالإشارات أنها لا يمكنها أن تتحدث. سألها ابن الملك ما إذا كانت تريد أن تذهب معه إلى القصر، وقالت له الفتاة نعم. رحلا، والسبعة غربان تطير وراء الحاشية.

مرت الأيام، وكان ابن الملك يذهب كل يوم لزيارة الفتاة في غرفتها، ليرى ما إذا كان سينجح في التحدث معها. لكن الفتاة لم تفعل شيئا أكثر من أنها أخذت تخيط، وتخيط. وذات يوم انتهت من قميص، وفي يوم آخر انتهت من آخر، وهكذا انتظرت أن تتمكن قريبا من أن توضح للأمير كل ما كان يحدث. وكانت كل يوم، ترى من شباكها، إخوتها يطيرون، ولم يكن الأمير يفهم شيئا.

كانت تعيش معهم في القصر أيضا ابنة عم الأمير، وكانت تريد الزواج منه، وكانت تشعر بالغيرة كثيرًا من الفتاة. أخذت تقول عنها كلاما سيئا للملك والملكة، وتقول: إنها كانت تسخر من ابنهما بعدم رغبتها في التكلّم معه، ولا بد أنها ساحرة، لأنها تتعامل مع بعض الغربان المشؤومة التي تطير طوال الوقت حول القلعة. وأخذت تدسّ دسائس كثيرة، حتى قرر الملك في النهاية، أن يحبس الفتاة في زنزانة، وأن يجهز لها مشنقة لحرقها حية. وكان الأمير منكسر القلب؛ وهو يرى الفتاة لا تفعل أكثر من أن تخيط وتخيط. وكانت قد انتهت من خياطة ستة قمصان عندما حدد الملك موعد تنفيذ الإعدام في اليوم التالي.

قضت الفتاة تلك الليلة في الزنزانة تخيط بلا توقف، وعندما كانت الشمس تشرق، كادت تنتهي من آخر قميص. أخذوها إلى المشنقة، وأخذت تواصل الخياطة، حتى انتهت، في اللحظة التي كانوا سيشعلون فيها النار. وحينئذ نزل السبعة غربان التي كانت تطير، وجاء القزم الذي كان يسير بالقرب من هناك، وألبسهم القمصان. وفي الحال تحولوا إلى سبع فتيان في غاية الوسامة. ولم يستطع لا الملك ولا الملكة ولا الأمير ولا أي من الذين كانوا يشاهدون المشهد أن يصدقوا ما يرونه. وعندئذ شرحت لهم الفتاة كل ما حدث لها، وكيف أن هؤلاء الفتية هم إخوتها. ألغى الملك الإعدام وبدلاً من ذلك أمر بحرق ابنة عم الأمير، وحرقوها. وجعل إخوة الفتاة السبعة وزراء وزوج ابنه للفتاة. احتفلوا بالعرس أياما كثيرة وعاشوا جميعا سعداء.

(٤١)

صخرة العشاق

كانت هناك جزيرة يسمونها "صخرة العشاق". وكان يعيش هناك كونت وكونتيسة، وكانت أجمل مَنْ في الجزيرة. أنجبت الكونتيسة ابنة، وعندما ذهب سكان الجزيرة لرؤيتها، أخذ الجميع يقول: الأم جميلة، لكن الابنة أجمل".

شعرت الأم بالغيرة، وأمرت الخدم بأن يأخذوها إلى الجبل ويقتلوها. لم يكن أحد من الخدم يرغب في قتلها. أخذوا كلبًا وأخرجوا له عينيه، وتركوا الفتاة حية في الجبل. وعندما وجدت الفتاة نفسها وحيدة في الجبل، ذهبت لتجتمي في صخرة. ورأت وهي تتسلق شجرة سبعة لصوص آتين. قال قائدهم:

- افتحي يا وردة. اقفلي يا قرنفلة.

في اليوم التالي، عندما خرج اللصوص السبعة، قالت الفتاة: "افتحي يا وردة. اقفلي يا قرنفلة". ووجدت كل شيء غير مرتّب بالمرة. نظفت ورتبت كل شيء، وقالت مرة أخرى: "افتِحي يا وردة" و"اقفلي يا قرنفلة".

وعندما فتح اللصوص الصخرة ظلوا مذهولين. هناك أحد يقوم بنفس العمل كل يوم. ولكن القائد قال ذات يوم:

- اليوم، عندما أخرج، سأعود مرة أخرى لأرى مَنْ هو الشخص الذي يدخل هنا ويتفانى من أجلنا.

دُهش القائد كثيرا عندما دخل ورأى الفتاة.

- يا ابنتي! أنت أجمل من كونتيسة صخرة العشاق!

وعندما وصل باقي اللصوص، قال القائد:

- هذه أختنا. كل واحد منا عليه أن يهديها هدية.

أعطاها البعض أساور والبعض الآخر خواتم. كانوا يعتبرونها مثل أختهم تماما. وبقيت هناك لمدة عشر سنوات، وأصبحت أغنى مَنْ في الجزيرة.

ذات يوم، علمت الأم بأن هناك امرأة أجمل منها، لكنها لم تكن تعرف مكانها. بحث الكونت عن ابنته منذ أن أخذوها، لكنه لم يجدها أبدا.

أرسلت الأم، التي عرفت كل شيء وكان يملأها الحقد، في طلب غجرية:

- سأعطيكِ كيسا من الذهب، إذا أحضرتِ لي الصليب الذي وضعته لابنتي في رقبتها.

كانت الغجرية ساحرة. أخذت تتجول لمدة يومين في المنطقة، ومعها خاتم ذهبي مسحور بعلامة الكونتيسة. وذات يوم، قال اللصوص للطفلة إنها يمكنها أن تخرج قليلا خارج الصخرة لتتسلّى. وقالت لها الغجرية:

- يا ابنة روحي، كم من الوقت كنتُ أبحث عنكِ!

خذي هذا الخاتم الذهبي، فهو يلمع أكثر من الذي معك.

-لا يا سنيورة، عندي خواتم كثيرة، أهداها إليَّ إخوتي.

- لكن هذا أفضل بكثير. قولي لي ما هو سر صخرة العشاق.

أجابت الفتاة:

- لن أبيع إخوتي أبدًا، ولن أقول أبدًا سر الصخرة.

ألبستها الغجرية خاتم الكونتيسة، وفي الحال شُلَّتْ، مثل الميتة. أخذت الغجرية الصليب، وتركت الفتاة على باب الصخرة، وأخذت للكونتيسة صليب ابنتها. قالت لها إنها قتلتها وأنها تريد كيس الذهب.

وعندما وصل اللصوص، ورأوها ميتة، أخذوا يبكون، وقال قائدهم إنهم يجب أن يبحثوا عن فاعل هذه الجريمة. خرجوا تلك الليلة ليُحْضروا ثوبًا أبيضَ لإلباسها. ذهبوا إلى بيت الكونتيسة وسرقوا ثوبًا أبيضَ كان عليه صليب الفتاة. ألبسها اللصوص ووضعوها على باب الكونت.

عندما رأى الكونت هذا، لم يكن يعرف إذا كانت هذه ابنته أم لا. ولكنْ كان عليه أن يدفنها في أفضل مكان في مقابر الجزيرة.

وعندما كان الكونت يدفنها قال:

- لنرى لِمَنْ هذه الخواتم الكثيرة.

عندما أخرج الخاتم الذي عليه علامة الكونتيسة، عادت الفتاة إلى حالتها، وقالت:

- هذا أبي.

وقال الأب:

- هذه ابنتي. قولي لي عن سرّ اختفائك.

- لن أقول شيئا إذا لم تَعْفُ عن إخوتي.

بما أن الكونت كان ملك الجزيرة، وافق على العفو عنهم. وفي اليوم التالي، ذهبوا إلى الصخرة، وقالت الفتاة للأب:

- سأدخل لأرى إخوتي.

وعندما وصلت، قالت الفتاة: "افتحي يا وردة"، ورأى الكونت اللصوص السبعة ومعهم البنادق جاهزة.

- لا تطلقوا النار يا إخوتي، فقد تمَّ العفو عنكم، قالت الفتاة.

عانق اللصوص الفتاة بسعادة فقد كانوا يظنون أنها ميتة.

ذهبوا إلى قصر الملك. أمر الملك بإحضار الخدم القدامى، واعترفوا بأن الكونتيسة هي التي أمرتهم بقتل الفتاة، لكنهم لم يريدوا أن يقتلوها.

سامح الكونت الخدم. وحبس زوجته تحت الأرض. وكلف اللصوص بأن يجدوا الغجرية ويضعوها تحت الأرض في نفس المكان الذي توجد فيه الكونتيسة، وبقيت الابنة هي الأجمل في الجزيرة.

(٤٢)

العصفور الذي يتكلم، والشجرة التي تغني، والمياه الصفراء

كان يعيش في قرية، ذات مرة، ثلاث أخوات خياطات يتيمات، لأب خياط، لم يترك لهن قبل الممات إلا حرفته. كانت الأخوات الثلاثة يعشن ضوائق كثيرة. وذات يوم، كانت الأخوات الثلاث يَخِطْنَ، وكانت النافذة مفتوحة، تنهدت الكبرى وقالت:

– ليتني أتزوج ابن الملك، حتى آكل ملء بطني من الحلويات والطعام الشهي.

وقالت الوسطى بتنهيدة أخرى:

– أما أنا، فأريد أن أتزوج ابن الملك لأذهب إلى كل مكان بالعربة، وحتى لا يكون عليَّ أن أدعك الأرضيات ولا شيء من هذا.

حينئذ قالت الصغرى:

– أما أنا، فليتني أتزوج ابن الملك لأنجب له ولدين:

ذكرا في منتهى الجمال، وطفلة على جبينها نجمة صغيرة.

أما ابن الملك، الذي كان يمر من هناك، وظل عند حافة النافذة يسمع، فقد ذهب إلى قصره وأمر بإحضارهن. فزعت الأخوات الثلاث في البداية، وظنَنَّ أن شيئا سيحدث لهن، لكن الأمير قال لهن: إنه سمع الحديث الذي دار بينهن واختار أصغرهن ليتزوج بها. ويمكن للأختين الكبيرتين أن تبقيا في القصر، تساعدان وتصحبان أختهما. وشعرت الاثنتان بحقد كبير نحو أختهما الصغرى، لكنهما وافقتا.

احتفلوا بالزفاف وبعد وقت قليل حملت الأميرة. وفي هذه الأثناء تم إعلان حرب، وكان على ابن الملك أن يرحل، تاركًا زوجته في رعاية أختيها. وعندما كان الأمير لا يزال في الحرب، أنجبت الزوجة توأمين: ذكرًا في منتهى الجمال، وطفلة على جبينها نجمة صغيرة. وكانت الأم لا تزال غير واعية، عندما قررت أختاها وضع الطفلين في صندوق وإلقاءهما في النهر ليغرقا. وقتلا أيضا كلبا وقطة، وسلختاهما وقدمتاهما للأميرة وللبلاط على أنهما ثمرة إنتاجها؛ ثم كتبتا للأمير، تقولان له إن زوجته أنجبت وحشين.

أجاب الأمير، وهو متضايق جدا، بأن يقتلوا الوحشين ويحبسوا زوجته حية.

وكان هناك طحان، يعيش على ضفة النهر مع عائلته، وجد الصندوق يطفو في الماء، أخذه، وعندما رأى أنهما طفلان، حملهما إلى البيت. ولم ترحب زوجته كثيرا في البداية، فلديهما أربعة أفواه أخرى ليطعموها، وكانوا فقراء جدًا؛ لكنها في النهاية، شعرت بالإشفاق عليهما، ووافقت على أن يبقيا معهم؛ يربيانهما كأولادهما تماما.

مرت سنوات، وذات يوم، كان الأولاد في المدرسة، وحدث شجار بين ابن الطحان والفتى الذي تمَّ إنقاذه من الغرق. قال الأول للآخر:

- أنتَ وأختك أولاد حرام، لأنكما ليس لديكما أب ولا أم غير النهر، مثل العلجوم والضفدع.

حزن الفتى كثيرًا وذهب ليسأل الطحان. حينئذ حكى له الحقيقة، وكيف أنه هو بنفسه أخرجهما من النهر في صندوق.

فكر الأخوان في أن أفضل شيء هو أن يرحلا، وفي اليوم التالي، مبكرًا جدا، ودون أن يقولا أي شيء لأي شخص، أخذا ما هو ضروري وذهبا إلى الغابة. وهناك بنيا كوخًا، وعاشا مما اصطاده هو وباعته هي، فكانت تنزل إلى القرية للبيع وتعود ثانية إلى الكوخ.

وذات يوم، اقتربت من هناك عجوز مسكينة تطلب حسنة. أعطتها الفتاة شيئًا لتأكله وحينئذ قالت العجوز:

- يا له من كوخ جميل! خسارة أنكما ليس لديكما العصفور الذي يتكلم، والشجرة التي تغني، والمياه الصفراء. بها ستملكون كل شيء.

ودون أن تقول المزيد، رحلت.

أخذت الفتاة تفكر فيما عسى أن يكون معنى هذا الكلام، وعندما وصل أخوها، حكت له. قال الفتى:

- ليكن ما يكون، يجب أن نجد هذه الأشياء الثلاثة. سأذهب حول العالم بحثا عنها. سأترك لك سيفي. في اليوم الذي سينزف منه دمٌ، اعلمي أنني في خطر.

ودَّع أخته ورحل. مشى، ثم مشى، ووجد كاهنا جالسا على صخرة عالية، وذقنه البيضاء تصل إلى الأرض.

- إلى أين أنت ذاهب أيها الفتى؟ سأله.

- أنا ذاهب لأبحث عن العصفور الذي يتكلم، والشجرة التي تغني، والمياه الصفراء.

- عُدْ! عُدْ!، فكثيرون ذهبوا ليبحثوا عنها ولم يَعُدْ منهم أحد!

عندئذ أصرَّ الفتى، عندما لاحظ أن ذلك الرجل كان يعرف ما يهمه.

- حسنا، قال الراهب. إذا كنت تريد هذا، اصعدْ فوق هنا وسُدَّ أذنيك جيدا حتى لا تسمع شيئا. خذ هذه الكرة، واجعلها تلفّ وتابعها حتى تتوقف. ولكنْ مهما سمعت
من أصوات، وضجيج، وشتائم وعواء، لا تنظر إلا إلى الأمام. إذا لم تفعل، ستتحول إلى صخرة سوداء.

اتبع الفتى تعليماته؛ صعد على الصخرة، رمى الكرة، وأخذ يجري وراءها. لكن الصرخات، والضجيج والشتائم كانت قوية جدا، لدرجة أنه لم يستطع أن يقاوم غواية النظر وراءه، وتحول إلى صخرة سوداء، مثل الكثيرين هناك.

رأت الفتاة على الفور الدم يسيل من السيف، وبدأت طريقها. وبعد أن مشت كثيرا، قابلت الراهب، وقال لها:

- إلى أين أنت ذاهبة أيتها الفتاة؟

- ذاهبة لأبحث عن أخي الذي خرج بحثا عن العصفور الذي يتكلم، والشجرة التي تغني، والمياه الصفراء، أجابت هي.

حذرها العجوز تماما مثلما حذر أخاها، لكنه شرح لها أيضا ما عليها أن تفعله إنْ أرادت. أخذت الفتاة تلفّ الكرة، وذهبت وراءها، ومهما صرخوا فيها وسبُّوها من خلف ظهرها ظلت تنظر إلى الأمام حتى توقفت الكرة.

وهكذا وجدت نفسها في الحديقة التي يوجد فيها الطائر الذي يتكلم، والشجرة التي تغني، والمياه الصفراء. أول شيء رأته كان العصفور، وقال لها:

- أتيتِ باحثةً عني؟

- نعم، ماذا عساي أن أفعل؟ سألت الفتاة.

- انظري، تلك التي ترينها هناك هي الشجرة التي تغني. خذي غصنا. هناك ستجدين نبع المياه الصفراء، وفيه سبع مواسير. املئي جرة، لكن احذري ألا تملئي من الماسورة التي تنبثق منها أقل كمية ماء. ثم بعد ذلك اذهبي وارمي الماء على الصخور السوداء، حتى تَجدِي أخاكِ.

فعلت الفتاة كما قال لها العصفور. أخذت تصب قطرات من الماء على الصخور السوداء، التي تحولت في الحال إلى أمراء وأشخاص آخرين، حتى وجدت صخرة أخيها، الذي تم فكّ سحره أيضا وعانق أخته.

عاد الاثنان إلى كوخهما، وعندما وصلا، سألت الفتاة العصفور:

- وماذا نفعل الآن بالغصن والجرة؟

- فلتزرعا الغصن أمام البيت وقوما بصبِّ جرة الماء بجانبه، قال العصفور.

وهكذا فعلا، وتحول الغصن في الحال إلى شجرة تشبه تماما تلك التي وجدتها الفتاة، وإلى جانبها تكوَّن نبعٌ من المياه الصفراء. أخذ العصفور يطير وصعد فوق الشجرة، وأخذت تتصاعد أنغام في منتهى الروعة.

وفي يوم آخر، خرج الأخ ليصطاد وتصادف أن ابن الملك كان يصطاد أيضًا، رغم أنه لم يستطع أن يحصل على أي قطعة. في المقابل كان الفتى قد اصطاد أرانب عديدة، وأهدى واحدًا للأمير. وقام هو، ممتنًا، بدعوته ليذهب إلى القصر، لكن الآخر قال: إن عليه أن يقوم باستشارة.

عندما عاد إلى الكوخ، حكى لأخته عن لقائه بالأمير– وسألت هي العصفور:

- هل من المناسب أن يذهب أخي إلى قصر الأمير؟

- المناسب هو أن يأتي الأمير إلى هذا الكوخ، أجاب العصفور.

وهكذا ذهب الأخ ليقول للأمير: إنه هو وأخته يتشرفان بدعوته إلى كوخهما لأنهما يريدان أن يُرياه بعض الأشياء التي من المؤكد أنه لم يرَ مثلها في حياته من قبل. شعر الأمير بالفضول وقَبِل الدعوة. وعندما وصل إلى الكوخ، بدأتْ الشجرة تغنّي بصوت رخيم جدًا، لدرجة أنها تركت الأمير مفتونًا. أمعن النظر أيضًا في نبع المياه الصفراء ورأى الأخوين يتحدثان مع العصفور وكأن هذا شيء عادي. حينئذ قال:

- كيف أكون أنا ملكًا، وليس عندي هذه العجائب الثلاثة؟ يجب أن تأتوا معي إلى القصر ومعكما عصفوركما لأنه إذا لم تفعلا، لن يصدقوا أبدًا.

حددوا موعدا للزيارة، وعندما جاء اليوم، قال العصفور للأخوين:

- ستأكلون اليوم في بيت أبيكما.

بقي الأخوان صامتين من الدهشة. وحينئذ حكى لهما العصفور حكايتهما الحقيقية وأضاف:

- عندما تكونان هناك، لا تجرّبا أي شيء من أي صنف، حتى تريا أنني نقرت عليه بمنقاري، لأن خالتيكما ستتعرّفان عليكما وستحاولان تسميمكما.

وبالفعل، وصلا إلى القصر واستقبلهما الملك بترحاب. وعندما رأتهما خالتاهما، قالت واحدة للأخرى:

- انظري إلى النجمة التي على جبينها. هذان هما أولاد أختنا. إضافة إلى أنهما شبه متطابقين، لأنهما توأمان.

بدأ الأكل وبدأ تقديم الأطباق من المطبخ للأخوين. نظرا إلى العصفور ولأنهما رأيا أنه لم يلمس، ولا طبقا بمنقاره، لم يأكلا شيئا وتركا كل الأطباق تمرّ دون أن يأخذوا شيئا. انتبه الملك لذلك وسألهما:

– لماذا لا تأكلان؟

حينئذ أجاب العصفور بالنيابة عنهما:

– لأنهما ولداك ولا يريدان أن يموتا مسمومين.

ذُهل الملك كثيرًا عند سماع هذا، وطلب من العصفور أن يوضح له أكثر. وحكى له العصفور كل الحكاية. تحركت مشاعر الملك، وذهب لولديه وقبّلهما. وأمر بأن يُخرجوا من الزنزانة في الحال تلك المرأة المسكينة التي كانت زوجته، التي خرجت من هناك ضعيفة جدًا، لأنها في خلال كل تلك السنين لم تأكل إلا خبزا وماءً. لكنْ أعطاها ولداها المياه الصفراء واستعادت قوتها سريعا جدا. زرعوا في الحديقة شجرة أخرى، كانت تطرب كل من يعيشون في القصر بأغانيها الجميلة، وصنعوا نبعا آخر من المياه الصفراء لعلاج كل أنواع الأمراض، ولهذا عاشوا دائما في سعادة. أما الخالتان الحقودتان، فحبسوهما حيتين حتى الموت.

(٤٣)
ماريكيبيا في مأمورية

كان هناك تاجر أرمل عنده فتاة؛ وكان يسافر كل هذه السنين ليجني مالاً من أعماله، وكان يتأخر في العودة. وفي سنة من السنين، عندما أصبحت الفتاة شابة صغيرة، لم يعرف الأب أين يتركها، حتى تكون بخير، ولا ينقصها شيء إلى أن يعود. حينئذ قالت له الفتاة:

- يا أبي، كنت أفكر في أن تبني لي قلعة في أرضنا؛ ونضع هناك كل ما نملكه، وكل ما يمكن أن أحتاجه حتى لا أخرج منها وأنت غير موجود. وأن تُحضر لي أيضا إحدى عشرة فتاة؛ لِيَكُنَّ في صحبتي ومن بينهن ماريكيبيا الوزيرة، لتسلّينا وترفه عنا بأشيائها.

فعل الأب كل ما قالته ابنته، وعندما أصبح كل شيء جاهزا، ذهب إلى بيت الشابات ليُحضرهن. وفي حين أن كل الآباء كانوا مقتنعين بأن العيش في القلعة صعب جدا، إلا أنهم وافقوا تحت الضغط، وذهبن كلهن مهندمات إلى ابنة التاجر. وعندما سافر، أخذ المفتاح، وبقيت الاثنتي عشرة فتاة فَرِحات جدا ومسرورات، لأنه يوجد لديهن داخل القلعة، كل ما كُنَّ يحتجن إليه ويرغبن فيه. اعتادت الفتيات على أن يطللن من الشرفة، وكُنَّ يرين ضوءً مبهما وبعيدًا جدا. دخلت ماريكيبيا بفضول وقالت للأخريات إنها تريد أن ترى ماذا يكون هذا الضوء؛ لكنهن ضحكن، لأنه لم يكن هناك مفتاح ليخرجن، وحينئذ أخرجت هي مفتاحا وفتحن وخرجن كلهن يقفزن ويركضن في اتجاه مكان الضوء.

كان بيت لصوص، وعندما وصلن، رأين رجلا عجوزا كان يطبخ، دخلن، وقال هو:

- مرحبا، يا لَكُنَّ من اثنتي عشرة وردة! اُدْخُلْنَ...

ماريكيبا، التي كانت أفقر واحدة منهن لكنها كانت أجملهن وكان لديها مخرج من كل شيء، نظرت حولها في كل مكان، ورأت غلاية فيها قدم ويد طفل؛ وممتعضة من هذا، ألقت الغلاية بما فيها على الأرض، وركضنَ كلهن، بينما كان العجوز يصرخ:

- إنهن لَسْنَ ورودا، بل هُنَّ شياطين!

دخلن القلعة وأحكمن إغلاق كل شيء جيدا. وفي هذه الأثناء، وصل اللصوص إلى البيت وحكى لهم العجوز كل ما حدث، وتركوا واحدا منهم كحراسة ليمسك بالفتيات؛ لكن ماريكيبا قالت: إنه لا يجب أن يذهبن إلى هناك خلال هذه الأيام وتركنه لليلة أخرى. بعد يومين، ذهبن معًا مرة أخرى، رغم الخوف الشديد الذي كن يشعرن به. وعندما دخلن البيت، بدأ العجوز يتوسل إليهن ألا يفعلن به شيئا. لكنهن بدأن يلقينه بكل شيء أمامهن وتسببن في ضجيج كثير، ووصل اللصوص ورأوهن يركضن ويدخلن القلعة. وبعد مرور بضعة أيام أخرى، ذهبن للمرة الثالثة، وعندما دخلن، كان لص الحراسة موجودا، وخرج يدعوهن إلى الطعام. أرادت كل الفتيات أن يغادرنَ، أما ماريا فرفضت؛ وطلبت منهن أن يجلسن ليأكلن. وعندما وصل باقي اللصوص، جرى ريقهم عند رؤية البنات الجميلات جدًا، على الرغم من أنهن كن ميتات من الخوف. حان وقت العشاء وقالت ماريكيبا:

- دعونا نتعشّى ثم نرى ماذا سيحدث.

وعندما كانوا ذاهبين للنوم، طلبت هي أن يذهب الرجال أولاً ثم بعد ذلك النساء. وافق اللصوص، وطلبت ماريكيبا وعاء من الماء لتزيل القمل. كانوا يسمعهن يتحدثن كثيرًا، وكانوا يسمعون أجملهن، التي كانت تقول من حين لآخر: "الآن أنتِ"، واعتقدوا أنه دور كل واحدة منهن لإزالة القمل، في حين أن ما كانت تقوله ماريكيبا هو أن يهربن واحدة وراء الأخرى. وعندما أصبحت بمفردها، أخذت دجاجة وألقتها في الماء نصف ميتة لتهز الماء بأجنحتها بينما تهرب هي. ولما تعب اللصوص من الانتظار، أطلوا ورأوا أنه لا يوجد أحد؛ واتفقوا على أن يتنكر زعيمهم في شكل امرأة عجوز، وأن يحمل إلى القلعة سلّة بها تين يُنَوِّم.

وعندما اقترب زعيمهم من باب القلعة، أخذ يبكي ويشكو؛ خرجت ماريكيبا وقالت له:

- مرحبا أيتها العجوز، ماذا بك؟

- أنا آتية من بعيد جدا، ولا أعلم ماذا سيحدث لي؛ إذا أردتم أن تفعلوا خيرا استضيفوني!

- حسنا فلتدخلي.

عارضتْ باقي زميلاتها، خوفًا من أن يكون فخا من اللصوص، وعندما يعود التاجر سيوبِّخهن. لكن ماريكيبا أجلستها بجوار شمعة وسألتها ماذا تحمل في السلة.

- يا بناتي، أنا أحمل في السلة تينا للقسيس.

- حسنا نحن نريد أن تعطينا منه لنجرِّبه.

- لا يمكن، يا ابنتي، لأن القسيس سيعرف أنه ناقص.

ألحّتْ ماريكيبا كثيرا حتى أهدت العجوز تينتين لكل واحدة. تظاهرت ماريكيبا بأنها تأكل، ورأت أن كل زميلاتها نمْنَ؛ وعندئذ تظاهر هو أيضا بالنوم؛ لكنه قبل ذلك ساعد ماريكيبا في أخذ كل واحدة إلى سريرها، لأنه ولا واحدة منهن كانت واعية بنفسها. رأت ماريكيبا، وهي متظاهرة بالنوم، أن المرأة العجوز أشعلت شمعة، وأخذت تلقي قطرة من الشمع على وجه كل منهن لتشفي غليلها؛ احتملت هي الألم وخرجت على أطراف أصابعها وراء العجوز، التي وقفت في الشرفة وصفّرت. وعندئذ أمسكت بها ماريكيبا من الخلف ودفعت بها إلى الحقل.

جاء اللصوص، وعندما رأوا زعيمهم في هذه الحالة، حملوه إلى البيت وأقسموا على أن ينتقموا.

عندما عاد التاجر ورأى أنهن جميعا بخير وسعادة، أعطاهن هدايا كثيرة وعادت كل واحدة إلى بيتها. كانت الصديقات يذهبن لزيارة السينيوريتا، وفي مرة من المرات، طلبت ماريكيبا زي رجل، وعصا، وسكينا، ورطلا من الملح. وذهبت مباشرة إلى بيت اللصوص وتنكرت في زي طبيب، لتعالج الزعيم، الذي كان ما يزال في الفراش. تركها اللصوص تدخل، وطلبت هي منهم أن يغلقوا عليها الغرفة مع المريض، لأن عليها أن تقوم بعمل علاج سحري، وأن لا يهتموا حتى إذا سمعوا صوت صراخ كثير، لأنها ستقوم بإعادة العظام إلى مكانها.

دخلت ماريكيبا الغرفة وأغلقت من الداخل. عندما تعرّف عليها المريض، طلب منها السماح، وألا تفعل به شيئا؛ أما هي فهددته بالسكين وأخذت تضع الملح على الجروح ثم ضمدتها. وعند خروجها، كلفتهم بألا يروه إلا بعد ساعتين وشقت طريقها إلى القرية لتحكي لصديقاتها ماذا فعلت. وعندما رأى اللصوص أن زعيمهم يصرخ كثيرا جدا، دخلوا وعلموا بكل ما حدث.

بعد مرور بضعة شهور، عندما كان لم يَعُدْ أحد يتذكر ما حدث، رأت ماريكييا فارسا متأنقا جدا يمر في الشارع، أخذ يغازلها بمجاملات غرامية كثيرة وطلب أن يتزوجها. وافقت هي بسعادة بالغة، ولم ترغب في أن تقول لأحد إنها اكتشفت أن ذلك الفارس الأنيق هو زعيم اللصوص الذي ملّحَتْهُ.

وكانت هناك سعادة بالغة في القرية، أهدت جميع الصديقات الهدايا، وتم تجهيز كل شيء بترف وتمّ إعداد احتفالات ليلة الزفاف. وفي اليوم السابق، كلفت ماريا الحلواني بأن يصنع لها دمية من الحلوى، بالحجم الطبيعي، وخيطا لتحريك رأسها.

تزوّجا، وعندما كان الناس ما يزالون في الحفل، ذهبت ماريكييا إلى غرفتها، وضعت الدمية في الفراش، وربطت شريطا في الخيط ليصل إلى الأرض عبر ثقب في المرتبة. وفي الفجر، قالت للزعيم إنها ستذهب للفراش أولا ودخلت تحت السرير. بعد قليل دخل هو، وأخذ يطعن الدمية، وقال لها إن الوقت قد حان لتدفع ثمن كل ما فعلت. شدت ماريكييا الحبل وحركت الدمية رأسها كما لو كانت موافقة على كل ما يقوله الزعيم. أخرج هو سكينا وطعنها في قلبها، وسال منها عسل ولامس شفتيه.

حينئذ شعر الزعيم بالندم وقال:

- يا خسارة يا ماريكييا، حتى دمك حلو!

وأخذ يعانق الدمية ويقبّلها كثيرا. وعندما رأت ماريكييا أن الزعيم بكى كثيرا، ورأت كم كان جميلا ووسيما، خرجت من تحت السرير وقالت له:

- لا بأس فماريكييا حية.

حينئذ تعانق الاثنان، وأصبحا سعيدين للغاية. أما أنا فقد ذهبت وأتيت ولم يعطوني شيئا.

ج- الأطفال الشجعان

(٤٤)

ميجيلين الشجاع

منذ زمن بعيد جدًا، كان هناك زوجان فقيران جدًا وكان عندهما ثلاثة أطفال. كان أصغرهم اسمه ميجيلين، وبالرغم من أنه كان صغيرا جدًا، جدًا جدًا، كان مشهورا بفطنته وشجاعته. وكان أخواه يسخران منه، لكنهما كانا يحقدان عليه أيضا. ذات يوم، قال لهم الأب إنه لم يعد قادرا على إعالتهم بعد الآن، وإن عليهم أن يبحثوا عن قوت يومهم. وهكذا قرر الإخوة الثلاثة أن يرحلوا.

مشوا ثم مشوا إلى الأمام، وحل عليهم الليل وهم في منتصف الريف. لم يعرفوا ماذا يفعلون أو أين يذهبون، حتى تراءى لهم من بعيد ضوء بيت. اقتربوا وطرقوا الباب. وعندما فُتح الباب، ظهرت ماردة مريعة، سألتهم بودّ شديد عمَّنْ يكونون، وإلى أين يتوجهون. لم يستطع أحد من الأخوين الكبيرين حتى أن يفتح فمه من الخوف الذي كان يعتريهما، لكن ميجيلين أجاب:

– لقد ضللنا الطريق، ولا نعرف أين نقضي الليلة.

– حسنا، أيها الفتية ـــ لا بأس. يمكنكم البقاء هنا. تناولوا العشاء وفي صباح الغد يمكنكم أن تواصلوا طريقكم.

عندما دخلوا البيت، رأوا المارد أيضا، الذي كان جالسا على الطاولة، يلعق كومة من العظام. استقبلهم المارد بترحيب، وقال لهم: إنه ليس لديهم سوى سرير واحد حيث تنام بناتهما الثلاث، ولكنْ يمكنهم أن يناموا بجوارهن. طالما كان هذا لليلة واحدة...

وهكذا فعلوا، قرب المارد بناته الثلاث من الحائط ووضع الإخوة الثلاثة على الحافة. ثم أغلق كل الأنوار وذهب لينام. لكن ميجيلين، الذي كان متشككا جدا من هذا الود الزائد، لم يَنَمْ، وسمع المارد يقول للماردة:

- أمامنا حتى الصباح. بمجرد أن يناموا، سأذبحهم.

عندئذ أيقظ ميجيلين أخويه بهدوء وجعلهما يبدلان مكانهما قليلا قليلا مكان بنات المارد الثلاث، اللاتي بقين هكذا على الحافة، والآخرون بجوار الحائط.

بعد قليل، شعر ميجيلين بالمارد قادما على أطراف أصابعه، واقترب من السرير، وتحسس بجوار الحافة، وترك فأسه يسقط ثلاث مرات، وهكذا قتل بناته الثلاث، وفي الحال عاد إلى غرفته. أيقظ ميجيلين أخويه ثانية وأمرهما بأن يرتديا ثيابهما دون إحداث أي ضوضاء. فتحوا الباب الذي كان موجودا في غرفة النوم وخرجوا منه إلى الحقل وأخذوا يركضون مع بزوغ النهار.

ودون أن يتوقفوا عن الركض وصلوا إلى قصر الملك. وهناك حكوا له ما حدث لهم. الملك، الذي كانت له نزاعات مع المارد منذ وقت طويل جدا حول حطب الغابة، استضافهم في قلعته وأعطاهم وظيفة. وبعد وقت قليل، لاحظ الملك أن أذكاهم هو ميجيلين وعيَّنه مستشارا له، تاركًا المهام الأكثر قسوة للأخوين. شعر هذان بحقد كبير على أخيهما وقررا تدبير نهاية له. وذات يوم قالا للملك:

- هل تعلم جلالتك أن المارد لديه أجمل حصان في العالم؟

- لا، لم أكن أعرف.

- وهل تعرف جلالتك ماذا يقول ميجيلين؟

- ماذا يقول؟

- يقول إنه قادر على أن يذهب ويسرقه لجلالتك.

دخلت في رأس الملك فكرة اقتناء هذا الحصان، وسأل ميجيلين ما إذا كان قد قال هذا فعلا. قال ميجيلين لا، ولكنْ لأن الملك كانت عنده رغبة كبيرة جدا في اقتناء هذا الحصان، أجبره على أن يذهب إلى بيت المارد وأن يُحضره له. لم يُرِدْ ميجيلين أن يُغضب الملك، وبدأ طريقه، قلقًا جدا، يفكر في كيف سيتدبر هذا الأمر.

وفي أثناء هذا، قابل رجلا عجوزا، وعندما رأى وجهه قلقا، سأله عما به. حكى له ميجيلين، وقال له العجوز:

- انظرْ، عليك أن تستغل الساعة العاشرة، وهي الساعة التي يخرج فيها الحصان ليأكل الخضرة. إذا لم تفعل، سيكون عليك أن تواجه المارد. لكن إذا لم يكن أمامك حلّ آخر، اختبئ جيدا.

أسرع ميجيلين خطوته ليصل قبل الساعة العاشرة، ولكنْ لأنه كان صغيرا جدا، لم تجعله خطواته يتقدم كما كان يرغب، وعندما وصل إلى بيت المارد، كان الحصان قد أكل بالفعل وكان مربوطا في الإسطبل. دخل ميجيلين الإسطبل وقام باستخدام عصا كانت هناك، وحفر حفرة كافية ليختبئ بها. ثم بدأ يفك الحصان، لكنه أخذ يركل ويعضّ ويصهل بكل قوته حتى دوَّى صوته في البيت، إلى حد أن المارد حضر. عندما سمع ميجيلين خطوات المارد القوية جدا، دخل في مخبئه. فتش المارد الإسطبل بالكامل، هدَّأ حصانه، وعندما رأى أنه ليس هناك شيء غير عادي، عاد إلى البيت مستاءً جدا من أن الحصان جعله يذهب إلى هناك هباءً. بعد

فترة قصيرة، خرج ميجيلين من مخبئه وحاول مرة أخرى فك الحصان، ولكن الحصان أخذ يرفص ويصهل مرة أخرى، حتى جعل المارد يأتي ثانية، وهو يسبّ ويتوعد. وبمجرد أن شعر به يقترب، وضع ميجيلين نفسه في حفرته، وعندما دخل المارد ولم ير أحدا. ظن أن ذلك كان حالة خبل من الحصان، وليعالجه منها، أخذ يعطيه ضربات مروعة بعصا، حتى تركه نصف مشلول. ثم تراجع متوعّدا الحصان بأفظع التهديدات.

خرج ميجيلين مرة أخرى، ولكنْ في هذه المرة، لم يَعُدْ الحصان يجرؤ على أن يتحرك أو يصهل، واتّبع الفتى بانقياد.

عندما عاد إلى القلعة، وهو صغير جدا معتليًا حصانًا كبيرًا جدًا وجميلاً، استقبله الملك بسعادة بالغة ووعده بقطيع من الغنم. أما أخواه، اللذان لم يستطيعا تصديق ما حدث، فقد شعرا بالغيرة أكثر وبدآ يفكران في تخطيط نهاية جديدة له.

وذات يوم، بدآ يقولان للملكة: إنه يوجد في بيت المارد ببغاء رائع، يتكلم جيدا جدا، ويدخل في حوارات مع كل النساء.

- أتعرفين جلالتك ماذا يقول ميجيلين؟

- ماذا يقول؟

- يقول: إن من السهل جدا عليه أن يذهب إلى هناك ويسرقه لجلالتك.

- هل هذا صحيح؟ سألت الملكة الفتى.

- لم يجرؤ ميجيلين على أن يُغضب الملكة، ورغم أنه لم يقل: لا نعم ولا لا، اعتبرتها هي نعم. وبدأ ميجيلين طريقه إلى بيت المارد مرة أخرى، وعندما قابل العجوز، كان مثقلا بمدى الخطورة التي بدت له بها هذه المغامرة. وعندما رآه هذا قلقا جدًا، سأله عما به. حكى له ميجيلين أن عليه الآن أن يسرق ببغاء المارد، على أن يضع في اعتباره أن الببغاء يتكلم.

– حسنا، دعني أفكر، قال العجوز: وجدتُها؛ ستذهب وتدخل من الباب السرّي عندما يكون المارد والماردة نائمين. اقتربْ من الببغاء ببطء شديد، وشُدَّه جيدا من منقاره، حتى لا يقول شيئا. إذا لم يحدث هذا، سيكون عليك أن تواجه المارد. ولكنْ إن لم يكن أمامك حل آخر، اختبئ جيدا.

فعل ميجيلين كل ما قاله، لكنه لم يفلح في الإمساك بمنقار الببغاء من أول مرة، وأخذ الآخر يثير فضيحة، صائحا: "سيدى، إنهم يسرقونني؛ سيدي، إنهم يسرقونني!"، واستيقظ المارد على هذا، وبدأ يبحث في كل أركان الغرفة. ولكنْ لأن ميجيلين كان صغيرا جدا، اختبأ في واحدة من طيات الستارة، ولم ينتبه له المارد. عاد للنوم، وانتظر الفتى حتى ينام. خرج من الستارة، واقترب مرة أخرى من الببغاء، لكن الببغاء، الذي كان منتبها، اعتصر يده وأخذ يصرخ: "سيدي، إنهم يسرقونني؛ سيدي، إنهم يسرقونني!" أفاق المارد وأخذ يبحث، لكن ميجيلين كان قد اختبأ في طيات الستارة، أما المارد، الذي أنهك من البحث في كل مكان، فقد ظن أن الببغاء يخرّف. ذهب إليه وصفعه صفعة أفقدته الرغبة في الصياح لفترة. حينئذ أخذه ميجيلين بسهولة بالغة وذهب به إلى القصر.

عندما رأت الملكة الببغاء، فرحت كثيرا ووعدته بقطيع من البقر. وقالت له أيضا:

– كم أنت شجاع يا ميجيلين!

وأجاب هو:

– لا شجاعة ولا شيء...

عندئذ رتب الأخوان فخا جديدا. ولأن ابنة الملك كانت في سن الزواج، ذهبا وقالا لها:

– هل تعرفين سموكِ أين توجد أجمل بطانية في الدنيا يجب أن تزيّن فراش الأميرة يوم زفافها؟

- لا، أين؟ قالت الأميرة.

- في بيت المارد، على فراش المارد والماردة. وهل تعرفين سموكِ ماذا يقول ميجيلين؟

- لا، ما ذا يقول؟

- يقول: إنه سيكون من دواعي سروره أن يُحضرها لسموكِ كهدية لزفافك.

بحثت الأميرة عن ميجيلين وسألته ما إذا كان ما يقوله أخواه صحيحا. أما ميجيلين، الذي رأى أنه ليس أمامه إلا أن يذهب بحثا عن البطانية حتى لا يُغضب الأميرة، فلم يقل: لا نعم ولا لا، لكنه بدأ طريقه. قابل العجوز مرة أخرى، وقال له:

- حسنا، هذه المرة صعبة فعلا، لأنه في هذا الجو البارد... حسنا، عليك أن تنتظر حتى يناما جيدا، إذا لم يبقَ أمامك إلا أن تواجه المارد، اختبئ جيدا.

دخل ميجيلين تحت سرير الماردين، وانتظر حتى أصبح الاثنان يشخران بقوة، إلى حد أن أثاث البيت كان يتحرك. حينئذ بدأ يجذب البطانية برقة من ناحية، لكن المارد كان يستيقظ قائلا:

- ماردة، لا تَشُدّي البطانية!

ظل ميجيلين هادئا وانتظر حتى أصبحا يشخران ثانية. عاد يشُدّ بهدوء، لكن المارد استيقظ أيضا وصرخ بقوة أكثر:

- ماردة، لا تَشُدّي البطانية!

وحدث نفس الشيء لثالث مرة وأخذ المارد يتشاجر مع الماردة. لكنها أضاءت النور وقالت إنها لم تفعل شيئا. حينئذ شكّ المارد ونظر تحت السرير.

– ها أنا قد أمسكت بك أيها التعيس! قال: وهو يجرُّه بيده. إذن فأنت من سرق الحصان والببغاء! الآن ستدفع ثمن كل هذا!

قيَّدَهُ في كرسي في المطبخ، وكلف زوجته بإعداد يخنة، بينما يذهب هو لإحضار صديقين ليدعوهما على الطعام.

حينئذ أخذ ميجيلين يبكي وقال للماردة:

– أعطيني حضرتك السكين لأسنّها لك بينما تجهزين أنتِ الأشياء، لأنه إذا لم أفعل، سأشعر كثيرا بالموت.

– وكيف سيمكنك سنُّها وأنتَ مربوط؟

– إذا فككتِ لي قيد يد واحدة سيمكنني أن أفعل الكثير.

وافقت الماردة. وعندما كانت مشغولة في تقشير الثوم والبطاطس لإعداد اليخنة، قطع ميجيلين الحبال وذهب في اتجاهها من الخلف، وطعنها بالسكين، وتركها ميتة. بعد ذلك قطعها قطعا ووضعها في الطنجرة ما عدا رأسها، الذي وضعه في الفراش بإحكام، كما لو كانت نائمة. أخذ البطانية وخرج ركضا.

وعندما وصل المارد ومعه صديقاه، بدأوا ينادون:

– رفيقتنا، يا رفيقتنا، لقد وصلنا!

لكنهم رأوا رأسها على السرير وظنوا أنها نائمة.

– لا بد أنها مرهقة، لا بأس، فلنأكل نحن.

وبدأوا يأكلون، أخذوا يأكلون، وعندما أكلوا ملء بطونهم، قال المارد:

– سأذهب لإيقاظها.

ذهب إلى الفراش، وعندما قال لها "استيقظي"، دفعها، وخرجت الرأس تتدحرج على الأرض.

- أيها الأصدقاء، بدأ يقول المارد: هذا الفتى الحقير خدعنا وجعلنا نأكل الماردة! لقد بدا لي لحما كثيرا فعلا!

عندما وصل ميجيلين إلى القصر، فرحت الأميرة كثيرًا بتلك البطانية الجميلة جدًا. لكن الملك شعر بالقلق من الحكاية التي حكاها له الفتى، معتقدا أن المارد وكل أصدقائه سيُهاجمونهم بهياج شديد.

حينئذ فكر ميجيلين أن أفضل شيء هو الدخول إلى أراضيه بخدعة ما. طلب من الملك أن يعطيه ثلاث عربات، وثلاثة رجال، وثلاثة فئوس، وذهب إلى الغابة، حيثما كانت تنشأ دائما النزاعات مع المارد، الذي كان يقول إن كل الحطب الذي يُقطع هناك ملك له. أرسل الرجال الثلاثة، الذين بدأوا يقطعون الأشجار، وفي الحال حضر المارد وهو يشتعل غضبا، لكنهم قالوا له:

- لا تقلق، فهذا الحطب لحرق الملك. إذا أردت حضرتك أن تراه، ليس عليك إلا أن تأتي معنا. وإذا لم يكن هذا صحيحا، يمكنك أن تفعل ما يحلو لك.

فرح المارد كثيرا عندما اعتقد أن هذا سيوفر عليه انتقامه ووافق. لكنهم قالوا له: إنه يجب أن يدخل إلى القلعة دون أن يراه أحد، لأنه إذا حدث ذلك، سيقف الناس في صف الملك مرة أخرى، وقالوا له: إنهم سيصنعون له صندوقا كبيرا جدًا بحيث يسعه وهكذا سيحملونه بين العربات الثلاث. وافق العملاق ولكنْ، عندما كان قد دخل في الصندوق، بدأ الرجال يرمونه بجذوع الشجر، ومهما كان يرفس لم يكن يستطع أن يخرج من الفخ. وقال له ميجيلين:

- أيها المارد، أيها المارد، سيأخذك ميجيلين إلى الأمام. وهكذا تقدم به في القلعة، حيث جهزوا في الحال محرقة لحرق المارد، وسعد الملك بهذا كثيرا ووعده بيد ابنته.

- وماذا سنفعل بالأخوين؟ سأله.

- حسنا فهما يقولان: إنه يمكنهما أن يضعا نفسهما في قش، وأن يشعلا النار فيه، وأن يخرجا في حالة جيدة.

- أوه حقا! قال الملك، وصدقه، مهما قال الآخران: إن هذا كذب، ففي المرات السابقة كان قد صدق كل ما قالاه عن ميجيلين. فوضعوهما في القش وأشعلوا فيهما النار، وبالطبع احترقا وأخذا يطقطقان.

تزوج ميجيلين الأميرة ثم ذهبا وأعطيا أبويه كل الخرفان والبقر التي أهداهما له الملك والملكة. وأصبح الكل سعداء، وتوتة توتة فرغت الحدوتة.

(٤٥)

الأخـــوان

حسنا يا سيدي، كان هناك هذه المرة زوجان عندهما طفلان؛ واحد اسمه بيريكو، والأخرى ماريا. وكانا فقيرين جدا لدرجة أنه لم يكن بإمكانهما إطعامهما؛ وهكذا كان الطفلان يبكيان دائما ويُحْدِثون ضجة، لأنهما كانا يريدان خبزا ولم يكن لديهما شيء ليعطياه لهما. وذات يوم، بعد أن كان الأب قد سئم من هذا، قال لزوجته:

– انظري، لا يمكن تحمُّل هذه المعاناة، إذا استمررنا على ذلك، سيموت هذان الطفلان؛ أنا سأذهب إلى الحقل وسآخذهما معي؛ وعندما نصل إلى الجبل، في أراض لا يعرفانها، سأتركهما هناك وأعود؛ وكم سيكون سيئا ألَّا يجدا روحا رحيمة تستضيفهما وتطعمهما.

لم توافق الأم على خطة زوجها، لكنها كانت تعلم أنه ليس هناك حل آخر، ووافقت وتركته يفعل ذلك.

وحدث أن بيريكو كان يستمع إلى حوارهما، وعندما طلب منهما والدهما في الصباح أن يذهبا معه لإحضار الحطب، كان أول ما فعله هو أنه ملأ جيوبه بنخالة الحبوب، ودون أن ينتبه أبوه أخذ يبعثره على طول الطريق.

عندما وصلوا إلى الجبل، أخذ الأب يقطع الحطب وطلب من الطفلين أن يجمعا أعشاشا. وعندما رآهما منهمكين تماما، أخذ الحطب ورحل، وتركهما هناك

مهجورين. وجاءا لكي يُرِيَا أباهما عشا وجداه، لكنهما لم يستطيعا العثور عليه مهما بحثا عنه ونا‌ديا عليه، فأخذت ماريا تبكي بأسى، وقال لها بيريكو:

- لا تبكي، فنحن ذاهبان إلى البيت.

- ولكننا لا نعرف الطريق.

- بل نعرفه، سترين كيف سنجده.

حينئذ بحث عن آثار النخالة، وعندما وجدها، اتبعاه، وظلا يتبعانه حتى وصلا إلى البيت.

وصلا في توقيت جيد، لأن الأب كان قد باع الحطب الذي أحضره، واشترت الأم عشاءً طيبا وكانت تفتقد طفليها؛ ولهذا سعدت كثيرا عندما رأتهما. لكنهم قضوا عدة أيام ثم عادوا إلى سابق عهدهم؛ أخذهما الأب مرة أخرى إلى الجبل؛ إلا أن بيريكو، الذي كان يسترق السمع دائما ليعرف ما يدور حوله، علم بالخطة، وقبل أن يغادروا، ولأنه لم تكن توجد نخالة، أخذ بعض الحمّص وملأ جيوبه. وأخذ يلقيه دون أن ينتبه أبوه، وهكذا، عندما عاد، بعد أن تركهما، بحث عن ممر الحمص وذهب الأخوان إلى البيت.

سعدت الأم برؤيتهما كثيرا، لكن الأب قال:

- أنا لا أعرف كيف استطاع هذان الشيطانان أن يعرفا الطَريق، إذن سآخذهما اليوم إلى مكان أكثر تعقيدا من المرة الأخرى.

سألا بيريكو كيف أمكنه أن يصل دون أن يضل طريقه؛ لكنه احتفظ بهذا السر جيدا ورفض أن يقول شيئا، لأنه كان متأكدًا من أنه لا بد أن أباه سيأخذهما مرة أخرى، وإذا قال له، سيضلان الطريق.

حسنا يا سيدي، فبعد أيام قليلة حاول الأب أخذهما مرة أخرى وقال للأم:

- سترين الآن أنهما لن يعودا، فأنا سآخذهما إلى مكان من المستحيل أن يعرفاه.

لكنه لم ينتبه إلى أن بيريكو، الذي لم يكن يفوّت شيئًا، قد سمعه، وهكذا فعندما استيقظ، ولم يكن هناك لا نخالة ولا حمصا، ووجد بعض التين المجفف، الذي كانت أمه تحتفظ به، فوضعه في جيبه. وهكذا خرجوا، وكان بيريكو يمشي وراء أبيه، ودون أن ينتبه إلى ذلك، أخذ يُخرج التين، بحيث أخذ يلقي التين على جانب الطريق وهو يمشي. وعندما وصلوا إلى مكان جبلي وعر لا يعرفانه، ولأنهما كانا طفلين في النهاية، أخذا يلعبان، واستغلّ والدهما لحظة كانا فيها منشغلين، واختفى فجأة وتركهما وحيدين. وعندما افتقداه، بدآ يبحثان عنه، وعندما رأت ماريا أنه لا يظهر، أخذت تبكي.

- لا تبكي، قال لها أخوها، فأنا سأبحث عن الطريق وسنذهب إلي البيت مرة أخرى.

وأخذ يبحث عن المكان الذي ألقى التين فيه، ومهما بحث لم يجد ولا واحدة؛ وهكذا أصبح يائسًا. حينئذ سألته ماريا:

- عما تبحث يا بيريكو؟

- أبحث عن بعض التين الذي أخذت ألقيه في الطريق، وهو الذي كان سيقودنا إلى البيت.

عندئذ ضاعفت ماريا بكاءها، وأراد أخوها أن يواسيها طالبا منها ألّا تبكي، وقال لها إنهما سيجدان التين وسيعودان إلى البيت. لكن ماريا قالت له:

- لن تجد التين، لأنني كنت أمشي وراءك، وعندما كنت ترمي التين، ولأنني كنت جائعة، فكلما رميت أنت التين، كنتُ آخذه وآكله.

- إذن أنت أضعتنا، قال بيريكو، لأنني لا أعرف هذه المنطقة ولن نستطع العودة إلى البيت. لكن لا يمكننا قضاء الليلة هنا؛ لنخرج من الجبل ونرى ما إذا كنا سنجد بيتا يستضيفوننا فيه.

أخذا يمشيان، ويمشيان، وكانا قد تعبا جدا وكان الليل يقترب عندما رأيا ضوءً من بعيد؛ وتوجّها نحوه ووجدا بيتًا. ولأنه كان مفتوحا، ولم يريا أحدا، دخلا، وعندما وصلا إلى المطبخ، رأيا امرأة عجوزا كانت تقلي زلابية. ولأن المسكينين لم يأكلا شيئا، وكانا جائعين جدا، قالت ماريا لأخيها:

- بيريكو، أريد زلابية، لم لا تحاول أن تُحضر لي واحدة.

جاء بيريكو من خلف السيدة العجوز وأخذ واحدة، وعندما رأى أنها لم تقل شيئا، ظل يأخذ أكثر وأخذا يأكلان سويا. أخذ كثيرا جدا، لدرجة أن العجوز انتبهت وأخذت تدمدم قائلة:

- يبدو أن هذه زلابية تتبخر: كلما قليتُ أكثر أجد أقل، ما هذا؟

لم تر العجوز بيريكو وهو يأخذ زلابية لأنها كانت عوراء، من الناحية التي كان يأخذ منها الطفل؛ وعندما انتبها هما إلى أنها لا تراهما، ضحكا عليها وأخذ بيريكو اثنين آخرين وأكلاهما.

- الآن سأذهب أنا، قالت ماريا.

اقتربت لتأخذها من الجانب الآخر، ولأن هذه كانت ناحية العين السليمة، رأتها العجوز. سقطت منها ملعقة القلي ونظرت مرة أخرى لترى مَنْ هما، وقالت:

- مرحبا يا حلوين، أنتما مَنْ كان يأكل الزلابية؟ فأنا كنت أتعجب كيف كانت الزلابية تقلّ هكذا. لنرَ، من أين أتيتما؟

حينئذ حكيا لها مَنْ هما ومن أين أتيا فقالت لهما العجوز:

– حسنا، لتبقيا هنا معي، ولن ينقصكما شيء.

فرح الطفلان كثيرا، وتناولا العشاء وذهبا للنوم، وناما كقتيلين.

لكن هذه العجوز كانت ساحرة شريرة جدا، وكانت تأكل كل الأطفال الذين يصلون إلى بيتها، ولهذا فرحت جدا لأن لديها طفلين. أرادت أن تبدأ ببيريكو وذهبت لتراهما، عندما كانا نائمين، لكنها رأتهما نحيفين جدا فقالت لنفسها:

– لا، الآن لا، فهُما الآن عظام فقط؛ سأعطيهما طعاما، وعندما يصيران سمينين، سآكلهما.

أخذت بيريكو ونزلت به إلى كهف مظلم جدا. وهناك، وضعته في آنية خزف حتى لا يهرب، وكل يوم، كانت تحضر له طعاما جيدًا حتى يسمن. ولأنه لم يكن يفعل أي شيء وهو في الداخل، دخل ذات يوم فأر داخل الآنية وأخذه هو ليسلّي نفسه. عندما مرت بضعة أسابيع، نزلت العجوز ذات يوم لتعطيه طعاما وقالت له:

– بيريكو، أخرجْ لي إصبعا من هذه الفتحة.

– لكن الطفل، الذي شعر بما كانت تريده العجوز، أخرج ذيل الفأر بدلا من إصبعه، لأن الظلام كان دامسا ولم يكن أحد يرى شيئا. عندما حسَّسَتْ العجوز على ذيل الفأر، ظنت أن ذلك كان إصبعه، وقالت:

– لا زال نحيفا جدا، لنتركه بضعة أيام أخرى.

بعد أيام قليلة، دخلت أيضا قطة، وعندما شمت رائحة الفأر، قفزت في الآنية وأكلته، وغضب بيريكو لأنه لم يكن يعرف ماذا يُخرج من الفتحة عندما تأتي العجوز.

وبالفعل، عندما بدا للعجوز أن وقتا كافيا قد مر، نزلت ذات يوم وطلبت منه أن يُخرج إصبعه.

- أصبحتَ سمينا جدا، قالت العجوز عندما تحسَّسَتْهُ، وسأخرجك من الآنية لتعيش معي.

أخرجت بيريكو وطلبت منه أن يذهب ليُحضر حطبا. وأعطته برميلا مليئا بالماء، ومغطًّى جيدا وخبزا، وقالت له إن عليه في الليل أن يُحضر الخبز كاملاً، والبرميل ممتلئا، وإذا لم يفعل، ستقتله.

إذن يا سيدي خرج بيريكو، ووصل إلى الجبل، وأخذ يقطع الشجر، وعندما انتهى، كان جائعا جدا؛ ولكنْ، لأن العجوز قالت له أن يُحضر الخبز، لم يتجرأ على الاقتراب منه وأخذ يبكي. حينئذ ظهر له رجل عجوز وقال له:

- لماذا تبكي أيها الصغير؟

حكى له بيريكو ما حدث له، وقال له العجوز:

- لا تبكِ، كُلْ واشربْ بقدر ما تشاء، فلن يحدث لك شيء، لأنه عندما تصل إلى البيت، سيكون الخبز كاملا والبرميل مَمْلوءً؛ لكنْ انظرْ، هذه العجوز شريرة جدًا وهذا الحطب لتدفئ به الفرن وتحمصك فيه. وعندما يصبح الفرن ساخنا، ستطلب منك هي أن ترقص على الجاروف؛ لكنْ قلْ لها إنك لا تعرف، واطلبْ منها أن ترقص هي لتريك كيف، ثم تفعل أنت. وعندما تبدأ هي في الرقص، ادفعْها وأدخلها في الفرن، ثم اضربْها بعصا إشعال النار والجاروف حتى لا تستطيع أن تخرج، وعليك أن تقول: "هنا سان خوان، هنا سان بدرو، أنتِ بالجاروف وأنا بالعصا". ثم، عندما تحترق العجوز، سيخرج من الفرن كلبا صيد، داعبْهما، وبهما ستكسب عيشك، فهما بارعان في الصيد.

إذن يا سيدي، أنصت بيريكو لكل ما قاله العجوز، وعندما عاد إلى البيت، وجد الخبز كاملا، بدلا من أن يكون نصفه مأكولا، والبرميل مملوءً. وحكى لأخته كل شيء، بينما كانت العجوز تدفئ الفرن. حينئذ نادت عليهما وهرعا هما إليها يركضان.

- بيريكو، قالت له العجوز، قبل العشاء، أريدك أن ترقص قليلا على الجاروف.

- لا أعرف كيف أرقص، أجاب هو، إذا أردتِ أن تريني أنتِ كيف، سأتعلمه أنا لأفعله.

- هذا سهل جدا، قالت العجوز، سترى.

وصعدت على الجاروف، وأخذت ترقص على قدم واحدة. أعطاها بيريكو، الذي كان متيقظا، دفعة أدخلت رأسها في الفرن. صرخت العجوز وحاولت الخروج، لكن أدخلتها ماريا بالجاروف وبيريكو بالعصا في الفرن وهما يقولان:

- هنا سان خوان، هنا سان بدرو، أنتِ بالجاروف وأنا بالعصا.

لم تتوقف العجوز عن الصراخ، حتى سُمِعَ صوت انفجار نسف الفرن وخرج كلبا صيد في منتهى الجمال، أخذ الأخوان يداعبانهما.

إذن وبعد أن تحررا من الساحرة، بقيا ليعيشا هناك، وكان الكلبان بارعين جدا في الصيد، لدرجة أنهما كانا يُحضران كل يوم صيدًا للأكل والبيع، وهكذا لم يكن ينقصهما شيء. ولكنْ كان يوجد هناك صيادانِ يحقدان على بيريكو، لأنهما وجدا أنه كان يصطاد دائما وهما لا يصطادان شيئا. لذا قررا أن يقتلاه، لكن، لأن كلباه كانا باسلين جدا وكانا يصحبانه دائما، فكرا أولا في التخلص من الكلبين. وصلا إلى بيته وقالا لماريا إنه إذا لم يكن الكلبان لديهما في اليوم التالي، سيقتلان أخاها.

فزعت المسكينة ماريا، وفي اليوم التالي ترجّت أخاها أن يترك لها الكلبين، لأنها خائفة من البقاء بمفردها. ترك لها بيريكو الكلبين وذهب للصيد وحيدًا.

وعندما وصل الصيادان، أعطتهما ماريا كلبيْ الصيد مقابل ألّا يصيبا أخاها بأذى. أخذا الكلبين واحتجزاهما، وسدا لهما مسامعهما بالقطن حتى لا يسمعا سيدهما إذا ناداهما. بعد ذلك خرجا وفاجآ بيريكو ، طالبين منه أن يستعد للموت.

طلب بيريكو منهما أن يتركاه يصيح ثلاث مرات؛ اعتقدا أنه سينادي على الكلبين، وبما أنهما كانا قد سدا أذنيهما، لم يقلقهما أن يحققا له ما أراد، وقالا له لا بأس.

حينئذ قال هو:

- هنا سان خوان، هنا سان بيدرو، أنتِ بالجاروف وأنا بالعصا.

أخذ الصيادان يضحكان، لكن في هذه اللحظة، ظهر الكلبان، انقضًا على الصيادين وقتلاهما. وأصبح بيريكو حرا.

ذهب الفتى إلى البيت واشتكى لها، لكن ماريا حكت له ما حدث، وعندما رأى أنه لا ذنب لها فيما حدث، عانقها وعاشا سعيدين ومسرورين طوال حياتهما.

(٤٦)
الساحر المبتدئ

ذات يوم، كانت هناك أم عندها ابن اسمه بيريكين، وكان الطفل مكرّسا نفسه للدراسة. وذات يوم، قالت له أمه:

- يا بني، أريدك أن تتعلم حرفة لتكون رجلاً مفيدًا. أي حرفة تريد أن تتعلمها؟

- السحر الأسود.

حينئذ سألت الأم معلم سحر ما إذا كان يريد أن يعلّم ابنها.

- نعم، أجاب المعلم، ولكنْ بشرط.

- ما هو؟

- عليكِ أن تأتي بعد عام لرؤية ابنك، وإذا لم تتعرّفي عليه، سأحتفظ به إلى الأبد.

- موافقة.

وعندما كان الموعد المتفق عليه يقترب، تحوّل بيريكين إلى حمامة، وخرج من بيت معلمه دون أن يراه أحد، وذهب ليقول لأمه:

- ها قد اقترب اليوم الذي عليك أنْ تذهبي لتتعرّفي عليّ فيه. سيقوم المعلم، في ذلك اليوم، بتحويل كل الطلبة إلى حمام. ثم سيرمي ذرة لنأكلها؛ لكن أنا، بدلا

من أن آكل، سأسلي نفسي بالقفز من فوق زملائي. وعندما يسألك المعلم عما إذا كنتِ قد عرفتِ ابنكِ، قولي نعم، وسأكون أنا مَنْ يقفز.

ذهبت الأم إلى بيت المعلم، الذي أخذها إلى حيث كان الحمام وقال:

- ابنك واحد من هذه الحمامات، هل تعرفينه؟

- نعم، هذا الذي يقفز كثيرا. وأقول إنه هو لأنه عندما كان صغيرا، كان مغرما بالقفز من فوق زملائه.

- لقد أصبتِ يا سنيورة. يمكنك أن تأخذي ابنك، فهو الآن يعرف السِّحْر أكثر مني.

عندما رحل بيريكين مع أمه، أخذ أفضل كتاب سحر كان لدى المعلم. وعندما وجد بيريكين نفسه في البيت قال:

- أمي، منذ اليوم فصاعدا، لن ينقصنا المال أبدا. غدا يوم السوق، وأنا سأتحول إلى بقرة مبقعة؛ خذيها لتبيعيها واطلبي فيها مائة وخمسين دوقة، لكن جرس البقرة ليس ضمن البيعة، وسأكون أنا فيه.

أخذت الأم البقرة إلى السوق وظهر لها في الحال مُشْتَرٍ وقال لها:

- كم تريدين في هذه البقرة؟

- مائة وخمسون دوقة، لكن الجرس ليس ضمن البيعة.

- حسنا.

غادر المشتري وأخذ البقرة إلى قريته ووضعها في الحظيرة. وفي اليوم التالي، عندما ذهب ليطعمها، وجد أنها اختفت.

وقال بيريكين لأمه:

- سأتحول الآن إلى حصان؛ خذيني إلى السوق، واطلبي فيه ثلاثمائة دوقة؛ لكن البيعة لا تشمل اللجام، لأنني سأكون فيه.

في هذه الأثناء، انتبه المعلم لنقصان الكتاب، وقال لنفسه:

- لا يمكن لأحد أن يأخذ مني الكتاب غير بيريكين. غدا هو يوم السوق في هذه المنطقة، ومن الممكن أن يكون هناك ويمارس السحر؛ لنرَ ما إذا كنت سأجده.

ذهب المعلم إلى السوق ورأى أن أم بيريكين معها حصان معروض للبيع.

- كم تطلبين حضرتك في هذا الحصان؟ سألها المعلم.

- ثلاثمائة دوقة.

- حسنا.

- لكن بيع الحصان لا يشمل اللجام، قالت الأم.

- أنا سأشتريه باللجام.

- لن تشتريه.

- سأشتريه.

وعلى هذا وصل القاضي وأعطى الحق للمعلم، الذي صعد على الحصان، وجذبه بعنف من اللجام وقال:

- آه يا بيريكين! الآن ستدفع ثمن الكتاب الذي أخذته مني.

أمر المعلم أبناءه بأن يضعوا الحصان في الحظيرة، وألَّا يطعموه وألَّا ينزعوا عنه اللجام. ولم يكن الحصان يفعل شيئا إلا تحريك رأسه وفتح فمه، وحينئذ قال الصبية:

- يا له من حصان مسكين! اللجام يؤذيه، هيا ننزعه له.

نزعوه له وتحول الحصان إلى سمكة سلمون واختفى في النهر.

عندئذ تحول المعلم إلى حية وأخذ يطارد السلمون. دخل السلمون بين الصخور وترك نفسه يسقط من أعلى الشلالات، وعندما كان على وشك الوصول إلى جدار طاحونة، رأى أن الحية كانت وراءه، وليحرر نفسه منها، حول نفسه إلى حمامة.

وفي الحال اتخذت الحية شكل نسر؛ لكن الحمامة حولت نفسها إلى بعوضة ودخلت من خلال شقّ إلى غرفة أميرة، وقال لها، بعد أن عاد إلى هيئته الأصلية:

- سأتحول إلى خاتم، وأنت ستضعينني في إصبعك. سيأتي هنا خلال دقائق قليلة فارس سيطلب منك الخاتم؛ أعطيه له؛ لكنْ عندما يشرع في أخذه، دعيه يسقط على الأرض وسيتحطم إلى قطع عديدة. حينئذ ضعي قدمك على أكبر قطعة، وعندما تشعرين أنها تدفعك إلى أعلى، ارفعي قدمك.

تحول بيريكين إلى خاتم ودخل في إصبع الأميرة. ووصل الفارس وطلب منها الخاتم. تركته الأميرة يسقط على الأرض وانكسر إلى قطع عديدة، ووضعت قدمها على أكبرها.

تحول الفارس إلى دجاجة وبدأ يأكل قطع الخاتم. وفي أثناء هذا، أخذت القطعة الموجودة تحت قدم الأميرة تدفع إلى الأعلى، وخرج متحولا إلى ثعلبة وأكل الدجاجة.

بعد ذلك تحول إلى رجل وتزوج الأميرة وعاشا سعيدين.

(٤٧)

النبع الرملي

كان هناك ملك وملكة عندهما ولد اسمه توماسيتو، وكان عنده أربعة عشر عامًا. وكانوا كل مساء يذهبون للتنزه في منطقة اسمها النبع الرملي. وفي الطريق، كانت توجد ثلاثة براعم بيضاء، وفي أمسية لم تُرِدْ الملكة فيها أن تذهب، كانت البراعم متفتحة، وأخذ الملك زهرة ليحملها إلى الملكة. واحتفظت هي بها في صندوق على طاولة، في غرفة تقع قبل غرفة النوم.

وفي منتصف الليل، سمع الملك، ثلاث أو أربع مرات صوتا يقول له:

- أيها الملك، افتحْ لي.

- هل تنادينني يا إيسابيل؟ سأل الملكة.

- أنا، لا.

- حسنا، إنهم ينادونني.

- أنا لا، اتركني أنام.

أثار هذا اهتمام الملك كثيرًا، إلى حد أنه سأل الملكة أين احتفظت بالزهرة وقالت له. قام هو، عندما كانت نائمة، وفتح الصندوق وخرجت أميرة كانوا يسمونها الملكة الزهرة وقالت له إنها تريد أن تصبح زوجته، فالأخرى قد مر عليها زمن، وعليه أن يقتلها. لكن الملك لم يرغب في ذلك.

- إذن ليس أمامك حل آخر، وإذا لم تفعل، ستموت أنت.

- وكيف سنقتلها؟

- أنا سأشدها من قدميها وأنت من رأسها.

شعر الملك بشفقة، وما فعله كان أنه أخرج عيني زوجته، واحتفظ بهما في جيبه وألقاها في البدروم. ودخل الملك والملكة الزهرة في السرير، وعندما وصل توماسيتو في الصباح، ذهب ليقول صباح الخير لأمه، لكنه بقى مذهولا ومستغرقًا في التفكير.

- هذه ليست أمي، قال.

- أنا أمك وعليك أن تحترمني مثلما كنت تحترم أمك، وإنْ لم تفعل، سأقتلك.

وعندما خرجت من الغرفة، قالت لكل الخدم إنها الملكة الزهرة، وعليهم أن يحترموها، لأنهم إذا لم يفعلوا، سيموتون. وفي هذه الأثناء كان توماسيتو لا يفعل شيئا سوى البكاء على أمه. وفي يوم من الأيام، كان يجلس فيه حزينا جدًا في صالون، سمع نواحًا كثيرًا من تحت الأرض. اقترب ورأى من خلال درابزين البدروم أن أمه تناديه وتقول:

- يا بني! أين أنت فأنا لست أراك؟ أحضر لي بعض الخبز حتى لو كان ناشفا حتى لا يغمى عليَّ. اطلبْ منهم أن يلقوه لي هنا.

عندما علمت الأميرة الزهرة أنهم كانوا يطعمونها، اشتعلت غضبا وعاقبت الخادمة التي قامت بهذا. كان الكل يخاف كثيرا من الأميرة الزهرة، حتى الملك نفسه. وذات يوم، قالت لتوماسيتو بكل وقاحة:

- انظرْ يا بني، أنا أحتضر وعليك أن تحضر لي ماءً من النبع الرملي.

أخذ الفتى حصانًا وإناءً وخرج سائرا. في الطريق، خرج له عجوز وقال له:

– إلى أين أنت ذاهب يا توماسيتو؟

– أنا ذاهب لأحضر الماء من النبع الرملي.

– انظرْ إذن، خذ هذا الطريق بأقصى سرعة للحصان، ودون أن تتوقف ولا تُدِرْ وجهك إلى الخلف، مهما نادوا عليك أو ألقوا الحبل على رقبتك.

وهكذا أخذ يركض. خرجت بعض النساء وقلن:

– توماسيتو، انظرْ هذا، خذ، وأرَدْنَ أن يلقين حبلا على رقبته.

لكنه وقف بقدم على ركاب السرج، وأخذ الماء والحصان يجري، ودون أن يهتم بما كُنَّ يقلن، وصل إلى القصر دون أن يتوقف. أما الملكة الزهرة، التي لم تكن تتوقع مجيئه، فقد اغتاظت كثيرًا، وقالت له بكل وقاحة:

– عليك أن تُحضر لي ثلاث ليمونات من النبع الرملي.

ذهب توماسيتو لإحضارها وحدث معه نفس ما حدث في المرة الأولى. أصبحت الملكة مثل وحش كاسر، لأنها أرسلته إلى هناك ليبقى مسحورا، ولم يحدث. أرسلته مرة ثالثة ليُحضر ثلاث برتقالات، وخوفا من أنه قد لا يعود مرة أخرى، ذهب ليزور أمه قبل أن يرحل.

خرج من القصر، وقابل العجوز مرة أخرى، وحدث له نفس ما حدث في المرتين السابقتين. حينئذ طردته الملكة من القصر. أما توماسيتو، الذي كان يبكي، فقد كلف إحدى الخادمات برعاية أمه.

ومشى، ثم مشى، حتى قابل العجوز، الذي قال له:

– توماسيتو، لقد علمتُ بكل ما حدث لك. انظرْ.

مرَّر يده على وجهه فجعله متنكرا في زي ملاك. ثم قال له:

- سنمرّ الآن من أمام قلعة، وستكون هناك امرأتان ستقولان لي: "اتركْ لنا هذا الصبي لنريه القلعة". إنهما أختا الملكة الزهرة. وستقول أنت: "من فضلك يا أبي، دعني أراها". وأنا سأتركك حوالي ساعتين. ستُريانك كل شيء، ما عدا غرفة واحدة مغلقة. وعليك أن تصرّ على رؤيتها، وعندما تدخلها، افعلْ ما تشاء.

حدث ما قاله العجوز تماما، وعندما كانت المرأتان تُريانه الحديقة، قالتا له:

- نحن ننتظر هنا صبيا اسمه توماسيتو لنقتله ونعلقه على عصا. أتريد أن تراه؟

- أنا، نعم.

وأخيرا وصلوا إلى الغرفة المغلقة وألحَّ كثيرا حتى تركتاه يدخل. وسأل توماسيتو المرأتين اللتين كانتا واقفتين على الباب ما هذا. وأجابته واحدة:

- هذه الشموع هي حياتنا؛ هذه حياتي، وهذه حياة أختي وتلك الأخيرة حياة الملكة الزهرة. عندما تنطفئ هذه الشموع فإن هذا يعني نهاية حياتنا.

حينئذ أخذ الفتى أقرب شمعتين وقال:

- حسنا أنا توماسيتو، ثم نفخ في الشمعتين فأطفأهما، وماتت الأختان.

ثم أخذ الشمعة الثالثة، التي كانت مشتعلة، وخرج، وقابل العجوز.

- لنذهب إلى قصر أبيك يا بني. أنا فعلتُ كل هذا لأرى ماذا كنتَ ستفعل.

وصلا إلى القصر وأمر توماسيتو بمناداة والده ليأتي على البوابة وقال له:

- أي حياة تريد، حياة أمي أم حياة تلك المرأة؟

- حياة أمك.

- إذن انفخ في هذه الشمعة.

وبمجرد أن فعل هذا، أصدرت الملكة الزهرة صوت انفجار واختفت. عندئذ ذهب العجوز معهما إلى البدروم. طلب عينيها من الملك، مرَّر يده على الملكة العمياء فشُفِيَتْ. جثا الملك على ركبتيه طالبًا السماح من الملكة، موضحًا أنه لا ذنب له فيما حدث. صعدوا إلى القصر، وكافأوا الخادمة التي اعتنت بالملكة، وودع العجوز الجميع وبقى الجميع في سعادة وسرور.

(٤٨)

شعرات الشيطان الثلاث

كان ياما كان، كان هناك زوجان عندهما ابن. أمر الملك بالبحث عنه، لأنه كان يريده لنفسه، لكن لم تشأ الأم تسليمه، وفضّلت وضعه في سلة مصنوعة من الصفصاف وألقته في النهر. توقفت السلة على غصن بجانب طاحونة، وأخذ الطحانون السلة التي رأوها. فتحوها ورأوا بداخلها طفلاً وقاموا هم بتربيته.

علم الملك وقال لهم: إنه عندما يتم الطفل خمسة عشر عامًا، عليه أن يحمل رسالة إلى ابنة الملك. عندما تم الفتى خمسة عشر عامًا، أعطاه الملك الخطاب، ورحل الفتى ليعطي الخطاب لابنة الملك، التي تعيش بعيدًا جدًا. وعندما حل الليل، كان قد تعب جدًا، ورأى بيتا في الجبل، وكان بيتا لبعض اللصوص. طرق الباب، وخرجت امرأة عجوز وسألته عما يريد. قال لها إنه يحمل خطابا إلى ابنة الملك وإنه مرهق جدا؛ وسألها ما إذا كان من الممكن أن يقضي الليلة عندهم. قالت له إن هذا بيت لصوص، وإذا رأوه، سيقتلونه. وقال هو إنه لا فرق بالنسبة له، لأنه متعب جدا، واستلقى في ركن ونام.

عندما وصل اللصوص، سألوا العجوز عَمَّنْ يكون. وقالت لهم إنه صبي ضلَّ طريقه، وكان يحمل خطابا إلى ابنة الملك. أخذ اللصوص الخطاب منه،

وفتحوه، ورأوا أنه يأمر بأن يقتلوه بمجرد وصوله. أشفق اللصوص عليه وغيّروا له الخطاب: وقالوا إنه بمجرد أن يصل، يتزوج ابنة الملك.

وعندما رأت الأميرة الخطاب، بدأوا التجهيز للزفاف. لكن الأب، الذي عرف بالأمر، ذهب وقال للشاب: إنه إذا لم يُحضر له ثلاث شعرات من رأس الشيطان، لن يتزوج من ابنته.

غادر الفتى لإحضار الشعرات الثلاث، وقابل في قرية حارسًا، وسأله الحارس عما يعرف. وأجاب هو بأنه يعرف كل شيء. حينئذ سأله الآخر كيف تكون شجرة كانت من قبل تثمر كثيرا، والآن لا تعطي شيئا. وقال له إنه سيخبره وهو عائد، وذهب إلى قرية أخرى. وفي هذه القرية قابل حارسًا آخر وسأله عما يعرف. وأجاب بأنه يعرف كل شيء. فسأله الحارس كيف تكون نافورة كانت تخرج نبيذا من قبل والآن لا تعطي شيئا. وأجاب بأنه سيجيبه وهو عائد.

ثم رحل ووصل إلى نهر. وسأله الملاح عما يعرف. فقال له كل شيء. سأله الملاح كيف يمكنه أن يترك مهنة الملاحة، وقال له إنه سيجيبه وهو عائد.

على الضفة الأخرى من النهر، كان يوجد مدخل جهنم. وكانت صاحبة المكان موجودة هناك بمفردها. وسألته عما يريد. وقال لها إنه يريد ثلاث شعرات من رأس الشيطان، وحكى لها أيضا ما سأله عنه الحارسان والملاح. قالت له: إن الشيطان ليس موجودًا؛ وطلبت منه أن ينتظر قليلا. ثم حولته إلى نملة ووضعته بين ثنيات ردائها.

عندما وصل الشيطان، قال:

• – أشمّ رائحة لحم بشري! إذا لم تعطيني إياه سأقتلك!

وقالت له إنه كان يوجد هناك شاب، لكنه رحل. وطلبت بعد ذلك أن يناما. وبينما كانا نائمين، انتزعت من رأسه شعرة. وسألها هو لماذا انتزعتها. وقالت إن ذلك حدث دون أن تنتبه وأنها كانت تحلم. وسألها عما كانت تحلم به. وقالت له:

– بشجرة كانت تثمر كثيرا من قبل والآن لا.

– يا للغباء! لو يعرفون!

قالت:

– لماذا؟

– لأنه توجد دودة تلتهم الجذور.

وناما مرة أخرى وانتزعت له شعرة أخرى.

– ولكن ماذا تفعلين أنت؟

وقالت هي مرة أخرى أنها كانت تحلم. وسألها عما حلمت به. وقالت هي بنافورة كان تخرج نبيذا من قبل والآن لا تعطي ولا حتى ماء. وقال لها الشيطان:

– آه، يا لهم من حمقى! لو يعرفون!

قالت هي:

– إذن، ماذا عليهم أن يفعلوا؟

قال:

– أن ينظروا جيدا، فهناك فأر في الأنبوبة. وإذا انتزعتِ شعرة أخرى، سأضربكِ لكمة.

لكنها انتزعت له شعرة أخرى، وضربها الشيطان. وقالت له إنها حلمت مرة أخرى. قال الشيطان:

- بماذا حلمت الآن؟

- كنت أحلم بملاح، قضى سنين عديدة في النهر، كيف يمكن أن يترك هذه المهنة؟

- آي، يا لهم من أغبياء! لو يعرفون فقط!

- ماذا عليه أن يفعل؟

- عليه أن يترك المجداف لأول من يعبر النهر.

بعد ذلك نام الشيطان. وأخرجت السيدة النملة من داخل ردائها وحولتها إلى رجل مرة أخرى. قالت له كل شيء. كل ما قاله لها الشيطان، وأعطته الشعرات الثلاث. ثم ذهب الفتى ليعبر النهر، وسأله الملاح ماذا عليه أن يفعل. وأجابه بأن عليه أن يترك المجداف لأول من يعبر النهر. وأعطاه الملاح ذهبا كثيرا.

مر من حيث كان يوجد حارس القرية الأولى، الذي سأله أيضًا ماذا عليه أن يفعل. وقال له: إن عليه النظر جيدا، لأن الفأر يمنع نزول النبيذ. وأعطاه الآخر أيضا نقودا كثيرة.

عندما مر على القرية الأخرى، سأله الحارس أيضًا عما يجب أن يفعل، وأجابه بأن عليهم قتل الدودة التي كانت تنخر في الجذور. وأعطاه الحارس أيضا نقودا كثيرة.

بعد ذلك، ذهب إلى قصر الملك وأعطاه شعرات الشيطان الثلاث. وسأله الملك من أين حصل على كل هذه النقود، وقال له: إن ضفة النهر كانت مليئة. عندئذ أراد الملك أيضا أن يذهب ليحضر نقودا وأخذ أكياسا كثيرة. لكن عندما جاء ليعبر النهر، أعطاه الملاح مجدافه وظل ملاحا إلى الأبد. وتزوج الصبي من الأميرة وعاشا في سعادة.

ط- الميت الشكور

(٤٩)

خوان الجندي

كان هناك صبي، من أسلافنا، ليس عنده بيت ولا كسوة، حالفه الحظ ليصبح جنديًا. أكمل مدة خدمته، التي كانت ثماني سنوات، ثم جدِّد لثماني سنوات أخرى، وبعد ذلك لسنوات أخرى عديدة.

وعندما اكتملت تلك الأعوام الأخيرة، كان قد تقدم في العمر، ولم يكن يصلح حتى للعمل كمالك مزرعة للمواشي، ولهذا أنهوا خدمته، وأعطوه رطلا من الخبز وست مارابيديات[1] كانت كل ما معه.

"إذن، أحكي لك يا سيدي، أن خوان الجندي فكر وهو في طريقه، لقد شابت شعري! بعد أن خدمت الملك أربعة وعشرين عاما، كل ما أحصل عليه هو رطل من الخبز وست مارابيديات! لكن بالله ماذا سأجني من حزني هذا إلا حرق دمي".

وواصل طريقه وهو يغنِّي:

رائحة فمي مثل مزرعة للمواشي

وعنقي مثل ربطة العنق،

وظهري مثل حقيبة الظهر

---

(١) مارابيدى maravedi: عملة نحاسية إسبانية قديمة صغيرة جدا – المترجمة.

ويداي مثل بندقية.

في هذه الأثناء، كان أبونا السيد المسيح يتجول في الدنيا، وقد أحضر معه سان بدرو ليرافقه. وقابلهما خوان الجندي، وطلب منه سان بدرو، وكان هو المسئول، حسنة.

– ماذا عساي أن أعطيكما، قال له خوان الجندي، أنا الذي بعد أن خدمتُ الملك أربعة وعشرين عامًا، وكل ما حصلتُ عليه ليس أكثر من رطل خبز وست مارابيديات؟

لكن سان بدرو، الذي كان عنيدًا، أصرّ.

– هيا، قال خوان الجندي، رغم أنني بعد أن خدمتُ الملك أربعة وعشرين عاما، وعندي فقط رطل من الخبز وستة مارابيديات، سأقتسم الخبز معكما.

أخذ سكينا، وقسّم الخبز إلى ثلاث قطع، أعطاهما قطعتين واحتفظ بواحدة لنفسه.

وبعد مسافة فرسخين، تقابل مرة أخرى مع السيد وسان بدرو، الذي طلب منه حسنة مرة أخرى.

– أظن أنني، قال خوان الجندي، سبق أن أعطيتكما هبات وشكلك ليس غريبا عليّ؛ لكنْ، يا إلهي!، رغم أنني بعد أن خدمت الملك أربعة وعشرين عاما، ولا أملك إلّا رطلا من الخبز وست مارابيديات، ورغم أنه لم يتبقَّ لي من رطل الخبز إلا هذه القطعة الصغيرة، سأقتسمها معكما.

وفعل هذا، وأكل قطعته في الحال حتى لا يطلبوها منه مرة أخرى.

وعند غروب الشمس، تقابل لثالث مرة مع السيد وسان بدرو، وطلبا منه حسنة.

– على ماذا أقسم لكما أنني قد أعطيتكما، قال خوان الجندي، لكنْ، يا إلهي!، رغم أنني بعد أن خدمت الملك أربعة وعشرين عاما، وجدت نفسي فقط مع رطل من الخبز وست مارابيديات، سأقتسمها معكما كما اقتسمت الخبز.

أخذ أربعة ماربيديات، وأعطاها لسان بدرو، واحتفظ باثنين لنفسه.

- أين سأذهب أنا بأوتشابو[1]؟ قال خوان الجندي لنفسه، لم يتبقَّ لي إلا أن أتفرغ للعمل وألا أهتم بأي شيء آخر يخصني، طالما يجب عليَّ أن آكل.

- يا سيدى، قال سان بدرو للسيد؛ لتفعلْ يا صاحب العظمة شيئا لتعيس الحظ هذا الذي خدم الملك أربعة وعشرين عاما، ولم يحصل على أكثر من رطل من الخبز وست ماربيديات واقتسمها معنا.

- حسنا، ناده واسألْه ماذا يريد، أجاب السيد.

وهكذا فعل سان بدرو، وأجابه خوان الجندي، بعد أن فكر في الأمر، بأنه يريد أن يوضع في حقيبته تلك التي يحملها فارغة، أي شيء يتمناه هو. وحقق له أمنيته.

وعندما وصل إلى قرية، رأى خوان الجندي في دكان، أرغفة من الخبز أبيض من الياسمين، وقِطَعًا من السجقِ تقول هيا، لتأكلني.

- إلى الحقيبة! صاح خوان الجندي بنبرة أمر.

ولك أن تتخيل كيف أخذت أرغفة الخبز تلف مثل حلقة من عربات الكارو، وتشد قطع السجق بعضها البعض وتمشى أسرع من الحية، متوجهة إلى الحقيبة دون أن تضل طريقها.

أما صاحب الدكان، الذي كان من ساكني المرتفعات، وابنه، فقد أخذا يركضان، ويتطايران في الهواء، حتى أن كل قدم كانت تختفى تماما عن الأخرى؛ لكنْ، مَنْ يمكنه أن يمسك بها، إذا كانت الأرغفة تلتف بجنون مثل المراوح هابطةً إلى أسفل، والسجق ينزلق من بين أصابعهما مثل ثعابين الماء.

---

(١) أوتشابو ochavo: عملة إسبانية نحاسية قديمة تساوى ٢ ماربيدى – المترجمة.

أما خوان الجندي، الذي كان يأكل أكثر من سرطان البحر، والذى كان يشعر بجوع في ذلك اليوم أكبر من صبر الآلهة، شعر بالامتلاء الشديد مما أكل، ولم يستطع أكل المزيد على الإطلاق.

عند حلول المساء، وصل إلى قرية؛ ولأنه كان قد خدم في الجيش، كان لديه مكان للمبيت، ولهذا مشى حتى وصل إلى البلدية ليعطوه تذكرة.

- أنا جندي مسكين، يا سيدى، قال للعمدة، فبعد أن خدمت الملك أربعة وعشرين عاما، كل ما حصلتُ عليه رطل من الخبز وست مارابيديات استنفدتها في الطريق.

قال له العمدة، إنه إذا أراد، يمكنه أن يُقيم في مزرعة قريبة، لا أحد يريد أن يذهب إليها، لأن هناك شخصا مشئوما مات فيها، ومنذ ذلك الحين، توجد حالة من الذهول، لكنْ إذا كان هو شجاعا، ولا يخيفه هذا الذهول، يمكنه أن يذهب، فهناك سيجد الكثير من خيرات الله، فالميت كان ثريًا جدًا.

- يا سيدى، خوان الجندي لا يخاف ولا ينبغي له أن يخاف، أجاب هو، وسأذهب للعيش هناك في أسرع وقت ممكن.

وفي هذا المكان، وجد خوان الجندي مركزا للثراء: كانت الخمارة من أشهر الخمارات؛ أما أرفق الطعام فهي مليئة تماما، والمخازن مليئة بالفواكه.

كان أول ما فعله، للاحتياط مما يمكن أن يحدث، أنه ملأ إبريقا من النبيذ، لأنه يعتقد أن السكارى لا يشعرون بالخوف؛ وفي الحال أشعل شمعة وجلس ليجهز فُتاتا من لحم الخنزير المقدد.

وبمجرد أن جلس، سمع صوتا آتيا من المدخنة يقول:

- هل أسقط؟

- اسقطْ، إذا كنت تريد، أجاب خوان الجندي، الذي كان مسطولا من ضربات النبيذ الشهي الذي سكبه بين صدره وظهره؛ فمَنْ خدم الملك أكثر من أربعة وعشرين عاما، دون أن يحصل على أكثر من رطل من الخبز وست مارابيديات لا يخاف ولا ينبغي له أن يخاف.

لم يكد يكمل ما قاله، حتى سقطت إلى جانبه مباشرة، ساق رجل: أما خوان الجندي، الذي فزع حتى أن شعره وقف مثل شعر قطة مُطارَدة، أخذ الإبريق وضربه برأسه.

- أتريدين أن أدفنك؟ سألها خوان الجندي.

قالت الساق لا بإصبع قدمها.

- إذن فلتتعفَّني هناك، قال خوان الجندي.

وفى الحال، عاد نفس صوت المرة السابقة يقول:

- هل أسقط؟

- اسقطْ، إذا كنت تريد، أجاب خوان الجندي ضاربا رأسه في الإبريق، فمن خدم الملك أربعة وعشرين عاما لا يخاف ولا ينبغي له أن يخاف.

عندئذ سقطت بجانب الساق زميلتها الأخرى. ولكى ننتهى سريعا، سقطت أربعة أرباع الرجل، وأخيرا، سقطت الرأس، التي التصقت بأجزائه الأربعة، وهكذا وقف على قدمه كقطعة واحدة، ليس ككائن بشرى، إنما كشبح، كما لو كان الميت نفسه بجسده وروحه.

- يا خوان الجندي، قال بصوت يُذيب الدماء في العروق، لقد رأيت أنك شجاع.

- نعم يا سيدى، أجاب هو؛ أنا كذلك، ليس هناك حاجة إلى قول ذلك، لم يعرف خوان الجندي لا ضيقا ولا خوفا في حياته، ورغم هذا، يجب أن تعرف

سموك أن كل ما حصلتُ عليه بعد أن خدمت الملك أربعة وعشرين عاما، كان رطلا من الخبز وست مارابيديات.

- لا تحملْ همَّ هذا، قال الشبح، فإذا فعلتَ ما سأقوله لك، ستنقذ روحي وتصبح سعيدا. هل تريد أن تفعل هذا؟

- نعم يا سيدى، نعم يا سيدى؛ حتى لو كان عليَّ أن أثبت لسعادتك أجزاءك الأربعة بإحكام حتى لا تنفصل مرة أخرى.

- المشكلة، قال الشبح، أنه يبدو لي أنك سكران.

- لا يا سيدى؛ لا يا سيدى، أنا دائخ فقط، فيجب أن تعرف سيادتك أن هناك ثلاث مستويات من السكر: الأول، هو مستوى اسمعْ واغفرْ؛ والثاني هو مستوى جَرّ المعطف، والثالث هو مستوى الانبطاح على الأرض؛ أنا لم أتجاوز مستوى اسمعْ واغفرْ يا سيدى الشبح.

- إذن اتبعني، قال الشبح.

قام خوان الجندي، الذي كان مخمورًا، يتبختر هنا وهناك كما لو كان قديسًا، وأخذ القنديل؛ لكن الشبح مَدَّ ذراعه كالرمح وأطفأ النور.

لم تكن هناك حاجة إليه، لأن عينيه كانتا مضيئتين مثل فرني حدادة.

عندما وصلا إلى الحانة، قال الشبح:

- يا خوان الجندي، خذ هذه المجرفة واحفرْ حفرة هنا.

- احفرْها حضرتك بكل روحك إذا أردت، أجاب خوان الجندي، فأنا لم أخدم الملك أربعة وعشرين عاما دون أن أحصل على أكثر من رطل خبز وست مارابيديات، حتى أخدم الآن سيدا قد لا يعطيني ولا حتى هذا.

أخذ الشبح المجرفة، وحفر وأخرج ثلاث جِرار، وقال لخوان الجندي:

– هذه الجرة مليئة بالنقود التي ستوزعها على الفقراء؛ والأخرى تلك مليئة بالفضة، ستخصِّصها للصدقة على روحي، وتلك الأخيرة، المليئة بالذهب، ستكون لك إذا تعهدت لي بأن تنفِّذ ما قررتُه أنا بشأن الجرَّتين الأُخريين.

– لا تقلق بهذا الشأن سعادتك، أجاب خوان الجندي؛ لقد ظللتُ أربعة وعشرون عاما أنفِّذ بانضباط كل الأوامر، دون الحصول على جائزة أكثر من رطل خبز وست مارابيديات، لهذا سترى سيادتك أنني سأفعل هذا الآن، فقد وعدتني بمكافأة مُرْضية جدا.

نفَّذ خوان الجندي كل ما ائتمنه عليه الشبح، وأصبح في منتهى الثراء، بكل هذا الذهب الذي كان في الجرة.

لكن إبليس علم بكل ما كان يحدث وصار غاضبًا جدًا، لأنه فقد روح الميت، من كثرة ما صلَّى من أجله الفقراء وصلُّوا من أجله في الكنيسة، ولم يكن يعرف كيف ينتقم من خوان الجندي.

في جهنم، كان هناك شيطان صغير أكثر ذكاء وبراعة من أي شخص، قال لإبليس: إنه قرر أن يأتيه بخوان الجندي.

فرح الشيطان الكبير بهذا جدا، ووعد الصبي، بأنه إذا نفَّذ ما عرضه، سيُهديه مجموعة من شرائط الزينة والحُليّ ليغوي ويفسد بنات حواء، والعديد من براميل وقِرَب النبيذ ليغري ويُفسِد أبناء آدم.

كان خوان الجندي جالسًا في الفناء، عندما رأى الشيطان قادمًا إليه وهو في منتهى النشاط، وقال له:

– صباح الخير يا سينيور دون خوان:

- يسعدني رؤيتك أيها الغبي. كم أنت قبيح! أترغب في التدخين؟

- أنا لا أدخن، يا دون خوان، إلّا التبن.

- أتريد أن تشرب شيئا؟

- لا أشرب إلا ماء النار.

- إذن، لِمَ أتيتَ، يا روح قابيل؟

- لأخذ سيادتك.

- إنه وقت مناسب. ليس لدى صعوبة في أن آتى معك. أنا لم أخدم الملك أربعة وعشرين عاما حتى أتراجع أمام عدو شرّير مثلك. خوان الجندي لا يخاف ولا ينبغي له أن يخاف، مفهوم؟ انظرْ، تسلق شجرة التين تلك، التي بها تين حجمه كرغيف الخبز، بينما أذهب أنا لأحضر الحقائب، لأنه يبدو لي أن الطريق الذي سنسلكه سيكون طويلاً.

الشيطان، الذي كان شَرِهًا، تسلق شجرة التين وأخذ يلتهم التين، وفي هذه الأثناء، كان خوان الجندي قد ذهب ليأتي بحقيبته، التي علقها، وعاد للفناء يصيح في الشيطان:

- إلى الحقيبة!

- لم يكن أمام الشيطان الصبي، الذي أخذ يخبط في كل شيء حوله، ويلتوى كل الالتواءات المخيفة، إلا أن يدخل في الحقيبة.

- أخذ خوان الجندي منفاخ الحداد وبدأ يوجّه إلى الشيطان ضربات قوية حتى ترك عظامه مثل العجينة.

وأترك للقارئ الكريم أن يتخيل مدى الشجاعة التي لا بد أنها كانت عند إبليس، عندما رأى ابنه الأصغر قادما منهكا تماما ودون أن يترك حتى عظمة واحدة في مكانها في جسمه.

- أقسم أن هذا المجرم الوقح خوان الجندي، صاح إبليس، سيدفع ثمن كل ما فعله بي دفعة واحدة، سأذهب إليه بنفسي في وقت لاحق.

خوان الجندي، الذي كان يتوقع هذه الزيارة، كان مستعدًا، وكان حاملا حقيبته. وكان ما حدث هو أنه بمجرد أن حضر إبليس، وهو يطلق نارا من عينيه وصواريخ من فمه، وقف أمامه خوان الجندي وهو في منتهى الهدوء وقال له:

- يا رفيقي إبليس، خوان الجندي لا يخاف ولا ينبغي له أن يفعل، هذا لمعلوماتك.

- ما يجب عليك أن تعرفه أنت، أيها الثرثار الشره، أنني سأضعك في جهنم في الحال، قال إبليس وهو ينفخ.

- أنت تفعل هذا بي؟ أنت تفعل هذا بخوان الجندي؟ يا له من أمر سهل! ما لا تعرفه أيها الرفيق المتعجرف، أن من سيدخل لك النفس الذي تتنفسه هو أنا.

- أنت، يا دودة الأرض الحقيرة!

- أنا، أيها الأفّاق، سأضعك أنت وذيلك وقرونك في حقيبة.

- كفاك تباهيًا، قال إبليس وهو يمدّ ذراعه الطويل ويُخرج أظافره الهائلة.

- إلى الحقيبة! صاح خوان الجندي بلهجة آمرة.

ومهما صاح إبليس مدويا؛ ومهما أخذ يندب، ويدافع عن نفسه ويتلوّى، ومهما زأر ونفخ وعوى، دخل برأسه في الحقيبة بلا رحمة.

أحضر خوان الجندي مطرقة، وبدأ يضرب بها على الحقيبة، وكانت كل ضربة تترك مكانها حفرة، حتى ترك إبليس مهروسا مثل الورقة المطبقة.

وعندما تعب ذراعاه، ترك الأسير يذهب وقال له:

– انظرْ، سأكتفى الآن بهذا، ولكنْ، إذا تجرأتَ على أن تقف أمامي مرة أخرى يا عديم الحياء، فأنا متأكد، مثلما أنا متأكد من أنني خدمت الملك أربعة وعشرين عاما دون أن أحصل على أكثر من رطل خبز وست مارابيديات، أنني سأشدك من رقبتك، وقرونك، وأظافرك، وسنرى حينئذ مَنْ ستُخيف. استعدّ لهذا.

عندما رأى بلاط جهنم الشيطان الكبير آتيا، وهو أعرج، ومُقعد، وشفاف أكثر من قماش الغربال، وبذيله بين رجليه، مثل كلب مضروب، أخذت كل تلك الكائنات الشرسة تقذف ضفادع وثعابين.

– والآن ماذا سنفعل أيها السينيور؟ سألوا صوتا.

– أصدروا أوامر بإحضار صانعي أقفال ليصنعوا أقفالا للأبواب، وبنائين ليسدوا جيدا كل الشقوق والثقوب الموجودة في جهنم، حتى لا يدخل، ولا يمرّ، ولا يصل إلى هنا الوقح الكبير خوان الجندي، أجابهم إبليس.

وهذا ما فعلوه بالحرف.

وعندما عرف خوان الجندي أن ساعة موته كانت تقترب، أخذ حقيبته، وبدأ طريقه إلى السماء.

تقابل على الباب مع سان بدرو، الذي قال له:

– أهلا ومرحبا بك: إلى أين أنت ذاهب يا صديقي؟

– أنا سأدخل، أجاب خوان الجندي بطريقة حالمة جدًا.

- آه، توقّفْ حضرتك، يا رفيقي، فلا يدخل السماء أي أحد هكذا كما يدخل بدرو بيته! لنرَ ما هي الحسنات التي أتيتَ بها سيادتك معك.

- حسنا لا شيء، أجاب خوان الجندي بثقة شديدة، فأنا خدمت الملك أربعة وعشرين عاما دون أن أحصل على مكافأة أكثر من رطل خبز وست مارابيديات. هل يبدو هذا لسيادتك قليلاً؟

- لا يكفي، يا صديقي، قال سان بدرو.

- ألا يكفي؟ أجاب خوان الجندي متقدما خطوة إلى الأمام. سنرى.

اعترض سان بدرو طريقه.

- إلى الحقيبة! أمر خوان الجندي.

- خوان، يا رجل، يا مسيحي، احترمْ نفسك، ضعْ اعتبارا لي.

- إلى الحقيبة! فخوان الجندي لا يخاف ولا ينبغي له أن يفعل.

وكان على سان بدرو، الذي لم يكن يريد هذا، أن يدخل في الحقيبة.

- اتركني، يا خوان الجندي، قال له: ضعْ في اعتبارك أن أبواب السماء مفتوحة ودون وصاية، وقد يدخل أي صعلوك.

- هذا بالضبط ما كنت أريده، قال خوان الجندي وهو يدخل هناك متعجرفًا وعنيدًا؛ والآن قل لي، أيها السينيور سان بدرو، هل يبدو لسعادتك أمرا عاديًا ألَّا أجد هنا في الأعلى ثكنتي المخصصة للعجزة بعد أربعة وعشرين عاما من خدمة الملك هناك في الأسفل، دون الحصول على أكثر من رطل خبز وست مارابيديات؟

(٥٠)
الحصـان الأخضـر

كانت هناك امرأة أرادت أن يكون عندها طفل، ولأنه لم يكن لديها، طلبته من الشيطان. وأجابها الشيطان بأنه سيعطيه لها بشرط أن يأخذه منها عند عمر العشرين، وأنه إذا لم ترسله لقلعته، سيأتي هو ليأخذه.

ومنذ أن كان صغيرًا، أخفت عن ابنها الحقيقة حتى أوشك على إتمام عشرين عاما، وأخذت تبكي، وتبكي. سألها الابن عما بها واعترفت له بكل الحقيقة. حينئذ طلب منها الفتى ألا تقلق، وقال لها: إنه سيذهب إلى القلعة عندما يحين الوقت، وأنه مع قليل من الحظ، سيريان بعضهما مرة أخرى.

حان يوم الرحيل. وعندما كان يمرّ على قرية، قابل امرأة كانت تبكي في حزن شديد:

- ماذا بك؟ سألها.

- زوجي مات وليس معي نقود لدفنه.

واساها الفتى وأعطاها نقودا لتدفن زوجها. أكمل طريقه، وبعد قليل، ظهر له حصان أخضر قال له:

- اركبْ على ظهري، وعندما تجد نفسك في مأزق، قلْ: ماذا سيحدث لي أيها الحصان الأخضر؟

صعد الفتى على ظهر ذلك الحصان، وعندما مروا من جانب شجرة، رأى حمامة مشتبكة بين الغصون. حينئذ نزل من على الحصان وقال له:

- انتظرْ، سأنقذ هذه الحمامة المسكينة.

أخذها، وجعلها تطير، وواصل طريقه. وعندما مرّ على نهر، رأى سمكة خارج الماء، وكانت تموت. توقف، وقال نفس الشيء للحصان. أخذ السمكة، وألقاها في الماء، وتابع طريقه. وصل إلى جدول ماء صغير، حيث كان هناك نمل كثير لا يستطيع عبوره. عندئذٍ أخذ النمل وعبر به إلى الضفةِ الأُخرى.

وأخيرًا وصل إلى قلعة الشيطان، الذي قال له:

- سأضعك في ثلاث تجارب، إذا نجحت في اجتيازها، يمكنك أن تعود إلى بيتك.

- حسنا، وما هي التجارب؟

- الأولى هي أن تجمع في ليلة واحدة ريشا يكفى لملأ سبع مراتب.

حينئذ قال الفتى، وهو غاضب جدًا: "ماذا سيحدث لي أيها الحصان الأخضر؟"، فظهر له الحصان على باب القلعة. حكى له ما حدث معه وقال له الحصان:

- لا تحزن، اركبْ فوقي.

- وحمله راكضًا، وأخذ يركض إلى حيث وجدا الحمامة المشبوكة بين الغصون. وكانت الحمامة هناك على نفس الشجرة؛ وحكيا لها ما حدث وقالت هي:

- لا تحزن. أنت أنقذت حياتي، وأنا سأنقذ حياتك.

نادت على العصافير وقالت لها:

- افعلوا كما سأفعل أنا.

- بدأت تُحَرّك نفسها وأخذت جميعًا تُسقط ريشًا حتى كان يوجد ما يكفى لملء سبع مراتب.

عندما رأى الشيطان أنه اجتاز أول تجربة، قال له:

- غدًا في الصباح، عليك أن تُحضر لي الخاتم الذي ضاع من جدة جدتي في النهر.

عندئذ قال الفتى: "ماذا سيحدث لي أيها الحصان الأخضر؟"، وظهر له على الباب في الحال وأخذه وركض إلى حيث وجدا السمكة التي كانت تموت خارج الماء. أطلّتْ السمكة وحكيا لها ما حدث. وقالت السمكة:

- لا تحزنْ. اذهبْ إلى الضفة الأخرى من جدول الماء وانتظرني.

وخرجت السمكة من هناك وفي فمها الخاتم.

عندما تقدَّم إلى الشيطان وبيده الخاتم، قال له:

- عندي مخزن حبوب مليء بكل أنواع الحبوب مختلطة. عليكَ أن تفصلها في أكوام مختلفة عند الصباح.

"ماذا سيحدث لي أيها الحصان الأخضر؟"، قال الفتى مرة أخرى، وظهر له الحصان وأخذه راكضا إلى حيث وجدا النمل. حكيا له ما حدث، وحضر جميع النمل إلى القلعة. وفي ليلة واحدة فصلَ النمل حبوب القمح، عن الذرة، عن الشوفان، عن الشعير، في أكوام مختلفة. عندما رآه الشيطان في الصباح قال:

- حسنا. يمكنك أن تذهب لأمك.

خرج هو سعيدًا جدًا، وهو يركض بأقصى سرعة على حصانه الأخضر، وعندما وصل إلى بيته، دخل، وعانق أمه، وأخذا يبكيان من الفرحة. ثم خرج ليشكر الحصان، ولكنهما وجدا رجلاً يقول لهما:

- أنا الروح التي لم تتمكن زوجتي من دفني، عندما لم يُرِدْ أحدٌ أن يعطيها المال لدفني، شكرًا على المال الذي أعطيته لها.

واختفى على الفور.

(٥١)

خوان دي كالايس

حسنا يا سيدي، كان هذا رجلاً عنده ابن اسمه خوان دي كالايس، وكان فقيرًا جدًا، لدرجة أنه عندما أصبح الولد صبيًا وأراد أن يلفّ العالم ليجرب حظه، لم يستطع الأب إعطاءه أكثر من بعض النصائح الطيبة وبيسيتا[١] لجيبه. لكنه لم يتضايق، وواسَى أباه، الذي لم يكن يشعر إلا بعدم قدرته على إعطاء ابنه المزيد من المال. ووعده بأنه سيعود قريبا وعانقه كثيرًا. وذات يوم، خرج من البيت، وأخذ يمشي إلى الأمام، دون أن ينتبه إلى المخاطر التي قد تحدث أو المآزق التي يمكن أن يقع فيها.

مشى، ومشى، فرحًا وسعيدًا جدًا، حتى وصل إلى قريةٍ، وعندما خرج منها دون رجعة، لأنه كان متعجلاً جدًا، رأى في منتصف الطريق رجلاً ميتًا، يبدو عليه إذا حكمنا من خلال علامات التحلُّل التي كانت تبدو عليه، أنه مات منذُ أيام، وبدا وكأنه يطلب دفنه. ولأنه بالقرب من الجثة كان يوجد كثير من الناس، سألهم خوان دي كالايس كيف كان هذا الرجل هكذا دون دفن! وأجابه شخص من الذين كانوا يسمعونه، وقال له: إن ذلك يرجع إلى أنه كان فقيرًا جدًا وليس لديه حق الدفن؛

---

(١) بيسيتا peseta (تصغير بيسو peso): الوحدة الأساسية للعملة الإسبانية قبل إحلال اليورو محلها وكانت مقسَّمة إلى مائة سنتيمو – المترجمة.

وإنهم يجمعون له حسنات لدفع حق الدفن، ولكن تنقصهم بيسيتا واحدة. وبمجرد أن سمع خوان دي كالايس هذا، وضع يده في جيبه وأخرج البيسيتا، التي كانت المال الوحيد الذي يملكه، ولكنه شعر بسعادة أكثر بعد هذا الفعل للخير، وواصل طريقه، ونسى الميت تمامًا، الذي بفضل حسنته، سيرتاح في الأرض، دون أن يبقى معرضًا لسخرية الآخرين.

مرّ خوان دي كالايس على كثير من الأعمال في رحلته، لكنه، لأنه كان شابًا وعنده الإرادة، كان يخرج منها كلها بفائدةٍ ما. وذات يوم، وصل إلى مملكة لم يسمع عن وجودها قبل ذلك، ولكن أهلها كانوا يعيشون حياة جيدة جدًا وكانوا جميعا سعداء. وفي هذا البلد، كان يحكم ملك، عنده بنت في عمر الزواج، وكانت تَخرج يوميًا للتنزه. ولأنه لم يكن لدى خوان دي كالايس شيء يفعله، كان كلما كانت تخرج العائلة الملكية للتنزه، يذهب معهم، لأن الأميرة كانت جميلة جدًا وكان معجبًا بها جدًا. كما أن الأميرة أيضًا ركزت اهتمامها على ذلك الغريب، وأصبحت تنظر إليه بشكل أفضل من باقي السادة في البلاط الملكي. وظلا هكذا فترة طويلة، حتى لاحظ الملك ذات يوم، ونادى ابنته، وقالت له: إنها معجبة جدًا بخوان دي كالايس وتريد الزواج به. في بادئ الأمر، عارض الملك الزواج، ولكن الأميرة أخذت تمرض وتمرض لدرجة أن الطبيب قال: إنه لا بد أن يكون هذا بسبب عاطفة حب عميق، أما الملك، الذي كان يحب ابنته كثيرًا، إضافة إلى أنه كان رجلاً طيبًا جدًا، فقد أمر بإحضار خوان دي كالايس، وعندما اقتنع بأنه هو أيضًا يُحب الأميرة كثيرًا، وبأنه شخص ذكي جدًا، زوّجه ابنته، التي شفيت عندما عرفت أنها ستتزوج الغريب. وهذا ما حدث؛ دخل خوان دي كالايس بالفعل إلى القصر، وبعد أيام قليلة تزوج من الأميرة.

بعد فترة قصيرة، بعد أن مرت الأيام الأولى من الزواج، قال خوان دي كالايس: إنه يريد أن يأخذ زوجته لترى والده وتأخذ بركته. ورغم أن الملك كان

يأسف كثيرا لفراق ابنته، وافق على ذلك، بعد أن جعلهما يَعِدانه بأنهما سيعودان في الحال. جهَّز ابن عم الأميرة سفينة فاخرة جدا للأميرين وصاحبهما إلى هناك. ابن العم هذا، الذي كان أميرًا أيضا، وكان شخصا سيئا للغاية، كان خطابًا لابنة عمه، وكان يريد الزواج منها حتى يرث بعد ذلك مملكة أبيها؛ ولهذا كان مغتاظا جدًا من أن خوان دي كالايس أخذ منه عروسه، ولم يكن يشغله إلا البحث عن فرصة للتخلص منه، حتى وإن كان يُخفي نيته السيئة. وأخيرًا اعتقد أنه وجد هذه الطريقة التي كان يبحث عنها، وذات يوم كان واقفا على سطح الباخرة، صاح وقال:

- خوان دي كالايس، تعالَ لترى شيئا جميلاً جدًا يظهر في البحر.

ذهب خوان دي كالايس، الذي كان بسيطًا جدًا، ولا يظن سوءًا في أحد، ولم يرَ شيئا، وقال هذا لابن العم:

- لا أرى شيئا.

- اقتربْ أكثر يا رجل، قال له. ذهب خوان دي كالايس واقترب أكثر من حافة السفينة، فذهب ابن العم ودفعه دفعة أوقعت المسكين خوان دي كالايس في البحر؛ وانتظر الوغد حتى مر بعض الوقت، وعندما اعتقد أن ضحيته قد غرقت، أخذ يصرخ:

- تعالوا، تعالوا إلى هنا، فابن عمي قد سقط في الماء!

لكنْ مهما أرسلوا من زوارق إغاثة وبحثوا عنه في كل مكان، لم يظهر خوان دي كالايس، وبما أن الرحلة لم يصبح لها هدف، عادت السفينة وعادت الأميرة الأرملة، مصحوبة بابن عمها، إلى مملكة أبيها، الذي أسف كثيرا لموت زوج ابنته، لأنه كان قد بدأ يشعر تجاهه بعاطفة حقيقية. ومنذ ذلك اليوم، عاد ابن العم من جديد يغازل ابنة عمه، التي لم تهتمّ به في البداية أي اهتمام، ولكنها اهتمت به أخيرًا، وبعد عامين، كانت على وشك الزواج منه.

في هذه الأثناء، لم يكن خوان دي كالايس ميتا. فعندما سقط في الماء، لاحظ كأن هناك أيدى غير مرئية تحمله حتى لا يفقد وعيه وشجعته على التغلب على ضربات الأمواج. وبذل كل ما في وسعه من قوة، وأخذ يسبح ويسبح، وهكذا وصل إلى جزيرة صحراوية، حيث استقر هناك، وكان حزينًا، حزينًا جدًا وهو يتذكر الأميرة كثيرًا ويتذكر أباه أيضًا، وماذا سيظن به، وأنه سيعتقد أنه ابن عاقّ لأنه لم يعطه أي أخبار عنه منذ أن رحل من بيته.

وذات يوم، كان فيه في منتهى الحزن، ظهر له جنيّ، وقال له:

– لا بد أن تعرف، يا خوان دي كالايس، أن زوجتك ستتزوج الليلة من نفس الشخص الذي ألقى بك في البحر. ماذا ستعطيني إذا أخذتُك إلى هناك الآن لتمنع إتمام الزواج؟

– حسنا، أجابه خوان دي كالايس، أنا لا يمكنني أن أعطيك شيئا، لأنه ليس لديَّ شيء، ولكنني سأكون ممتنًا جدًا لك.

– هل تعطيني نصف ممتلكاتك؟

– لكنْ إذا لم تكن ملكًا لي، كيف تريد أن أعطيها لك؟، قال خوان دي كالايس مرة أخرى.

– هل تعطيني إياها؟

– حسنا، قال خوان دي كالايس في النهاية، خذها، ولكنك لن تجني الكثير.

وفى الحال شعر خوان دي كالايس أنه ينام، وأنه لا يمكنه إيقاف هذا، وعندما استيقظ وفتح عينيه، وجد نفسه أمام باب قصر زوجته؛ كانت الأميرة على وشك الزواج، واجتمع جميع المدعوين لحضور الزفاف. كان خوان دي كالايس يلفت الانتباه بين كل الشباب الذين كانوا على الباب، لأنه كان أجملهم؛ تعرفت عليه

خادمة قديمة، وذهبت لتخبر الملك بأن هناك رجلاً يشبه جدًا سيدها المتوفى. أمره الملك بالصعود وتعرَّف عليه، وحكى له خوان دي كالايس كل ما حدث له. عندئذ طلب منه الملك أن يختبئ هناك لفترة، وذهب إلى القاعة حيث كان يوجد المدعوون وقال لهم:

– أنا كان لدى مفتاح، وضاع مني وطلبت عمل مفتاح آخر؛ والآن ظهر القديم، بأي منهما أحتفظ؟

– بالقديم، أجابه الجميع.

– وأنا أيضًا لديَّ نفس الرأي، قال الملك، وذهب يبحث عن خوان دي كالايس وقدمه للأميرة والمدعوين، الذين استقبلوه بترحاب شديد، وأصبحت الأميرة في منتهى السعادة. أما ابن العم فإنه، خوفا من العقاب الذي كان ينتظره، خرج يجري من القاعة ولم يسمع عنه أحد مرة أخرى.

وبمجرد أن هدأت حالة الفرح التي كانت تعمّ، ذهبت الأميرة إلى الداخل، وعادت وهي تُحضر طفلاً عمره عام ونصف، كانت قد أنجبته في غياب خوان دي كالايس، فعندما ألقوه في البحر، كانت هي حاملاً. عانقه كثيرا وقبّله، ولكنه بدأ يفكر، بعد قليل، في أن ذلك الابن هو ممتلكاته، وأنه دون أن يعرف، تعهَّد بإعطائه للجني، ولهذا لم يغمض له جفن تقريبًا تلك الليلة. وفي الليلة التالية، ظهر له الجني وقال له:

– خوان دي كالايس، لقد أوفيتُ بوعدي، وأتيتُ لكيْ تفي أنت بوعدك. هل أنت مستعد؟

خوان دي كالايس، الذي كان حاسما جدًا في اتفاقاته، أخذ يبكي عندما فكر في أنه سيبقى بدون ابنه، ولكنه أجابه بنعم.

حينئذ قال له الجنيّ:

– كنتُ متأكدًا من ذلك، ولكني أردتُ أن أثبت لنفسي. لا تخفْ، فلن يحدث لك أي مكروه. أنا روح الرجل المسكين الذي لم يكونوا يريدون دفنه وأخيرا تمّ دفني، بفضل البيسيتا التي دفعتها كحسنة، رغم أنها كانت العملة الوحيدة التي كنتَ تحملها. ومنذ ذلك الحين وأنا أنعم بالسعادة، وأتابعك حتى أخدمك وأساعدك في الأشياء التي تحتاج إليها، لأردّ لك عمل الخير الذي قمتَ به أنت. أنا أرشدتك إلى هذه المملكة، وأنا الذي تسببتُ في أن يعطيك الملك يد ابنته، وأنا الذي أخرجتك من الماء عندما ألقاك ابن عم الأميرة في الماء، وأنا من أحضرتك إلى هنا الليلة لتجتمع مع زوجتك وابنك. الآن عشْ مرتاحا وكن سعيدًا.

واختفى الجنيّ، تاركا خوان دي كالايس مرتاحًا وراضيًا. وبعد أيام قليلة، أرسل لإحضار أبيه، الذي اعتقد أنه ميت، وأبقاه بجانبه حتى مات العجوز المسكين. وعند موت الملك، ورثه زوجُ ابنته وعاش سعيدًا مع زوجته والأطفال الذين أنجباهم.

وأنا كنت هناك، ورأيتهم، وأعطوني حذاءً من الزبد ولكنه ساح مني في الطريق.

(٥٢)

بيـــافلـــور

ذات مرة، كان هناك أب عنده طفلان؛ وكان من حظ الأكبر أن يصبح جنديا وذهب إلى أمريكا، حيث ظل أعوامًا كثيرة. وعندما عاد، كان أبوه قد مات، وكان أخوه يتمتع بالثروة وأصبح غنيًا جدًا. ذهب إلى بيت أخيه ووجده ينزل على السلم.

- ألا تعرفني؟ سأله.

قال له الأخ لا، بطريقة سيئة.

ثم بدأ يعرفه وطلب منه أن يذهب إلى مخزن الحبوب وسيجد تابوتا، وأن هذا هو الميراث الذي تركه له أبوه، وواصل طريقه دون أن يهتمّ به على الإطلاق.

صعد إلى المخزن ووجد تابوتا قديما جدا وقال لنفسه:

"لكنْ فيمَ سينفعني هذا التابوت المتهالك؟ يا إلهي! سينفعني في إشعال نار لتدفئة نفسي، فالجو بارد جدًا".

حمله وذهب إلى حانته، حيث أخذ فأسًا وكسر التابوت إلى قطَع، ومن أحد خباياه سقطت ورقة. أخذها ورأى أنها كانت إيصالا لقدر متراكم من دين مستحق لأبيه. واستردّه وأصبح غنيا جدًا.

وذات يوم، قابل في الطريق، وهو يمشى، امرأة كانت تبكي بمرارة؛ سألها عما بها وأجابته بأن زوجها كان مريضًا جدًا، والأمر ليس فقط أنه ليس لديها المال لعلاجه، إنما يريد دائن أخذه إلى السجن، لأنه لا يستطيع دفع دينه له.

– لا تحزني، قال لها خوسيه؛ لن يأخذوا زوجك إلى السجن، ولن يبيعوا ما لديكما، فأنا سأحلّ كل هذا؛ سأسدّد ديونه، وسأصرف على مرضه ودفنه إذا مات.

وهكذا فعل كل شيء؛ ولكنه وجد أنه، عندما مات الرجل المسكين، وبعد أن دفع له دفنته، لم يبقَ له حتى ريال واحد، فقد صرف كل ميراثه في فعل الخير الذي قام به.

"والآن، ماذا أفعل؟ سأل نفسه. وأنا الآن ليس لدي ما آكله؟ سأذهب إلى أي بلاط وأخدم هناك".

وهذا ما فعله، دخل كخادم في قصر الملك.

وتصرّف جيدًا جدًا وأحبه الملك كثيرًا، لدرجة أنه أخذ يواصل ترقيته حتى جعله من أهم النبلاء.

في هذه الأثناء، كان أخوه الجاحد قد أفلس وكتب له طالبًا أن يأويه، ولأن خوسيه كان طيبًا جدًا، آواه، وطلب من الملك أن يعطيه وظيفة في القصر، ومنحه الملك إياها.

جاء إذن، ولكنْ بدلاً من أن يشعر بالامتنان تجاه أخيه الطيب، كان الحقد هو ما يشعر به عند رؤيته قريبًا جدًا من الملك، واعتزم إنهاء هذا. لهذا بدأ يستفسر لمعرفة كل ما يخدم غرضه، وعرف أن الملك كان مغرما بالأميرة بيافلور، وأنها، لأن الملك كان عجوزًا وقبيحًا، لم تكن تريده واختفت في قصر مختبئا بين الأدغال، ولا أحد يعرف أين. ذهب الأخ وقال للملك: إن خوسيه يعرف مكان بيافلور، وأنه

على اتصال بها. حينئذ، أمر الملك، غاضبًا جدًا، بإحضار خوسيه وطلب منه أن يذهب في اللحظة والتو لإحضار الأميرة بيافلور، وأنه إذا عاد بدونها، سيأمر بشنقه.

ذهب المسكين، حزينًا جدًا إلى الإسطبل ليأخذ حصانا ويجول به في الدنيا، دون يعرف أين يذهب ليجد بيافلور. ثم رأى حصانًا أبيض، عجوزًا جدًا ونحيفًا، قال له:

- خذني ولا تقلق.

اندهش خوسيه عندما سمع حصانًا يتكلم؛ لكنه صعد على ظهره ومشيا، وأخذا ثلاثة أرغفة من الخبز طلب منه الحصان أن يأخذها كزاد.

وبعد أن مشيا مسافة كبيرة قابلا بعض النمل وقال له الحصان:

- ارمِ هنا أرغفة العيش ليأكلها هذا النمل الصغير.

- لكنْ لماذا، قال خوسيه، وإذا احتجنا إليها؟

- ارمها، كرر الحصان، ولا تتعبْ أبدًا من فعل الخير.

مشيا مسافة أخرى ووجدا نسرًا علق بين شباك صياد.

- انزلْ، قال له الحصان، واقطعْ خيوط هذه الشبكة وحرِّرْ هذا الحيوان المسكين.

- لكننا سنضيع الوقت في هذا؟ أجاب خوسيه.

- افعلْ ما أقوله لك ولا تتعبْ أبدًا من فعل الخير.

ومشيا مسافة أخرى ووصلا إلى نهر، ورأيا سمكة صغيرة جفَّتْ على الضفة، وبقدر ما حاولت باستماتة أن تتحرك، لم تستطع أن تعود إلى مجرى الماء.

- انزلْ، قال الحصان الأبيض لخوسيه، خذ هذه السمكة الصغيرة المسكينة وألقِها في الماء.

- ولكنْ ليس لدينا وقت للتسلية، أجاب خوسيه.

- دائمًا يوجد وقت لفعل الخير، أجاب الحصان الأبيض، ولا تتعبْ أبدًا من عمل الخير.

بعد قليل وصلا إلى قلعة، وسط غابة مظلمة، ورأيا الأميرة بيافلور، التي كانت ترمي رَدَّة لدجاجاتها.

- انتبهْ، قال الحصان الأبيض لخوسيه؛ فأنا الآن سأقفز كثيرًا وأقف على قدمي الخلفيتين، مما سيُضحك بيافلور؛ ستقول لك إنها تريد أن تركب قليلاً، وأنت ستجعلها تركب؛ حينئذ سأعطى أنا بعض الركلات، وأصهل كثيرا؛ ستخاف، فتقول لها أنت: إن هذا لأن الخيل ليس لتمتطيه النساء، واركبني وأنا سأكبح جماحي؛ أنت ستصعد وأنا سأهرب حتى نصل إلى قصر الملك.

وحدث كل شيء تماما كما قال الحصان. فقط عندما هربوا، عرفت بيافلور نية خطفها التي جاء بها هذا الفارس.

حينئذ تركت الرَّدَّة التي كانت معها تسقط على الأرض، حيث تناثرت على الأرض، وقالت له: إنها تناثرت وطلبت منه أن يجمعها.

- هناك حيث نحن ذاهبون، أجاب خوسيه، توجد ردَّة كثيرة.

ثم، عندما مروا من تحت شجرة، ألقت من فوق منديلها، الذي علق بين أعلى الغصون، وطلبت من خوسيه أن ينزل ويصعد على الشجرة ليأخذه.

- هناك، حيث نحن ذاهبون، قال خوسيه، توجد مناديل كثيرة.

مرُّوا على نهر وتركت هي خاتمًا يسقط فيه وطلبت من خوسيه أن ينزل ليُحضره؛ لكن خوسيه أجابها بأنه هناك، حيث هم ذاهبون، توجد خواتم كثيرة.

وصلوا، في النهاية، إلى قصر الملك، الذي فرح كثيرًا لرؤية محبوبته بيافلور؛ لكنها وضعت نفسها في غرفة وحبست نفسها فيها، ولم ترغب في أن تفتح لأحد. توسّل الملك إليها أن تفتح، لكنها قالت: إنها لن تفتح حتى يُحضروا لها الأشياء الثلاثة التي ضاعت منها في الطريق.

– لا يوجد حلٌّ آخر يا خوسيه، قال له الملك، فأنت، الذي تعرف أين هي، يجب أن تذهب لإحضارها؛ وإذا لم تُحضر الأشياء الثلاثة، سآمر بشنقك.

ذهب خوسيه المسكين، حزينًا جدًا، ليبحث عن الحصان الأبيض، الذي قال له:

– لا تغضب؛ اصعدْ على ظهري وسنذهب للبحث عنها.

بدآ طريقهما ووصلا إلى النمل.

– هل تريد الرَّدَّة؟ سأله الحصان.

– طبعا وكيف لا أريدها؟ أجاب خوسيه.

– إذن نادِ على النمل الصغير واطلبْ منه أن يُحضرها لك، وإن ضاعت تلك، سيُحضر النمل لك تلك التي أخرجوها من خبز الزاد، الذي لم يكن قليلا.

وحدث هذا؛ حضر النمل الممتنّ له، ووضع أمامه تلاً من الرَّدَّة.

– أرأيت؟، قال الحصان، كيف أن مَنْ يفعل الخير، يلقاه عاجلاً أو آجلاً؟

وصلا إلى الشجرة التي ألقت بيافلور فوقها منديلها، الذي كان يرفرف كالعلم على أعلى غصن في الشجرة.

- كيف سآخذ هذا المنديل، قال خوسيه، فلكي أفعل هذا أحتاج إلى سلّم يعقوب[١]!

- لا تغضب، أجاب الحصان؛ نادِ على النسر الذي حرَّرْتَه من شباك الصياد وهو سيُحضره لك.

وهذا ما حدث. وصل النسر، أخذ المنديل بمنقاره وسلَّمه لخوسيه.

وصلا إلى النهر، الذي كان معكرا جدا.

- كيف سأتمكن من إخراج الخاتم من قاع هذا النهر العميق، إذا كنتُ لم أرَ ولا أعرف المكان الذي ألقته فيه بيافلور؟ قال خوسيه.

- لا تحزن، جاوبه الحصان، نادِ على السمكة الصغيرة التي أنقذتَها، وهي ستُخرجه لك.

وهذا ما حدث، وغطست السمكة الصغيرة وخرجت سعيدة جدًا وهي تحرك ذيلها وتمسك الخاتم بفمها.

ثم عاد خوسيه، وهو سعيد جدًا إلى القصر؛ ولكنْ، عندما حملوا الأشياء إلى بيافلور، قالت إنها لن تفتح ولن تخرج من محبسها إذا لم يقوموا بقَلْي الصعلوك الذي خطفها من قصرها.

أصبح الملك قاسيًا جدًا، ووعدها بذلك، وقال لخوسيه إنه ليس أمامه إلا أن يموت مقليًا في الزيت.

ذهب خوسيه حزينًا جدًا إلى الإسطبل، وحكى للحصان الأبيض ما حدث.

---

(١) سلّم يعقوب: سلّم مذكور في العهد القديم (سفر التكوين ٢٨، ١١-١٩) كانت الملائكة تصعد وتنزل عليه إلى السماء ومنها، وقد رآه يعقوب في المنام – المترجمة.

- لا تحزنْ، قال له الحصان؛ اصعدْ على ظهري، سأركض سريعا وسأعرق؛ ادهنْ جسمك بعرقي واتركْ نفسك تسقط بثقة في الغلاية، فلن يحدث لك شيء.

وحدث كل هذا؛ وعندما خرج من الغلاية، خرج بقفزة جميلة جدًا وشجاعة، لدرجة أن الجميع ظلوا مندهشين، وأكثرهم بيافلور، التي أغرمت به.

حينئذ، عندما رأى الملك العجوز القبيح ما حدث لخوسيه، أراد أن يحدث له هو أيضًا حتى تغرم بيافلور به أيضا، وألقى نفسه في الغلاية وأخذ يطقطق.

حينئذ أعلن الجميع حاجب الملك ملكا، وتزوَّج بيافلور.

عندما ذهب ليشكر الحصان الأبيض على كل ما يدين له به من أعمال الخير، قال له:

- أنا روح ذلك التعيس، الذي أنفقتَ أنت في مرضه ودفنه كل ما لديك، وعندما رأيتُك حزينًا جدًا وفي خطر، طلبت من الرب أن يسمح لي بأن أحضر لمساعدتك، وأردّ لك الخير الذي قمت به. لهذا قلت لك، وأقول لك مرة أخرى لا تتعبْ من عمل الخير أبدًا.

ى- الكائنات الأسطورية

(٥٣)

الأوخـانكـانـو

ذات يوم، أضاعت ساحرة طيبة علبة إبر، وكانت بها أربعة دبابيس، وكان في كل واحد منها ماسة، وثلاث إبر فضية، وكان رأس كل منها من الذهب.

وجدت علبة الإبر تلك، امرأةٌ فقيرة كانت تتجول من قرية إلى أخرى طالبة حسنة، ولم تتجرأ على بيعها خوفا من أن يظنوا أنها سرقتها. كانت هذه المرأة المسكينة تعيش مع ابنها، ولم تكن تحتاج إلى حسنة، لأن ابنها كان ينفق عليها، ولكنْ ذات يوم، ذهب ابنها إلى الجبل ولم يَعُدْ، لأن الأوخانكانو أخذه.

وظلت تطلب حسنة، ومعها علبة الإبر في جيبها، ورأت امرأة عجوزا كانت تخيط. وعندما مرت المرأة الفقيرة، انكسرت الإبرة وقالت العجوز للمرأة الفقيرة.

– أليس معك إبرة من باب الصدفة؟

ترددت الفقيرة للحظة ثم قالت لها:

– حسنا انظري، لقد وجدت لتوي علبة إبر بها ثلاث إبر، خذي واحدة.

واصلت الفقيرة طريقها، ومرت بجانب فتاة جميلة جدًا كانت تخيط. وعند مرورها، انكسرت الإبرة، وسألت الفقيرة إذا كانت معها أي إبرة. حكت لها الفقيرة أنها وجدت علبة إبر وأعطتها إبرة.

بعد ذلك بقليل، مرت الفقيرة من جانب طفلة صغيرة كانت تخيط وحدث نفس الشيء؛ انكسرت الإبرة من الطفلة، وسألت الفقيرة إذا كان لديها واحدة وأعطتها الفقيرة الإبرة الثالثة.

بعد خطوات قليلة، رأت فتاة جالسة على الأرض، تبحث عن شوكة غرزت في قدمها وسألت الفتاة المرأة الفقيرة:

- هل من الممكن أن يكون معك دبوس لأخرج الشوكة؟

وأعطتها الفقيرة واحدًا.

وإلى الأمام قليلا قابلت فتاة صغيرة كانت تبكي في حزن شديد، لأنها مزّقت مريلتها. طلبت منها الفقيرة ألا تبكي، وبالثلاثة دبابيس المتبقية معها شبكت لها القطعة الممزقة. وواصلت طريقها وعلبة الإبر فارغة.

وكانت تمشى في طريق وقابلت أمامها نهرًا، لكن لم يكن أمامها جسر لتعبره. كانت الفقيرة تفكر في السير على طول ضفة النهر، لترى ما إذا كان هناك جسر، عندما سمعت علبة الإبر تتكلم كإنسان وكانت تقول:

- اعتصريني كما لو كنت ليمونة، على ضفة النهر. وكلما احتجت مساعدة، اعتصريني بقوة.

وهكذا اعتصرت الفقيرة علبة الإبر وبدأ يُخرج لوحا خشبيا سميكا وعريضا وصل إلى الضفة الأخرى من النهر.

عبرت الفقيرة وتابعت سيرها.

قضت حوالى أربع أو خمس ساعات من المشي، دون أن تصل إلى أي قرية، ودون أن تجد بيتا به حياة، وفكرت: "آه لو تعطيني علبة الإبر شيئا آكله... سأجرب"

اعتصرت العلبة وخرج خبز طرىّ وساخن كأنه خرج لتوه من الفرن. التهمته دون توقُّف ومشت، وفي منتصف النهار وصلت إلى قرية.

طرقت باب أولّ بيت وجدته، لتطلب حسنة، وخرجت امرأة تبكي. وبدلا من أن تطلب منها حسنة، سألتها لماذا تبكي وقالت لها المرأة إن الأوخانكانو الموجود في الجبل خطف منها ابنتها الوحيدة.

- حسنا، لا تحزني أيتها السنيورة، سنرى ما إذا كنتُ سأجدها.

أخرجت الفقيرة العلبة، واعتصرتها، وخرجت ظبية جميلة جدا، لديها بقعة بيضاء على جبينها. وأخذت الظبية تمشى، والفقيرة وراءها، وظلتا هكذا حتى وصلتا إلى صخرة، حيث توقفت الظبية.

اعتصرت الفقيرة، التي لم تكن تعرف ماذا تفعل، العلبة وخرجت مطرقة. ضربت الصخرة ضربة بالمطرقة وظهر كهف الأوخانكانو. كان كهفا بين الصخور، لدرجة أن الأرضية، والجدران، والسقف كانت من الصخور. كان الكهف مظلمًا جدًا، لكن البقعة البيضاء الموجودة على جبين الظبية كانت تضئ مثل مصباح. وصلت الظبية والفقيرة وراءها، إلى ركن في الكهف، وأطلقت الفقيرة فجأة صرخة دهشة وسعادة، لأنه في هذا الركن، كان يوجد صبى نائم، وكان هذا الصبي ابنها، الذي سرقه منها الأوخانكانو منذ سنة.

أيقظت ابنها، وتعانقا وقبلا بعضهما، وخرجا من الكهف وهم يبكيان من السعادة، مسترشدين بالظبية، التي أخذتهما إلى البيت الذي رأت فيه المرأة التي تبكي.

كانت المرأة، التي لم تعد تبكي، هي الساحرة الطيبة، وقالت للفقيرة:

- ابقى في هذا البيت الذي أهديه لك. لا توافقي على أن يذهب ابنك إلى الجبل مرة أخرى. اذهبي إلى الزريبة واعتصري العلبة للمرة الأخيرة.

ذهبت الفقيرة ومعها ابنها إلى الزريبة. اعتصرت العلبة وخرج خمسمائة خروف، وخمسمائة عنزة وست بقرات.

عادا إلى البيت، وكانت الظبية والساحرة الطيبة قد اختفتا.

وانتهت الحكاية، وقد حكيتها لكم كما حكوها لي.

(٥٤)
الأوخانكو

كان هناك أب وأم عندهما طفلان، ولد وبنت. وماتا عندما كان الطفلان صغيرين جدًا.

أصبح الأخوان يتيمين، وفتحا دكانا بالنقود القليلة التي تركها لهما أبواهما، وهكذا كانا يعيشان في فقر.

ذات يوم، قال الأخ لأخته إنه ملَّ البقاء في الدكان وأنه سيذهب عبر البحار بحثا عن الثروة.

ثم، ذهب وأعدَّ طعامه، واشترى مركبا شراعيًا وذهب بحثًا عن الثروة عبر البحار.

وبعد أن أبحر لأيام عديدة، تعب من المشي في البحر واتجه إلى البرّ على جبل كان يراه.

ترك مركبه وأخذ يمشي في الجبل، ووجد أنه كان جزيرة كبيرة جدًا. أخذ يمشي، ويمشي، حتى وصل إلى كهف كان يعيش فيه رجل عجوز، خرج عندما رآه وقال له:

- مَنْ أرسلك إلى هنا يتمنى لك شرًا كثيرًا.

قال له: إنه رحالة وطلب منه معروفا بأن يستضيفه للبقاء هذه الليلة. وافق العجوز، وقال له: إنه يستطيع أن يستريح هناك هذه الليلة، وأنه سيعطيه غدًا خطابًا لأخيه الذي يعيش في كهف آخر، على بعد يوم سفر من هنا.

نام واستراح في كهف العجوز تلك الليلة، وفي اليوم التالي استيقظ مبكرا جدًا وتناول إفطاره، وأعطاه العجوز خطابًا لأخيه ورحل.

كان ذلك بعد وقت طويل، عندما كان الليل يحل، ورأى نورا يتراءى له من بعيد وبدأ يمشى في اتجاهه، وصل، وخرج رجل عجوز قال له:

- مَنْ أرسلك إلى هنا يريد لك شرا كبيرا. ماذا تريد؟

وقال له: إنه رحالة وأنه يُحضر له خطابا من أخيه ليجعله يقضى الليلة عنده. قرأ العجوز الخطاب وطلب منه أن يدخل. قدم له العشاء وفراشا ليقضى الليلة.

فى صباح اليوم التالي، تناول الفتى الإفطار وناداه العجوز وقال له:

- انظرْ إلى هذين الكلبين. اسـمهما كيبرانتـاييروس وبوينـوس آيـرس. سيساعدانك وينقذانك دائما. عندما تجد نفسك في مأزق، نادِ عليهما باسميهما، قـلْ لهما ما تريد وسينقذانه دائما.

وخرج الكلبان وتقدما إلى الأمام ومَشَى هو معهما.

مشوا، ثم مشوا حتى وصلوا متأخرا جدا إلى حيث يرى قلعة كبيرة جدًا، كبيرة جدًا، كان يعيش بها الأوخانكو، الذي كان صاحب كل تلك الأراضي والممتلكات. وصل هو وطرق الباب. خرج صبيٌ من صبيْة الأوخانكو، وسأله ماذا يستطيع أن يقدم له. قال الشاب إنه يطلب المبيت هذه الليلة. وذهب الصبي وقال للأوخانكو: إنه يوجد صبيّ معه كلبان ويريد المبيت لمدة ليلة، وطلب منه

الأوخانكو أن يدعه يدخل. دخل، واستقبله الأوخانكو بسرور بالغ، وقال له: إنه يمكنه البقاء معه هنا ليس ليلة واحدة فقط، وإنما بقدر ما يشاء.

ظل هناك شهرًا، يعيش مع الأوخانكو، وكانوا يعاملونه جيدًا جدا، ويطعمونه، هو وكلبيه، طعاما جيدًا. وكل يوم، كان يذهب هو للصيد ومعه كلباه، ويعود إلى القلعة ومعه أرانب وطيور حجل كثيرة.

ثم، بعد قضاء أكثر من شهر هناك، قال للأوخانكو:

- عندي أخت تركتُها وحيدة في قريتي وأريد أن أرسل لإحضارها لتأتى وتعيش هنا معي.

وقال له الأوخانكو:

- تبدو لي فكرة جميلة جدًا أن ترسل لإحضارها، لكنْ، مَنْ سيذهب؟

- لا تقلق يا سيدى، أجابه الفتى، سأرسل كلبيَّ لإحضارها.

ونادا على كلبيه وقال لهما:

- كيبرانتاييروس، بوينوس آيرس، أريد أن تذهبا لإحضار أختي!

بدأ الكلبان يركضان مثل الريح وفي لحظات كانا قد عبرا البحر وأصبحا حيث كانت أخته. ركبت هي على كيبرانتاييروس، وخرج بوينوس آيرس وراءهما يركض مثل الريح. وعبروا البحر في لحظة ووصلوا إلى قلعة الأوخانكو. وعندما رأى الأوخانكو أنهما عادا في لحظة ومعهما الفتاة، ذُهل كثيرًا. لكنه لم يقل شيئا للشاب، لأن الأخت لفتت نظره على الفور، وسرعان ما بدأ يغرم بها.

قضوا أيامًا كثيرة وكان الأوخانكو قد أصبح مسحورا بالأخت، وقال لها: إنهما سيقتلان أخاها حتى يبقيا وحدهما في القلعة.

هي، ولأنها كانت مسحورة، وافقت على مساعدته على قتل أخيها.

وذات يوم، خرج الفتى للصيد ومعه كلباه، وقال الأوخانكو للفتاة:

- هيا نضع له السم في الطعام الآن ليأكله عندما يعود.

أعدًا السُفرة، ووضعا سُمًا في طبقه.

وعاد هو من الصيد ومعه طيور حجل وأرانب وقال لأخته:

- انظري يا أختي كم هي سمينة هذه الطيور، وكم هي شهية هذه الأرانب الصغيرة! أتريدين أن نطبخها على العشاء؟

وقالت له هي:

- دعها للغد يا أخي، فكل شيء جاهز الآن.

ثم جلسوا على المائدة، وعندما وصل الكلبان وصعدا على المائدة، أرجعا مؤخرتيهما إلى الخلف وتبرزا في كل الأطباق وفي كل الطعام. وقال الأوخانكو غاضبًا جدًا:

- آه، يا لها من كلاب قذرة! ألقوا بهما إلى الخارج!

وهكذا لم يستطيعا أن يسمِّما الأخ، وكان عليهم أن يطبخوا الحجل والأرانب على العشاء.

في يوم آخر، عندما ذهب الأخ للصيد، تحدث الأوخانكو مع الفتاة وقال لها:

- انظري ماذا سنفعل الآن. بما أن أخاك لم يعرف كل القصر بعد، سأقول له إننا سنريه كل الغرف والباحات والقاعات، وسنأخذه حيث يوجد عندي فناء به رماح مسمومة ونصيبه هناك حتى يموت حيث تخترقه الرماح.

وصل عائدا من الصيد مرة أخرى، محمّلا بالحجل والأرانب. واستدعوه للعشاء وبعد أن انتهوا، قال له الأوخانكو:

- سنزور الآن كل باحات وقاعات القلعة، فأنت تذهب كل يوم إلى الصيد ولم ترَ بعد كل ما يوجد في القلعة.

وافق الآخر على أن يذهبوا لرؤيتها كلها.

لكن الأوخانكو كان قد ربط الكلبين حتى لا يذهبا لمساعدته.

كانوا قد ذهبوا، وتجولوا في كل القاعات والباحات، عندما أخذاه إلى الفناء حيث كانت الرماح المسمومة وأصاباه في الأسفل. وفي اللحظة التي سقط فيها، تركاه هناك وحيدا ليموت. وقال الأوخانكو للفتاة:

- الآن قتلناه فعلا. وبما أن الكلبين مقيدان الآن، فإنهما لن يستطيعا مساعدته.

وكان الاثنان سعدين جدًا عندما رأيا أنهما قد أزالاه من طريقهما.

لكنّ الكلبين عرفا كل ما حدث، وعندما سقط صاحبهما في الفناء من الرماح المسمومة، أصبحا شرسين جدًا، وكسرا قيودهما، وذهبا ليبحثا عن صاحبهما. ولكنْ لأن الأوخانكو كان قد أغلق كل أبواب القلعة، لم يستطيعا الدخول لإنقاذه. ومشى الكلبان خمسة عشر يوما فوق الأرض وخمسة عشر يوما تحت الأرض، حتى وجدا صاحبهما في النهاية، وأخرجاه من الفناء، وحملاه، ولعقاه، وطيبا جروحه.

ووصل ومعه كلباه في حضور الأوخانكو وأخته. لم يجرأ الأوخانكو على قول أي شيء لأنه كان خائفا من الكلبين. وقال الفتى لأخته:

- لقد حققتِ رغبتك الآن.

وظلت هي صامتة، دون أن تقول أي كلمة.

ثم قال لها مرة أخرى:

- لقد حققتِ رغبتك وستكونين سعيدة جدًا مع هذا الأوخانكو الشرير.

وظلت صامتة.

حينئذ نادى على كلبيه وقال لهما:

- كيبرانتاييروس، بوينوس آيرس، لتصبح أكبر قطعة في أختي في وزن الأونصة!

مزّقها الكلبان في لحظة.

وحينئذ قال لهما:

- كيبرانتاييروس، بوينوس آيرس، إذا كانت أكبر قطعة في أختي تزن قدر الأونصة، فلتكن أكبر قطعة في الأوخانكو لا تزن ولا حتى أدارمي![1]

كان الأوخانكو قد هرب ودخل في غرف تحت الأرض وأغلق سبعة أبواب حديدية. لكن الكلبين أخذا يركضان هابطين السلالم، ودفعا أحد الأبواب، ودفعا بابا آخر، حتى أسقطا كل الأبواب، وأمسكا بالأوخانكو وقطعاه أيضا.

---

(١) أدارمي adarme وحدة موازين قديمة تساوي جزءا من ١٦ جزءا من الأوقية - المترجمة.

(٥٥)

الأوريكويرنو

ذات مرة، كانت هناك فتاة عندها حبيب. وفي القرية التي كانت تعيش فيها، كان يوجد صبى مغرم بها، وكان دائما يمشى وراءها. وذات يوم كانت الفتاة تتحدث مع حبيبها في البدروم، واقترب الآخر وقتله. ولأنها كانت تعرف جيدًا مَنْ هو القاتل، خرجت في اليوم التالي تراوغه لتنتقم منه. وقابلته عند ناصية الشارع، وأطلقت عليه النار من البندقية. لكن بدلاً من أن تقتله وحده، قتلت اثنين، هو وصديق له.

وعندما رأت أنها لن تستطيع الهرب من العدالة، غادرت بيتها في نفس تلك الليلة. ومشت، ثم مشت بين الجبال، ووصلت إلى كوخ بعض رعاة الغنم، وحكت لهم ما حدث معها، وقالوا لها: إنهم سيصنعون معها معروفا ويعطونها ملابس راعٍ حتى لا يتعرف عليها أحد. وارتدت ملابس رجل، وقصت شعرها، ومشت في الدنيا.

وصلت إلى قرية وعملت خادمة في بيت تاجر، وقالت إن اسمها كارلوس. وقعت ابنة السيد في غرام كارلوس، وقالت لأبيها إنها تريد الزواج منه. وقال لها الأب:

- لكن يا ابنتي، هو الذي عليه أن يصرّح لكِ عن حبه. النساء لا يتحدثنَ أولاً أبدًا.

لكنها ألحّتْ كثيرًا، حتى ذهب الأب وقال لكارلوس: إن ابنته مغرمة به وتريد الزواج منه. لم تعرف الفتاة المسكينة ماذا تفعل. ولكنْ لم يكن أمامها إلا أن تتزوج.

وذهبا للنوم. دائما يذهب الزوج إلى الفراش أولاً. ولكن كارلوس لم يذهب، وأخيرًا ذهبت هي أولاً إلى الفراش. وحينئذ، قالت العروس، بعد أن تعبت من الانتظار:

- كارلوس، ما الأمر؟ ألن تأتي للنوم؟

في النهاية ذهب كارلوس للنوم. اقترب من الفراش في حزن شديد.

حينئذ قال لها كارلوس الحقيقة. قال لها إنه ليس رجلا، إنما امرأة. وقالت له العروس:

- انظري، لا تحزني، لن نقول شيئا لأحد، وسنكمل كما لو كنتِ رجلا.

وعاشا هكذا سنينا طويلة. ولكنْ لأنهما لم ينجبا، بدأوا يشكّون في أن كارلوس امرأة. وبدأ الجميع يقول إن كارلوس امرأة. وقال الأب:

- سنُقيم وليمة وسنضع كراسي عالية وأخرى منخفضة، إذا كان كارلوس امرأة، سيجلس على كرسي منخفض.

وذهبوا إلى الوليمة. وصل كارلوس وجلس على أعلى كرسي كان موجودا. وبهذا لم يستطيعوا الوصول إلى شيء.

عندئذ قال الأب:

- سنذهب الآن للصيد، ثم للاستحمام في النهر، فإذا كان كارلوس امرأة، لن يرغب في الاستحمام.

خرج الجميع للصيد، وبعد ذلك ذهبوا ليأكلوا. ثم بعد الأكل قال الأب للفرسان:

- الآن هيا بنا لنستحم في النهر.

حينئذ قال كارلوس:

- انتظروني قليلا، عليَّ أن أذهب لقضاء الحاجة.

وهكذا ذهب وحده وجلس على حافة صخرة وكان حزينًا جدًا، وحينئذ رأى حشرة عندها قرون كبيرة جدا. اقتربت منه وطلبت منه أن يتجرد من ملابسه. وتعرى، ورسمت الحشرة، التي كانت هي الأوريكويرنو، صليبا بقرنها على مشط قدمه، وفي الحال تحولت الفتاة إلى صبي، وعاد كارلوس إلى النهر حيث كان الرجال يستحمون ودخل ليستحم معهم ورأى الجميع أنه رجل.

ك – الطموح المعاقب عليه

(٥٦)

عصفور الماس

كان هناك صديقان يعملان صائغي فضة، وكانا ثريَّيْن، لكن عاكس الحظ أحدهما وأفلس. ذهب إلى الآخر، لكنه كان أنانيًا جدًا، وقال له: إنه لن يستطيع مساعدته، لأن لديه طفلين ويحتاج من أجلهما إلى القليل الذي يملكه.

وهكذا، عندما وجد المسكين نفسه بلا نقود، طلب العمل كحارس لمرعى، وعندما حصل على الوظيفة؛ انتقل للعيش فيه. ولأنه كان صيادا، كان يستغل بندقية صيده ليقتل ما يسمح به سيده من الفرائس للأكل. وذات يوم، رأى عصفورا بألوان في منتهى الجمال، إلى حد أنه رغب في أخذه، عمَّرَ البندقية بمسحوق فقط، وأطلق عليه، وكان حظه موفقا في الإمساك به تقريبا دون إيذائه. وضعه في قفص، وعندما ذهب في اليوم التالي ليضع له الطعام، وجد أن العصفور قد وضع في العش حجرًا لامعًا جدًا، ولأنه كان صائغًا، عرف على الفور أنه ماس. لم يستطع إدراك كيف حدث هذا لكنه في اليوم التالي، وجد واحدًا مماثلاً، ثم واحد آخر، حتى أدرك أن العصفور هو الذي كان يضعها كل يوم بدلاً من البيض. أخذها للصائغ الآخر، الذي اشتراها، وأعطاه في كل واحد منها ستة آلاف من الريالات.

وعندما رأى أن معه نقودًا، استقال من المرعى، وعاد إلى القرية، ولأن العصفور ظل يعطيه ماسا، أصبح غنيًا. وأراد الصائغ الآخر، الذي كان بالغ

الطموح، أن يعرف من أين يأتي بهذه الماسات، ولكنْ لأن صديقه لم يكن يريد أن يخبره، قال له إنه لا بد أن يكون قد سرقها، وهدده بإبلاغ العدالة عنه كلصّ. أما الآخر، الذي كان ساخطًا جدًا، فقد حكى له كل ما حدث معه ليُثبت له أنه لم يسرقها.

وعندئذ اقترح عليه الصائغ شراء العصفور ورفض صديقه؛ ولكنه، خوفا من أن يحتال عليه الصائغ، ولأنه كان قد أصبح غنيًا، قرر أن يعطيه العصفور إذا انتقل ببيته وتجارته إلى مكان آخر.

وافق الصائغ، الذي كان ينتظر أن يصبح أغنى مع ماسات العصفور؛ وعقد الصفقة، ونقل البيت ودكان الصاغة، وأخذ هو العصفور.

أخذ أول ماسات وجدها في القفص، وباعها واشترى بيتا، ووضع في الحديقة قفصا كبيرا للعصفور. وذات يوم، ذهب ليراه، ولأنه كان يرفرف ويرفع جناحيه، رأى الصائغ علامة على أحد جناحيه. أخذ العصفور ليرى ماذا تقول وقرأ "مَنْ يأكل رأسي يصبح ملكا". رفع الجناح الآخر وكانت عليه علامة أخرى تقول: "مَنْ يبتلع قلبي دون مضغ سيجد، كل يوم، عندما يستيقظ، كيسًا مليئًا بالذهب تحت الوسادة".

جُنَّ الصائغ، الذي كان كما قلتُ طموحا للغاية، من السعادة وقال لنفسه:

"يساوى هذا أكثر من الماسات، فمن الأفضل أن أقتل العصفور وآكل رأسه وقلبه، وهكذا سأكون ملكًا وأغنى مما يستطيع أحد أن يصير".

وبالفعل فعل ما قال، وأخذ العصفور وقتله، وأعطاه للطباخة لتقليه وقال لها:

– لا بد أن تدركي أنه إذا حرقته أو نقص منه أي جزء، سأسلخك حية.

حسنا يا سيدى، كان ما حدث هو أن الطباخة قامت بقَلْي العصفور ووضعته جنبًا إلى أن يحين وقت الغداء. عندئذ، كان عليها أن تخرج من المطبخ، في حين وصل ابنا الصائغ من الحقل. ولأنهما كانا جائعين، ذهبا إلى المطبخ، وعندما رأيا العصفور المقلي، أمسك الأكبر برأس العصفور وأكله، وأخذ الآخر القلب ليأكله، ولكنه، لأن الخادمة كانت قد وصلت في ذلك الوقت، ابتلعه كله حتى لا تراه وهو يمضغه فتقوم بإبلاغ والده.

لم تره الطباخة، وعندما طلب سيدها العصفور، أخذت الطبق وحملته إليه. أول ما بحث عنه الصائغ كان القلب والرأس، لكنه بقدر ما قلبه هنا وهناك لم يجدهما. نادى على الطباخة وهو يستشيط غضبا، وسألها عن الرأس والقلب، لكن المرأة المسكينة قالت له إنها لم تأكلهما.

– ألم أقل لكِ إنه إذا نقص منه شيء سأسلخك حية؟

– أنتِ أكلتِهما، وسترجعينهما الآن وإلا سأحطمك.

أخذ عصا، وبدأ يؤذي المرأة المسكينة، التي كان صوت صراخها يصل إلى السماء، وهي تُقسم على أنها لم تأكلهما.

حضر الولدان على صرخاتها، وعندما رأيا والدهما، أدخلا نفسهما بينهما وهما يسألان والدهما عما حدث ليضربها بهذه الطريقة.

– سأقتلها بسبب جشعها، قال الصائغ، الذي رأى أن المُلك والمال يضيعان منه، أعطيتها عصفورا لتقليه وكلّفتُها بألّا ينقص منه شيء، وأكلتْ الرأس والقلب.

وعندما سمع الولدان هذا، لم يريدا أن تدفع هذه المرأة المسكينة ثمن فعلتهما، وقالا له:

- إذن، إذا كان هذا هو السبب، ليس لحضرتك الحق في ضربها، فليست هي، إنما نحن اللذان دخلنا المطبخ على غفلة منها وأكلنا الرأس والقلب.

- خيرا، قال الأب الذي هدأ قليلا، عندما رأى أنه ليس هناك حلّ، ومع أنه لن يكون الملك، لكن أحد ابنيه سيكون. أما الآخر، فسينتبه إلى أن لا يقول له شيئا وأن يأخذ كل صباح كيس الذهب من تحت الوسادة. وسأل مَنْ منهما أكل القلب، وعرف أنه الأصغر.

وهذا ما حدث؛ لم يقل شيئا لأيٍّ من الولدين، وفي صباح اليوم التالي، ذهب لفراش الابن الأصغر ووجد تحت الوسادة كيسا مليئا بالذهب. ومنذ ذلك الحين، كان يفعل نفس الشيء كل يوم دون أن ينتبه ابنه لذلك.

ثم يا سيدي، أصبح الولدان رجلين وأحبا الصيد كثيرًا، ودعاهما صديق للذهاب للصيد في مزرعة لديه فيها أرانب كثيرة.

لم يكن الأب يريد، لكن الصديق ألحّ كثيرًا، حتى اضطر أن يتركهما يذهبان، ولكنْ بشرط ألا يتأخرا كثيرًا.

ذهبوا إلى المزرعة، وفي الصباح الباكر، خرجوا للصيد، وعندما عادوا آخر النهار، اقتربت الخادمة من الأخ الأصغر وأعطته كيسا وقالت له:

- خُذْ يا سيدي هذا الكيس الذي تركتَه هذا الصباح تحت الوسادة.

- هذا ليس كيسي، قال الشاب.

- لا يا سيدي، أصرت الخادمة، بينما كنتُ أرتّب الفراش، وجدتُه، وهو لك.

ظن الصبي أنها كانت مزحة، وقال:

- حسنا، إذن إذا كان هذا ملكي احتفظي به، فأنا أهديه لك.

طارت الخادمة من الفرحة، ولو سألوها مَنْ هو الرب، لقالت إنه هذا الصبي.

ذهب الصبي للنوم؛ وهو جالس في الفراش، أخذ يلف سيجارة، وحتى لا ينهض من الفراش، وضع علبة السجائر تحت الوسادة. عندما استيقظ في الصباح، وجاء يأخذ علبة السجائر، رأى الكيس وبه النقود؛ وأخذها ليرى ما إذا كانوا سيسألونه عنها، ولكنْ لم يقل أحد أي شيء وبما أنه وجد في اليوم التالي كيسا مماثلا له، ظن أنه نفس الكيس، وذهب ليرى ما إذا كانوا قد أخذوه منه، ولكنه وجده، وقد جعله هذا حذرا. ولأن الكيس كان يتجدد يوميا، فقد لفت انتباهه، لأنه من المستحيل أن تكون مزحة من أحد.

"أهلا، قال لنفسه. لا بد أن هناك شيئًا آخر. لا شك في أن هذا هو السبب وراء أن أبى كان يدخل غرفتي كل يوم ليرتب وسادتي قبل أن أستيقظ، ولم يُرِدْ أن أذهب إلى المزرعة. لا بد من أن أتوصَّل إلى ما وراء هذا".

وهكذا وصلا، واجتمع الأخ الأصغر بأبيه وأخيه وقال للأول:

– أبى، لقد لاحظتُ أنه كل يوم، في الصباح، يوجد تحت وسادة فراشي، كيس مليء بالذهب؛ لا بد أنك تعرف هذا وأريد أن تقول لي السبب.

حينئذ لم يكن أمام الأب إلا أن حكى له كل ما حدث مع العصفور، ولأنه ابتلع القلب، يجد هذا الكيس كل يوم، إضافة إلى أنه مقدر لأخيه أن يصبح ملكًا لأنه أكل الرأس.

فرح الأخوان كثيرًا بهذا الاكتشاف، وقال الصبي لأبيه، وهو يعطيه كل النقود التي معه:

- بهذا، وكل ما معك، لن ينقصك شيء لتعيش حياتك؛ أنا أريد أن أتجول حول العالم وأرى قدر ما أستطيع من البلاد.

حاول الأب أن يُثْنِيه عن نيته، لكنه لم يوافق، وقال إنه سيذهب وسوف يعود عندما يتعب من كثرة السفر. وقال له أخوه إنه يريد أن يذهب معه، وفرح هو بذلك كثيرا، لأنه لن يذهب وحيدًا.

ندم الأب لأنه قال لهما عن حكاية العصفور، ولكنْ، لأنه لم يكن أمامه حلٌّ آخر، كان عليه أن يوافق ويتركهما يرحلان، وباركهما، وتوسل إليهما أن يعودا مبكرًا، فهو لا يريد أن يموت دون أن يراهما ثانيةً.

بدآ طريقهما، وكانا قد مشيا فراسخ كثيرة عندما رأيا، ذات صباح، سحابة من الغبار تتقدم ومن بينها ظهر انعكاسٌ لأسلحة كثيرة. وقليلاً قليلا بدآ يميِّزان ماذا كان ذلك الشيء، وأدركا أن سحابة الغبار كانت كتيبة من الجنود، التي عندما وصلا إليها، توقفت، واقترب من الأخ الأكبر بعض الخدم، وقدموا له طاولة عليها تاج وكل الأوسمة الملكية، قائلين إنهم ينصِّبونه ملكا، وأنه وفر عليهم نصف المسافة، لأنهم كانوا ذاهبين إلى بيته بحثًا عنه.

ولأن أباهما كان قد حكى لهما عن العصفور، لم يفاجئهما ذلك، وهكذا قبل الأخ الأكبر التاج وترأس الجنود، وإلى جانبه أخوه، وواصلوا طريقهم حتى وصلوا إلى عاصمة تلك المملكة، حيث تم استقبالهم باحتفالات هائلة.

بقى الأخ الأصغر هناك طوال الاحتفالات، وبمجرد أن جلس أخوه على عرش الحكم، قال: إنه سيكمل رحلاته. توسل إليه الملك أن يبقى، قائلا له إنه سيولِّيه أهم منصب في المملكة، ويمكنه أن يتزوج أميرة؛ لكن الآخر رفض، لأنه

كانت لديه رغبة في رؤية بلاد أخرى. وبالنسبة للزواج، فهو لا ينقصه أي مال، ولهذا لا يريد الزواج بأميرة، إنما بامرأة جميلة يحبها.

في النهاية، رحل الرجل، ومشى، ثم مشى، ودار حول العالم، وأجمل امرأة وجدها كانت يتيمة تعيش مع خالتها، لكنهما كانتا فقيرتين جدًا. طلب يدها، ورغم أنه لم يصرح بمركزه، رأتا أنه وسيم، وأنه لا ينقصه إيجاد طعامه، فوافقتا عليه وتزوج الشابة.

وهكذا عاشوا فترة قصيرة، وبما أنه لم ينقصه المال أبدا، لم ينقصه أيضا مَنْ يحاول تخمين من أين يأتي به، فلم يكن أحد يراه يعمل؛ كان يقول إنه ترك أمواله في مكان آخر، ويرسلون له دخله من هناك. لم يلحّ الغرباء، لكن خالة الفتاة، التي كانت طماعة جدًا، ولم تكن ترى أحدا يأتي بنقود، كانت تتلهف كثيرا على معرفة من أين يأتي بها، ولأنها لم تتمكن من ذلك، كلفتْ ابنة أختها بأن تعرف هذا الأمر.

أما الزوجة، التي كانت لديها هي أيضا رغبة في معرفة هذا الأمر، وعلى الرغم من أنه حاول أن يعتذر عن قول أي شيء، إلا أنها ألحّتْ كثيرا، إلى أن حكى لها في النهاية ما حدث مع العصفور، وعن سبب عثوره على كيس مليء بالذهب كل صباح تحت الوسادة، ولهذا لن ينقصهم شيء ليعيشوا حياتهم، ولكنه أكد عليها ألّا تقول شيئا لأحد. لأن هذا سيكون مؤذيًا.

وعدته الزوجة بأنها ستفعل هذا، ولكنْ بمجرد أن خرج الزوج، ذهبت لتحكي لخالتها، التي أعطتها مسحوقًا، وطلبت منها أن تضعه لزوجها في النبيذ الذي يشربه، وهكذا ستعرفان ما إذا كان كلامه حقيقيا.

وهذا ما حدث، عندما جاء يأكل، ألقت الزوجة المسحوق في النبيذ دون أن يراها هو، وشربه دون تخوين.

وبعد أن شربه بقليل، شعر بالتعب وذهب لينام؛ ولكنه، قبل أن ينام، أخذ يتقيأ وأخرج كل ما كان في معدته.

ذهب لينام بعد ذلك، وذهبت العجوز إلى حيث تقيأ، وعندما وجدت القلب، غسلته وابتلعته.

في اليوم التالي، عندما استيقظ، أخذ يبحث تحت الوسادة، وعندما لم يجد شيئا، سأل زوجته عما إذا كانت قد أخذت الكيس، لكنها قالت له لا، ولأن هذا تكرر في باقي الأيام، أصبح غير واثق بزوجته. تشاجر مع زوجته، وتدخلت الخالة في المشكلة، وأمطرت عليه وابلا من الشتائم، وطردته إلى الشارع، وقالت له إن ذلك بيتها وإنه ليس لديه شيء يفعله هنا.

"آه، أيتها الملعونة"، قال لنفسه. "ليس معنى أن تطرديني من البيت، أنك ستأخذين كيسي، لأنهما في هذه الحالة لن تأخذا كيسا آخر، فلا بد أن زوجتي، التي تعرف حكاية القلب، قالت لخالتها، التي قد قامت بعمل فخ".

سأل الخادمة، التي لم تستطع أن تقول له أكثر من أن اليوم الذي مرض فيه وكان يتقيأ، لم ترد العجوز أن تنظّف إحداهن، وقامت هي بذلك بنفسها. وأدرك هو ما حدث وقال لها:

"آه، لقد فهمتُ الآن!"؛ لقد وضعت لي هذه العجوز الشريرة خطة حتى أُخرج القلب وتبتلعه هي، وبما أنها متأكدة من أنها هي مَنْ سيحصل على الكيس، طردتني إلى الشارع. إذن ستريان، فلن تضحكا كثيرا.

ذهب الشاب إلى الحقل، هائما على وجهه، ومشى ثم مشى، وجلس ليستريح إلى جانب ينبوع ماء، حيث شرب، ولأنه كان جائعا، ولم يكن معه طعام، نظر من حوله في كل اتجاه، بحثا عن شيء يأكله.

لمح شجرة تين بها تين في غاية الجمال، واتجه مباشرة إلى شجرة التين، أخذ واحدة وأكلها؛ ولكنه، بمجرد أن أكلها، تحول إلى حمار. وعندما وجد نفسه هكذا، ندم المسكين كثيرا على أنه وصل إلى شجرة التين تلك، وحزن كثيرًا، حتى إنه ألقى بنفسه على الأرض دون أن يعرف ماذا يفعل. ولكنه، رغم أن هيئته تغيرت، لم يزلْ جوعُهُ، فقام، وأخذ يأكل عشبا، وبعد قليل، رأى، برضى شديد، أنه استعاد هيئته كإنسان.

"رب ضرة نافعة، قال لنفسه. بفضل كل التغيرات التي سببت لي رعبا رهيبا، هذا التين سينتقم لي".

ثم أخذ أجمل ثلاث حبات تين على الشجرة، وعاد إلى القرية.

بحث هناك عن شخص بهدف تكليفه بأن يذهب إلى بيته ليحاول بيع هذا التين لهما. وهكذا عندما رأت الخالة هذا التين الجميل، أعطته فيه ما طلب، وأعطت واحدة لابنة أختها، وواحدة للخادمة، واحتفظت بواحدة لنفسها، وأكل جميعهن التين.

وبعد قليل، دخل الشاب، ووجد أنهن تحولْنَ إلى حمارات؛ حبس ثلاثتهن في الحظيرة، منتبهًا إلى ألا يكون هناك أي عشب، ودعا عطارا ليذهب في اليوم التالي للصيد. وافق العطار، وفي الصباح، وضع البردعة على الحمارات، ووضع أيضا كمامة على فم كل منهن حتى لا يأكلن عشبا عندما يخرجن إلى الحقل، وركب العطار على الخادمة، وحمّل الخالة الحمولة كلها، وخرجوا من القرية.

ولأن الخالة كانت عجوزا، إضافة إلى الحمل الذي وضعه عليها، لم تكن تستطيع السير؛ أما هو، الذي كان قد جهز عصا جيدة مصنوعة من شجرة زيتون، أعطاها ضربة كسّرت جسمها؛ بذلت العجوز المسكينة قصارى جهدها ووصلوا

إلى مكان الصيد؛ ولكنْ عندما وصلوا، كانت نصف ميتة، ولأنها كانت ظمآنة، قرَّبها من النبع وملأت هي بطنها بالماء، لدرجة أنها أخذت تتقيأ وأخرجت كل ما كان داخل جسمها، تقيأت على الأرض، لأنها لم تتمكن من الوقوف على قدميها.

حينئذ بحث هو بين ما أخرجته ورأى القلب موجودا؛ أخذه، وغسله جيدا، وابتلعه مرة أخرى، قائلا:

- لنرَ ما إذا كنتما ستأخذانه مني مرة أخرى.

بعد ذلك، بينما كان العطار يصطاد، نزع الكمامات عن الحمارات ليأكلن العشب وليستعدن هيئتهن الأصلية، وفي الطريق، تركهن، وكانت هذه المرة الأخيرة التي رأوا وجهه فيها. أما العطار، فعندما عاد من الصيد، وجد نفسه بدون جاره ولا الحمارات، وكان عليه أن يعود سيرًا على الأقدام. عندما وصل إلى القرية، ذهب إلى بيت رفيقه، وعرف أن المرأة العجوز تحتضر، وحكت له الخادمة كل ما حدث؛ لكنها حرصت جدا على ألا تقول له إنها هي الحمارة التي ركبوها عندما ذهبوا للصيد.

أما ابن الصائغ، فذهب إلى بلاط أخيه الملك، وأرسلوا لإحضار والدهما، وظلوا يعيشون هناك، في حب، وصحبة، وسعادة دائمة.

(٥٧)

الأمنيات الثلاث

كان هناك زوجان كبيران في السن، ورغم أنهما كانا فقيرين، كانا يقضيان حياتهما كلها على أحسن ما يرام، يعملان، ويعتنيان بمزرعتهما. وذات ليلة شتاء، كان الزوج والزوجة جالسين في دفء بيتهما الهادئ، في حب وصحبة؛ وكانا يُحصيان كميات المكاسب الكبيرة التي حققها آخرون، وكانا يرغبان في الاستمتاع بمثلها أيضا.

قال العجوز:

- آه لو حصلتُ بدلاً من مزرعتي ذات التربة السيئة تلك، التي لا تفيد إلا في أن يتمرغ فيها حمار، على مزرعة العم بولايناس الكبيرة!

- أما أنا، أضافت زوجته، آه لو كان لديَّ بيت جديد مثل بيت جارتنا، بدلاً من بيتنا هذا الذي سيسقط إذا دفعه أحد!

- إذا كان لديَّ، واصل الزوج، بدلاً من تلك الأتان التي لا تستطيع حتى أن تحمل أكياسا مليئة بالهواء، عجل العم بولايناس!

- إذا كان يمكنني، أضافت الزوجة، ذبح خنزير يساوي مائتي جنيه مثل جارتنا! ليس على هؤلاء الناس إلا أن يتمنوا الشيء ليمتلكوه. متى سنرى أحلامنا تتحقق!

وبمجرد أن قالت تلك الكلمات، رأيا امرأة في غاية الجمال، تنزل من المدخنة. كانت صغيرة جدًا، لدرجة أن طولها لم يكن يتعدى النصف بارة[1]؛ وكانت تلبس على رأسها تاجًا ذهبيًا مثل ملكة. وكان الرداء والطرحة اللذان يغطيانها شفافين ومكوَّنين من الدخان الأبيض، أما الشرارات التي ارتفعت فوقهما بفرحة مع انفجار صغير مثل الألعاب النارية المبهجة، فقد أخذت تتناثر عليهما مثل الترتر البراق. وفي يدها، كانت تحمل صولجانا ذهبيا صغيرًا، أعلاه عقيق أحمر ساطع.

قالت لهما:

- أنا ساحرة الحظ، كنتُ أمرّ من هنا، وسمعتُ شكواكما؛ ولأنكما كنتما تتوقان كثيرًا لتحقيق أمانيكما، جئتُ لأحقق لكما ثلاثا منها: واحدة لكِ، قالت للزوجة؛ وأخرى لكَ، قالت للزوج، والثالثة ستكون مشتركة بينكما، وعليكما كليكما أن تتفقا عليها؛ وتلك الأخيرة، سأعود وأسلمها لكما غدا بنفسي في نفس الموعد؛ ولديكما إلى ذلك الحين وقت للتفكير في ماذا ستكون تلك الأمنية.

وبمجرد أن قالت هذا، ارتفعت نفخة دخان من بين اللهب، واختفت فيها الساحرة الجميلة.

وأترك لحضراتكم تخيُّل مدى سعادة الزوجين وكم كانت لديهما من أمنيات، مثل مقدمي الطلبات الذين يحاصرون باب الوزير. كانت الأمنيات كثيرة، لدرجة أنهما لم يكونا متأكدين على أي منها يتفقان، وقررا ترك الاختيار النهائي للصباح التالي، وقضاء الليلة في استشارة الأمر مع الوسادة، وبدآ يتحدثان في أشياء لا علاقة لها بالأمر.

---

(١) بارة (بالإسبانية vara): مقياس قديم للطول يساوى ٨٣,٥ سنتيمترا تقريبا – المترجمة.

وبعد قليل، وقع الحوار على جاريهما المحظوظين.

- كنتُ هناك اليوم، وكانا قد طبخا سجقًا، لكن وأي سجق! فقط رؤيته كانت مجدًا!

- ليت أحدًا يُحضر لنا واحدة هنا، أجابت الزوجة، لنشويها على الفحم ونتعشى بها!

وبمجرد أن قالت هذا، ظهر في الحال، على الفحم، أجمل قطعة سجق وُجدت أو موجودة أو ستوجد في العالم.

ظلت المرأة تنظر إليها وفمها مفتوح وعيناها مذهولتان. أما الزوج، فقام يائسا، وأخذ يجول في الغرفة، وهو يشد في شعره ويقول:

- بسببكِ أنتِ، الأكثر جشاعة وشراهة على وجه الأرض، ضاعت واحدة من الأمنيات. انظرْ يا إلهي، أي امرأة هذه! إنها أغبى من الغباء! إنها جلبت لي اليأس. أنا أتبرأ منك ومن السجق ولست أريد أكثر من أن يلتصق بمنخاريكِ!

لم يكد يقول هذا حتى كان السجق في المكان المشار إليه.

وعندئذ خيَّم الذهول على الرجل واليأس على المرأة.

- خيرا فعلتَ، أيها الوقح، صاحت هي، وهي تقوم بمجهودات غير مجدية لنزع السجق من على أنفها؛ إذا كنتُ قد أسأتُ استخدام أمنيتي، فعلى الأقل كان أذى لشخصي، وليس أذى للآخرين: لكنْ مع الخطيئة يأتي التكفير عن الخطيئة، فأنا لا أتمنى شيئا، ولن أتمنى شيئا، إلا أن يختفي السجق من على أنفي.

- بالله عليكِ يا امرأة، ماذا عن المزرعة؟

- لا شيء.

- بربك يا امرأة، وماذا عن البيت؟

- لا شيء.

- لنتمنَّ منجما، يا امرأة، وسأصنع لكِ غطاءً ذهبيا لقطعة السجق تلك.

- مستحيل!

- ماذا إذن؟ هل سنظل كما كنا؟

- هذا هو كل مُناي.

ولم يتوصل الزوج إلى شيء مهما ظل يترجى زوجته التي كانت في منتهى اليأس بأنفها المزدوج هذا، وهي بالكاد تحاول إبعاد الكلب والقطة اللذين كانا يريدان الانقضاض عليها.

وظهرت الساحرة في الليلة التالية، وسألتهما ما هي أمنيتهما الأخيرة، وأعادتهما إلى الوضع السابق وعاشا سعيدين.

(٥٨)

الصيـاد وزوجتـه

كان ياما كان، في سالف العصر والأوان، كان هناك صياد فقير جدًا، يعيش مع زوجته في كوخ. وكان يخرج كل يوم إلى البحر ليصطاد. كان يُلقي بالشِّباك، وينتظر ليرى ماذا ستجلب ليأخذه ويبيعه. ولأنها كانت تجلب القليل معظم الوقت تقريبا، لم يخرجا من البؤس أبدًا.

ذات يوم، اصطاد سمكة كبيرة جدًا، وعندما أخرجها، قالت السمكة:

– دعني أذهب، يا خوان، وسأعطيك كل ما تتمنَّى.

بقي الرجل مذهولاً وتركها تهرب. وعندما وصل إلى البيت، وحكى لزوجته ما حدث له، غضبت كثيرًا وأخذت تصيح:

– آه، كم أنت أحمق! فعلتَ هذا وأنت تعرف أننا ليس لدينا حتى ما نأكله! ولا نجد بيتا نعيش فيه! أيعجبك العيش في كوخ؟ إذا أمسكت تلك السمكة مرة أخرى، اطلبْ منها أن تعطينا نقودا كثيرة!

ذهب خوان ليصطاد مرة أخرى في اليوم التالي، وأخرج نفس السمكة مرة أخرى في شِباكه. وسألته هي:

– ماذا تريد يا خوان؟

وقال خوان:

– أنا لا أريد شيئا، زوجتي هي التي تريد.

– وما تريد زوجتك؟

– تريد مالاً كثيرًا.

– حسنا. اصعدْ على ظهري. لا تخفْ يا رجل؛ اصعدْ.

صعد خوان على ظهر تلك السمكة، بحراشفها الرائعة، واختفيا في أعماق البحر. وسبحا ثم سبحا حتى وصلا إلى قصر من الكريستال مليء بالكنوز.

– خذ ما تريد واحملْه لزوجتك، قالت له السمكة.

ملأ خوان جيبه بنقود ذهبية، وعندما عاد إلى بيته، أعطاها النقود. فرحتْ كثيرا، ولكنْ، لأنه كانت لديها رغبات كثيرة في إنفاق المال، لم يبقَ معها وقتا طويلا، وأخذت تقول لزوجها:

– هيا يا خوان، نفدَتْ نقودنا. اذهبْ إلى السمكة وقل لها إننا نريد أن نعيش في قصر.

عاد خوان للبحر ومعه شِباكه وخرجت له السمكة مرة ثالثة.

– ماذا تريد يا خوان؟

– أنا لا أريد شيئا، زوجتي هي التي تريد.

– وماذا تريد زوجتك؟

– الآن تريد قصرًا.

– حسنا. عد إلى بيتك، وستجدهُ قد تحوّل إلى قصر.

وهذا ما فعله خوان. وعندما وصل وأراد الدخول، أوقفه بعض الخدم على الباب. وكان عليه أن يلحَّ عليهم كثيرًا ويطلب منهم أن يتحدثوا إلى صاحبة القصر، وهي زوجته. وفي النهاية خرجت هي، ترتدي ثيابًا، كما لو كانت سيدة نبيلة، وتركوه يمرّ.

بعد أيام قليلة، كانت المرأة قد ملّتْ العيش في القصر وقالت:

– انظرْ يا خوان، اذهبْ وقل للسمكة إننا نريد أن نصبح ملكًا وملكة.

ذهب خوان إلى السمكة وحكى لها ما حدث.

– ماذا تريد الآن يا خوان؟

– لست أنا مَنْ يريد، زوجتي هي التي تريد.

– وماذا تريد زوجتك؟

– لديها رغبة ملحة في أن تصير ملكة، وأن أصير أنا ملكًا.

– لا بأس يا رجل. عُدْ وستجد زوجتك جالسةً على العرش.

عاد خوان في زورقه، وعندما وصل إلى القصر، رأى زوجته جالسة على العرش، وحولها الكونتات، والدوقات، والخدم. وبعد فترة قصيرة من العيش هكذا، قالت:

– اه يا خوان، اركضْ وقلْ للسمكة إننا نريد أن تشرق الشمس علينا وحدنا!

ذهب خوان مرة أخرى وسألته السمكة:

– ماذا تريد يا خوان؟

– لست أنا مَنْ يريد، زوجتي هي التي تريد.

– وماذا تريد زوجتك؟

– ليس أكثر ولا أقل من أن تشرق الشمس علينا وحدنا.

– هيا، عد إلى بيتك، قالت السمكة، واختفت في البحر.

وعندما عاد خوان إلى القرية، كان الكوخ موجودا بدلا من القصر، وزوجته على الباب تبكي بكاءً شديدًا.


ل- المـــوت

(٥٩)

المــوت العــراب

كان هناك عامل فقير، وأنجبت زوجته ابنا، ولأنهما كانا فقيرين جدا، لم يعرفا مَنْ يدعوان ليكون عرابا ويُعَمِّد طفلهما.

وذات يوم، خرج العامل إلى الطريق، مستعدا لدعوة أول مَنْ يمر. لكنه تعب من الانتظار، ولم يمر أحد. وكان عائدا إلى بيته، حزينا جدا، عندما ظهر له الموت وسأله عما به. قال له العامل إن لديه ابنا وإنه لم يعمِّده بعد، لأنهم فقراء جدًا، ولا أحد يريد أن يكون عرابه. حينئذ قال له الموت:

– حسنا، لا تتضايق، فأنا سأكفله، وأعتني به، بل سأجعله يدرس الطب. فأنا لدي أبناء معمودية كثر، وجميعهم سعداء بذلك.

وهكذا ذهبوا وعمَّدوا الطفل، وعندما أصبح طبيبًا، جاء له الموت وأعطاه عشبا، وقال له:

– يمكنك بهذا العشب أن تعالج من تشاء، مهما كان مرضه. ليس عليك إلا أن تجعله يلامس شفتيه وسيطيب. لكن، احذرْ، إذا ذهبت لزيارة مريض، ورأيتني عند مقدمة السرير، قل إن لديك العلاج، ويمكنك أن تشفيه. لكن إذا رأيتني عند مؤخرة السرير، قل إنه ليس لديك علاجه، ولا تحاول أن تفعل شيئا، لأن ذلك سيكون دوره.

أطاع الفتى عرابه، وبدأ يشتهر بأنه طبيب بارع، فقد شُفِيَ على يده كثيرون. وذات يوم، استدعوه لزيارة رجل غني كان يحتضر، وقالوا: إنه إذا عالجه سيعطونه مالاً كثيرًا. وعندما دخل الغرفة، رأى الموت عند مؤخرة السرير. ولكنه، رغم ذلك، قال إن لديه علاج لهذا الرجل، ومرر العشب على شفتيه وعالجه. وأخذ نقوده، وعندما كان عائدا إلى بيته، قابل الموت، الذي قال له:

– أنت ابن سيئ. سأعفو عنك هذه المرة، لكنْ تذكَّرْ أنه لا يجب أن تعالج أي شخص إذا وجدتني عند مؤخرة سريره.

مر الوقت، وفي يوم آخر، استدعوا الفتى ثانية، للذهاب إلى بيت رجل آخر غني، أغنى من الذي سبقه، وقالوا له إنهم سيعطونه ضعف المبلغ إذا عالجه. وعندما ذهب الفتى إلى الغرفة؛ وجد الموت عند مؤخرة السرير، وأخذ يقوم بعمل بعض الإشارات له، ينهاه فيها عن القيام بنفس الفعلة مرة أخرى. لكنه لم يهتمّ به أي اهتمام، وتوقَّف عن النظر إليه، حتى لا يرى أنه كان يهدده بمنجله. وقام بعلاجه، وأخذ نقوده، ورحل. وعندما كان ذاهبا إلى بيته، خرج الموت لملاقاته وقال له:

– لقد قمت بفعل ذلك بي مرتين. في المرة التالية، سيحين دورك أنت.

ثم حدث ومرضت ابنة الملك، وأجمع كل الأطباء على أنه لا يوجد علاج لها. لكن الملك أصدر مرسوما يقول فيه إن من يستطيع أن يعالج الأميرة، سيتزوجها. وصل الخبر إلى مسامع الفتى، وشق طريقه، قلقا جدا وهو لا يعرف ما إذا كان سيجد الموت أم لا، وما إذا كان سيكون عند مؤخرة السرير أو مقدمته. وصل إلى القصر، وكان يرتعش وهو يدخل الغرفة، وهناك كان الموت عند مؤخرة السرير. توسل الملك للفتى أن يفعل كل ما في وسعه لإنقاذ ابنته وتعهد له بأن يكون العرس خلال أقل من عام، إذا شفيت الأميرة، وأنه سيعلنه وريثا لكل

ممالكه. نظر الفتى إلى الموت من طرف عينه، لكنه كان يشير له بلا. ومرت فترة من الوقت هكذا، وأخيرًا تجرأ وأخرج العشب، ومرره على شفتي الأميرة، التي شفيت في الحال. فرح الملك وكل مَنْ في القصر كثيرًا وبدأوا تجهيزات العرس.

غير أن الفتى التقى بالموت، الذي قال له:

- أما هذه المرة، فلن أسامحك عليها.

وأخذ الفتى عندئذ يبكي ويتوسل إليه حتى يعطيه فقط وقتا ليتزوج الأميرة. عندئذ أخذه الموت إلى غرفة توجد فيها شموع كثيرة مضيئة وبأحجام كثيرة؛ بعضها كبير جدا، وبعضها متوسط، وبعضها صغير، والبعض أيضا صغير جدا لدرجة أنها تطقطق وتنطفئ في الحال. وقال الموت:

- لنرَ ما إذا كان سيحالفك الحظ وتخمِّن أي شمعة منها هي حياتك. الأكبر هي حيوات الأطفال عندما يولدون، والأصغر هي ...

قال الفتى وهو يشير إلى شمعة متوسطة:

- ها هي؟

ويقول الموت لا بإيماءة من رأسه. وأشار مرة أخرى إلى واحدة أصغر قليلا:

- أهذه هي؟

وأنكر الموت مرة أخرى، وأشار هو إلى واحدة أصغر وقال الموت لا. وهكذا أخذ يصل إلى الأصغر، ثم الأصغر، إلى أن قال: "ها هي؟"، وانطفأت فقط من النفس الذي خرج مع صوته، وعند ذلك مات.

(٦٠)

شجرة الخالة تعاسة

كانت تعاسة امرأة فقيرة عجوزًا، وكانت تعيش على طلب الصدقات. وكان عندها ابن اسمه أمبروسيو، وكان يسعى في الدنيا أيضًا يطلب من الناس صدقة. وكان عندها كلب اسمه تارُو، وكان الوحيد الذي يصحبها في كوخها الصغير.

وهكذا عاشت سنينَ عديدة، حتى تقدم بها السن جدًا، وكانت تعيش فقط على الصدقات التي تحصل عليها وعلى ثمرات شجرة الكمثرى الموجودة بالقرب من الكوخ الذي تعيش فيه، والتي لم تنعم بثمارها إلا في سنين قليلة جدًا، لأن الصبية كانوا يأخذون كل الكمثرى. ولأنها لا يمكنها الجري، كانت تضع لهم الكلب، وكان الصبية يهربون، وعندما لا تكون موجودة، يأخذون الكمثرى حتى قبل أن تنضج.

ذات يوم، عندما خيَّم الليل، جاء أمام بيتها رجل مسكين. ولكنْ، لأن السماء كانت تمطر ثلجًا، طلبت منه الخالة تعاسة أن يدخل ليجد ملاذًا في بيتها. ودعته ليتعشى حساءً بالخبز القليل الذي حصلت عليه خلال اليوم. وقسمت فرْشة من القش كانت تنام عليها لتعطي المسكين جزءًا منها لينام عليه. ونام كل منهما على فرْشته. ولكن الغريب في هذا الأمر أن تارُو، الكلب الذي كان لدى الخالة تعاسة، كان سيئًا جدًا، وكان ينبح عندما يقترب أي شخص من الباب. ولاحظت الخالة تعاسة أنه عندما استقبلت هذا الرجل المسكين، ليس فقط لم ينبح الكلب عليه، إنما اقترب منه

ليلعق له قدميه. وهكذا قضيا الليل نائمين، وعند الشروق، انتبهت الخالة تعاسة إلى أن الرجل المسكين استيقظ بغرض الرحيل. ولكنْ، لأن السماء كانت تمطر ثلجًا، لم توافق على أن يخرج. وخرجت هي إلى القرية المجاورة وقالت له:

– لا تخرج من بيتي قبل أن تتناول إفطارك أولاً، فأنا ذاهبة الآن لأحضر من القرية أربع قطع من الخبز القديم. وعندما أعود، تناولْ إفطارك وغادرْ.

– وعندما رأى الرجل المسكين نوايا الخالة تعاسة الطيبة، وافق على ما اقترحته عليه. ولكنْ بعد ذلك، عندما عادت وكانا يتناولان إفطارهما، قال المسكين للخالة تعاسة:

– بسبب قلبك الطيب هذا، سأعمل لك معروفا. اطلبي مني ما تشائين، فرغم أنك ترينني أرتدي ملابس رجل فقير إلا أنني لست كذلك. وأريد أن أردّ لك الجميل الذي قمتِ به معي.

رفضت الخالة تعاسة هذا الكلام، وهي تقول إنها لا تحتاج إلى شيء؛ لكن الآخر أصرّ على ذلك كثيرًا، لدرجة أنه لم يكن أمامها إلا أن توافق وتطلب شيئا. وطلبت ألا يتمكن كل من يتسلق شجرة الكمثرى الموجودة أمامها دون إذن منها، من النزول. لأنه رغم أن الشجرة تثمر كمثرى شهية، فإنها لا تأخذها لأن الصبية يأخذونها منها. وأجابها هو:

– طلبك مُجاب. أنتِ ترضين بالقليل يا امرأة.

وسرعان ما بدأت تظهر تأثيرات المنحة. في السنة التالية، وبمجرد أن بدأت الشجرة تثمر كمثرى نصف ناضجة، ظلّ أوائل الصبية الذين تسلقوا ليأخذوها عالقين في الأعلى حتى وصلت الخالة تعاسة. أول يوم ظل فيه الصبية محبوسين، وكانت الخالة تعاسة تصيح بهم عندما تراهم من بعيد وتقول:

–آه أيها المشاغبون! ستدفعون ثمن ما فعلتموه غاليا، لن تتمكنوا الآن من الهرب من تحت أظافري.

وعندما وصلت أسفل شجرة الكمثرى، أخذت تضربهم بالعصا التي تتعكّز عليها، حتى أشفقت عليهم وأمرتهم بالنزول. وبعد كل هذا أخذ الكلب ينبح في وجوههم ويجذب كلّ واحد منهم من بنطلونه حتى عادوا إلى بيوتهم وملابسهم ممزقة تماما.

في نفس هذا العام، ظل الصبية يذهبون لأكل الكمثرى، ولكنْ، بعد أن لاحظوا الحالة الشيطانية التي أصبحت فيها شجرة الكمثرى، لم يعد أحد يقترب. وفي العام الذي تلاه، استطاعت الخالة تعاسة أن تستمتع، بكل هدوء، بالكمثرى التي تثمرها شجرة الكمثرى تلك. وهكذا مرت أعوام طويلة، حتى اقترب من الباب ذات يوم، رجل طويل، نحيف، على كتفه منجل، نادى على الخالة تعاسة ثلاث مرات وهو يقول لها:

– هيا يا تعاسة، لقد حانت الساعة.

تعرفت عليه الخالة تعاسة، التي كانت تقترب من الباب، وعرفت أنه الموت، وصاحت:

– سريعًا جدًا هكذا أيها الرجل، في أفضل لحظات حياتي! أتأتي الآن بعد أن أصبحتُ أستمتع بهدوء بما لدي!

ولكنْ، لأن الموت أصرّ عليها، توسلت إليه الخالة تعاسة أن يعمل من أجلها معروفًا. وقال لها الموت:

– حسنا، ماذا تريدين؟

– فقط بينما أجهّز نفسي قليلا للرحلة، أعمل لي هذا المعروف، اجمعْ لي ثمرات الكمثرى الأربع تلك، التي تبقت على شجرة الكمثرى.

أجابها الموت:

– حسنا يا امرأة، هيا اذهبي بسرعة واستعدّي.

وفي هذه الأثناء، ذهب الموت ليقتطف الكمثرى من فوق شجرة. تسلق الشجرة؛ ولأنها كانت في الأعلى، كان عليه أن يبذل مجهودا كبيرا، بالرغم من ذراعيه الطويلتين، ليحصل عليها. وبمجرد أن أخذها، أراد أن ينزل من فوق شجرة الكمثرى، ولم يتمكن من ذلك. كانت الخالة تعاسة تشاهد كل هذا، وهي تطل من الباب، وأخذت تقهقه وهي تقول:

-ها، ها، ها! من الجيد أن تبقى هناك! واتركني أنا، فأنا الآن في أمان!

وبقى الحال هكذا بضع سنوات، وبدأ الناس يشعرون بغياب الموت، فقد كانت هناك عجائز، ولم يَمُتْ منهم أحد رغم الأمراض المؤلمة التي كانوا يعانون منها. وامتلأت المستشفيات وتعطلت عن العمل، وتعدَّى عمر البعض مئتي عام. وكانوا يتوسلون إلى الأطباء ليعطوهم شيئا لينهي حياتهم، التي كانت تعذبهم، ورغم كل هذا، لم يكن أحد يموت. كانوا يطعنون بعضهم؛ وكانوا يلقون أنفسهم من فوق حافة شديدة الانحدار؛ وتصبح حالتهم مثيرة للشفقة، ولكنْ لم يكن أحد يموت، ولا حتى في الحروب، فالموت عالق فوق شجرة الخالة تعاسة، ولا يمكنه النزول بدون إذنها.

عندما انتبه سكان القرى المجاورة، أخذوا يتجولون في كل المناطق ليروا أين يمكنهم أن يجدوا الموت. حتى لاحظ الطبيب، الذي كان صديقا عزيزا للموت، أن هناك أحدا يناديه من بعيد ويقول:

-آه أيها الطبيب! تعالَ إلى هنا!

حضر إلى حيث يسمع الأصوات وفي الحال انتبه إلى أن الموت كان معلقًا فوق شجرة الخالة تعاسة. أبلغ كل الجيران، وذهب الجميع مسلحين بالفؤوس، إلى ذلك المكان بغرض تحطيم الشجرة، التي كانوا يقولون إنها مسكونة بالشياطين. ولكنْ مهما ضربوها بالفأس من ناحية أو من أخرى، لم تكن الفؤوس تمس الشجرة. تعبوا من محاولة قطعها. صعد البعض الآخر على الشجرة، وأمسكوا الموت من يديه، وأخذوا يجذبونه محاولين إنزاله من هناك. لكنهم ليس فقط لم يستطيعوا سحبه

من هناك، إنما ظل كل الذين صعدوا معلقين وشكّلوا كتلة. أخذت الخالة تعاسة تضحك وتقول:

– كل ما تحاولون عمله غير مجد، فلن ينزل أحد دون أن أعطيه أنا الإذن.

وعند رؤية هذه القوة القديرة للخالة تعاسة، حضرت شخصيات من قرى مختلفة لتتوسل إلى الخالة تعاسة أن تترك الموت ينزل من هناك، لأن رؤية الدنيا هكذا تثير الشفقة، فلا أحد يموت في أي مكان، رغم المصائب والمعاناة التي يعانيها الكثيرون. أما الخالة تعاسة فقد اقترحت شرطًا، عندما رأت كل هذا التوسل، وإشفاقا منها على الإنسانية بأكملها.

– ما هو؟ أجابوها.

وأجابت هي أن الشرط هو ألا يناديها الموت ثانية، ولا يتذكر ابنها أمبروسيو.

– لا تتذكرني أبدًا، لا أنا ولا ابنى أمبروسيو، حتى أناديك أنا ثلاث مرات.

وافق الموت على هذا، قائلاً إن ما طلبته مُجاب إذا أعطته إذنًا بالنزول من فوق شجرة الكمثرى، هو ومن معه. ولوَّح بسن منجله، وأخذ يقطع الرقاب في كل مكان. مات المليارات، فكل من كان يبحث عن الموت منذ تلك اللحظة، وكل من حانت ساعته أيضًا، وجده فورًا، إلا المرأة العجوز وابنها، ولهذا ما يزال يستمرّ الفقر والتعاسة.

المؤلف في سطور:

أنطونيو رودريجيث ألمودوبار Antonio Rodríguez Almodóvar

* ولد في ١٩٤١ ، وهو كاتب وبروفيسور إسباني من إشبيلية.
* درس الفولكلور الأندلسي وجمع الحكايات التراثية التي تنتشر شفاهيا في جنوب إسبانيا.
* ألف كتاب Cuentos de la media-lunita (حكايات الهلال الصغير)، والكتاب الذى بين أيدينا.
* ألف العديد من القصائد والمسرحيات والروايات والقصص.
* حاصل على "الجائزة القومية لأدب الأطفال والشباب" Premio Nacional de literatura infantil y juvenil، لعام ٢٠٠٥.

المترجمة في سطور

عزة خليل كلفت

* مترجمة مصرية حرة.
* من مواليد القاهرة، ١٩٨٩.
* تخرجت فى قسم اللغة الإسپانية، كلية الألسن، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠١٠.
* تدرس فى قسم التصوير السينمائي، المعهد العالي للسينما، القاهرة.
* تُترجم عن اللغتين الإسپانية والإنجليزية.
* صدر كتابها الأول "الأميرة التي لا تبكي وحكايات أخرى" عن المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، [وهو مترجم عن الإنجليزية].

التصحيح اللغوى: حمادة نجيب
الإشــــراف الفنى: حســـن كامل